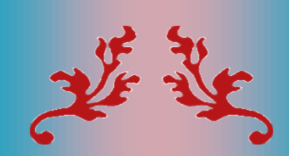
المجلد الرابع – العدد الثاني www.hilalalhind.in ISSN: 2582-9254 (Online)



Vol. No. 4, Issue No. 2

July-December 2024



هلال الهند

مجلة إلكترونية نصف سنوية دولية محكمة

ر

رئيس التحرير

أ.د. مجيب الرحمن

يصدرها

د. مخلص الرحمن

رامبور هات، بيربوم، بنغال الغربية – الهند، 731224

المنشور فيه لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

المجلد الرابع – العدد الثاني www.hilalalhind.in ISSN: 2582-9254 (Online)

Vol. No. 4, Issue No. 2
July – December
2024



هلال الهند

مجلة إلكترونية نصف سنوية دولية محكمة

رئيس التحرير
أ.د. مجيب الرحمن
أستاذ الأدب العربي، ورئيس مركز الدراسات العربية والأفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

يصدرها
د. مخلص الرحمن
سانغاتي بلّي، رامبور هات، بيربوم،
بنغال الغربية، الهند، 731224

هلال الهند

(مجلة إلكترونية نصف سنوية دولية محكمة)

أهداف المجلة

المجلة تهدف إلى:

- إتاحة الفرص للكتاب والباحثين لنشر أعمالهم العلمية والأدبية والبحثية، وإبرازها على المستوى العالمي.
- توفير وعاء رقمي ومنصة إلكترونية لتعزيز المحتوى الرقمي العربي ونشره وترويجه من خلال المجلة ذات الوصول المفتوح على الشبكة العنكبوتية.
- مؤازرة أصحاب الأقلام المبدعة والرؤى الثاقبة الذين يساهمون في النهوض باللغة العربية والارتقاء بها، بنشر بحوثهم العلمية، ودراساتهم النقدية، ونتاجات قرائحهم الإبداعية.
- مواكبة حركة التطور العلمي والبحثي في مجال اللغة العربية وآدابها على الصعيدين المحلي والدولي، والاهتمام بمعالجة القضايا المعاصرة بالبحث والتحليل والتحقيق.
- نشر الأعمال الأدبية والعلمية والثقافية والتراثية العالمية عن طريق ترجمتها من اللغات العالمية، بما فيها الهندية، إلى اللغة العربية.
- الإسهام في بناء مجتمع معرفي بنشر البحوث والمقالات عالية الجودة في مختلف المجالات مع الالتزام بالمعايير العلمية والعالمية الدقيقة للبحث.
- تحقيق مبادئ الأمن والسلام والتعايش السلمي والحوار بين الأديان والحضارات والثقافات من خلال الإبداع.
- إصدار أعداد خاصة في محاور هامة تخص أهداف المجلة التي من شأنها أن تكون ذات فائدة علمية كبيرة لطلبة و باحثي وأساتذة اللغة العربية في الهند.
- إقامة جسر علمي وثقافي بين الهند والعالم العربي من خلال اعتماد وتنفيذ مشاريع علمية وبحثية مشتركة بهدف توطيد أواصر التعاون العلمي بين المهتمين بالشأن الثقافي العربي في الهند والعالم العربي.

الآراء المنشورة في مجلة "هلال الهند" تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تمثل بالضرورة وجهات نظر هيئة التحرير أو المجلة. ولا يخضع ترتيب المنشور فيها لمستوى البحث أو الباحث.

هيئة التحكيم

الهيئة الاستشارية

شروط النشر في المجلة:

- أن تكون المقالات البحثية أصيلة وألا تكون قد نشرت أو قدمت للنشر في أي مكان آخر جزئيا أو كليا.
- أن يقع البحث في مجال أهداف المجلة واهتماماتها البحثية.
- أن يكتب الباحث اسمه الكامل ومسماه الوظيفي وجهة عمله وبريده الإلكتروني ويلصق صورته ذات مقاس الجوازات.
- أن يتقيَّد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام الإحالات المرجعية الذي تعتمده المجلة.
- أن يتحرى الباحث في عمله الجدة والعمق والقصد، والالتزام بالشروط العلمية والمنهجية المتبعة أكاديميا.
- أن يُرفق مع البحث ملخص لا يزيد على 250 كلمة.
- أن يُرفق الملخص بكلمات مفتاحية لا تزيد على 6 كلمات ترتب هجائياً.
- يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.
- أن يكون المقال مطبوعا ببرنامج (MS Word)، ونوع الخط Fanan، وحجم الخط 16 في كتابة المتن، وبمسافة 1.5 بين سطور المتن، وحجم الخط 16 في العناوين الرئيسية والفرعية للمتن بخط غليظ، و12 للحواشي. وفي اللغة الأجنبية، نوع الخط (Times New Roman) ، وحجم الخط 12 في المتن، وفي الهوامش نفس الخط مع حجم 10.
- ألا يزيد عدد الكلمات 4000، بما فيها ملخص البحث والمصادر والمراجع والجداول والرسوم وكافة الملحقات.
- أن تُوضع لكل صفحة أرقام هوامشها الخاصة بها في الأسفل، وأن تذكر المراجع والمصادر في النهاية.
- تخضع البحوث للتحكيم والمراجعة العمياء من قبل خبراء متخصصين، ويُتخذ قرار نشر البحوث في ضوء آراء المحكمين وقرار هيئة التحرير.
- تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض الكلمات والعبارات التي لا تتناسب مع أسلوبها في النشر ولا تلتزم المجلة برد المقالات غير المقبولة للنشر إلى أصحابها.

- تعبّر الآراء العلمية المنشورة في البحوث عن آراء كاتبيها، ونظرتهم الشخصية، ولا تمثل بالضرورة وجهات نظر هيئة التحرير أو المجلة.

يُرجى في تدوين الهوامش في البحث مراعاة الخطوات التالية:

عند ذكر المرجع للمرة الأولى:

- **الكتب:** لقب المؤلف أو الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ، الترجمة، (إن وجدت) (مكان النشر: الناشر، عدد الطبعة، تاريخ النشر)، الجزء إن وجد، الصفحة. على سبيل المثال: الرحمن، مجيب: **تأثير اللغة الإنجليزية في أسلوب الصحافة العربية** (نيو دلهي: محمد جمشيد، الطبعة الأولى، 2004م) ص:22.
- **الكتاب المترجم:** حيدر، قرة العين: نهر النار، ترجمة: أ.د مجيب الرحمان، (الإمارات العربية المتحدة: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، 2020م) ص:30
- **المجلات والدوريات:** اسم الكاتب، عنوان المقال، اسم المجلة بخط غليظ، السنة، العدد، الصفحة.
- عند تكرار المصدر أو المرجع في الهامش التالي مباشرة تتبع الطريقة الآتية: المرجع نفسه، المصدر نفسه ج، ص.
- عند تكرار المصدر أو المرجع في موضع آخر من البحث، اسم الشهرة للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ أو المقال، ج، ص.
- **المراجع الالكترونية:** اسم المؤلف، أو المنظمة، "عنوان المقال"، (بين فاصلتين مزدوجتين)، الرابط كاملا إذا كان الرابط صغيرا، وإذا كان الرابط كبيرا فيكفي ذكر الموقع الإلكتروني، وتاريخ التصفح.
- وإذا كانت المراجع صحيفة، فيكتب اسم الكاتب، "عنوان المقالة أو التقرير"، اسم الصحيفة، ثم تحديد نوعها أهي يومية أم أسبوعية أم شهرية، (مكان الصدور)، والعدد، والتاريخ، والصفحة، على سبيل المثال:

  مفيد نجم، "الرواية الواقعية"، جريدة العرب اليومية، (بريطانيا)، العدد 9983، 21 يوليو 2015م، ص 15
- المخطوطات: اسم المؤلف كاملاً، عنوان المخطوط كاملاً، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه هذا الاقتباس ويشار إلى تاريخ النسخة، وعدد أوراقها.
- تُخرج الآيات في متن الحديث، وليس في الهوامش، ويكون التخريج كالآتي: (الإخلاص: 1).

المحتويات

الرقم	العناوين	الكاتب	الصفحة
-	الغلاف والمحتوى	-	7 - 0
-	كلمة التحرير	رئيس التحرير/ أ.د. مجيب الرحمن	12 -8
	دراسات أدبية وفنية وثقافية		
1	الزكاة فرضيتها ضروراتها تطبيقاتها المعاصرة	أشرف شعبان أبو أحمد	47-13
2	شخصية المرأة في رواية "وا إسلاماه" لعلي أحمد باكثير	محمد توحيد عالم	62-48
3	قصيدتا "الحبيب المكتومة الاسم" و"الحبيب الخفية" للقاضي نذر الإسلام: دراسة تحليلية	د. شفيق الإسلام	81-63
4	مقاصد نشأة علوم الحديث النبوي	د/ أشرف بن عبد القادر المرادي	113-82
5	وضع المرأة المصرية في العصر الحديث	محمد عادل	126-114
6	إضاءات حول مخطوط من الغرب الأفريقي: المنة في اعتقاد أهل السنة للشيخ سيدي المختار الكنتي	حامد عبد العزيز	162-127
7	دراسة أسلوبية لكتابات الشيخ محمد واضح رشيد الندوي	أ.د. مجيب الرحمن	174-163
8	الأدب في عصر الثورة الرقمية	د. جاويد نديم الندوي	190 -175
9	طمس الخطوط بين العجائبي والواقع: تحليل نقدي للإنتاج الثقافي العربي المعاصر	محمد قاسم	203-191
	إبداعات أدبية		
10	**قصة قصيرة:** مسيرة إيمان وإرادة	صبحة بغورة	211-204
11	**الخاطرة:** فلسطين الحبيبة: بين الدماء والدموع	مهدي أحسن	213-212
	إصدارات جديدة		
12	صدور كتاب "نحبّكِ يا نعيمة" لسناء الشّعلان عن "التّنّور" الثّقافيّ بمشاركة مئات العلماء والمبدعين والكتّاب	سناء الشّعلان	219-214



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيسعدنا أن نضع بين أيدي قرائنا الأعزاء العدد الثاني من مجلة "هلال الهند" البحثية الإلكترونية لعام 2024 (المجلد 4، العدد 2) بعد تأخير لم نكن نريده لكنه فرض نفسه بسبب ظروف خارجة عن إرادتنا. واليوم، نعود إليكم بهذا العدد الجديد الذي يحمل في طياته مزيجاً رائعًا من البحث العلمي العميق، والأفكار الثقافية الواسعة، ولمسات الإبداع الأدبي المتألقة. إن هذا العدد هو خطوة جديدة في رحلتنا لتقديم محتوى مميز يجمع بين غنى الفكر العربي والهندي، ويبرز التزامنا بدعم البحث العلمي وإثراء النقاشات الفكرية المفيدة.

سعينا في هذا العدد إلى أن نجعله متنوعًا وشاملاً، يجمع بين الدراسات التي تستلهم التراث وأخرى تنظر إلى الحاضر بعيون متجددة، ليكون بمثابة جسر يربط بين الماضي واليوم، وبين الإرث الثقافي وما نشهده من تطور في الأدب والفكر والفن. في كل مقال، ستجدون فكرة متأنية، وتحليلًا دقيقًا، ومعالجة أصيلة، لأننا نؤمن أن البحث العلمي ليس مجرد كتابة جامدة، بل هو دعوة للنهوض والتأمل، يحمل في قلبه أمل التغيير والإضاءة لعقولنا جميعاً.

يتضمن هذا العدد، تحت فئات المجلة المعتادة، مجموعة من المقالات البحثية التي تتناول قضايا متنوعة بمقاربات علمية رصينة، ففي فئة الدراسات الأدبية والفكرية والثقافية، يسلط الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد الضوء على موضوع "الزكاة: فرضيتها، ضروراتها، وتطبيقاتها المعاصرة"، في دراسة تتناول أبعاد هذا الركن الإسلامي الهام من النواحي الفقهية والاجتماعية والاقتصادية، مسلطاً الضوء على دورها في تحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة. فالزكاة، كما يؤكد الكاتب في ملخص بحثه "فريضة إسلامية تعود بآثارها على الفرد والمجتمع لو جمعت بحق وصرفت بحق، في دولة تقيم الإسلام كدين ودولة، عبادات ومعاملات"، وفي الحقيقة فإنّ نظام الزكاة في الإسلام هو العمود الفقري للنظام الاقتصادي في الإسلام، وإذا قام المسلمون في أنحاء العالم بتطبيق هذا الركن العظيم على أحسن وجه، فإن المجتمع الإسلامي سيخلو من مظاهر الفقر والحرمان الاقتصادي والتخلف، للأسف، الكثير من المسلمين لا يولون أداء الزكاة الاهتمام الكافي والمطلوب الذي هو ضرورة قصوى في مجتمعاتنا الإسلامية، ومن هنا يتخذ البحث أهميته القصوى. أما الباحث محمد توحيد عالم، فيقدّم دراسة معمقة حول "شخصية المرأة في رواية وا إسلاماه لعلي أحمد باكثير"، حيث يتناول دور المرأة في الأدب الروائي العربي، ومدى تجسيد باكثير لشخصية المرأة في روايته، وانعكاس ذلك على فهم المجتمع لقضايا المرأة العربي، "وهو موضوع مهم شغل بال كثير من الأدباء والمفكرين، واهتم بها الشعراء في قصائدهم والروائيون في رواياتهم وقد عبّروا في صور عدة في أعمالهم." كما وضّح الكاتب في مستهل بحثه.

ويقدم الدكتور شفيق الإسلام دراسة تحليلية لقصيدتي "الحبيب المكتومة الاسم" و"الحبيب الخفية" للقاضي نذر الإسلام، بعد ترجمتهما إلى العربية، مستعرضاً الحب الجسدي في شعره، فهو، كما يؤكد الباحث "أوّل من أعرض عن الحب الصوفي الذي أولع به الشعراء البنغاليون قبله بمن فيهم الشاعر روبيندرنات تاكور (طاغور) ومال إلى الحب الجسدي فمجّده وحاول أن يدرك حبيبه في حدود الأماني والشهوات. وهي سمة بارزة من سمات شعره تميزه عن شعراء البنغالية الآخرين. ويحتل حبه الجسدي هذا حيزاً كبيراً في شعره. ولذا أحببنا أن ننقل بعض روائعه الشعرية من هذا الطراز الجديد إلى العربية. فقمنا بترجمة القصيدتين المعنونتين بـ"الحبيبة المكتومة الاسم" و"الحبيبة الخفية" ودراستهما التحليلية، وهما حلقتان مهمتان من السلسلة الطويلة لقصائده من هذا النوع"، علما أنّ القاضي نذر الإسلام يعد أشهر شاعر في الأدب البنغالي

بعد رابندرا ناث طاغور، وقد حظي بشهرة عالمية من خلال شعره وقصصه القصيرة وكتاباته الصحفية. بينما يقدم الدكتور أشرف بن عبد القادر المرادي بحثًا حول "مقاصد نشأة علوم الحديث النبوي"، حيث يستعرض تطور هذا العلم الجليل وأهدافه الكبرى في حفظ السنة النبوية الشريفة.

وفي مقالة ذات طابع اجتماعي، يتناول الأستاذ محمد عادل موضوع "وضع المرأة المصرية في العصر الحديث"، حيث يقدم رؤية تحليلية لتطور دور المرأة المصرية عبر العقود الأخيرة، والتحديات التي تواجهها المرأة في مختلف الميادين.

وفي ركن المخطوطات والتراث، يقدم الأستاذ حامد عبد العزيز دراسة حول مخطوط إفريقي نادر بعنوان "المنة في اعتقاد أهل السنة" للسيد سيدي مختار الكنتي، حيث يستعرض أهمية هذا المخطوط في الدراسات العقدية وتأثير الفكر الإسلامي في الغرب الإفريقي.

ويقدم الأستاذ مجيب الرحمن دراسة عن كتابات الشيخ محمد واضح رشيد الندوي، حيث يغوص في أسلوبه اللغوي الخاص ويستعرض التأثيرات الأدبية التي صيغت منها رؤيته الفريدة، علما أن الأستاذ واضح رشيد الندوي يعد من أبلغ كتاب العربية الذين لمعوا في أفق الكتابة العربية في الهند بنهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين، وقد خلف وراءه عددا كبيرا من المؤلفات باللغة العربية، وبالتالي فإن دراسة كتاباته من الناحية الأسلوبية تعتبر ذات أهمية كبيرة. أما الأستاذ الدكتور جاويد نديم الندوي، فيأخذنا في رحلة مختلفة مع موضوع "الأدب في عصر الثورة الرقمية"، حيث يشاركنا قلقه من الفوضى والضرر الذي يصيب مجتمعنا بسبب الإفراط في استخدام الإنترنت ومواقع التواصل. يقترح أن نعود إلى الكتب الأدبية والتربوية لنرشد أبناءنا ونعلمهم كيف يفرقون بين الصواب والخطأ، ونزرع فيهم قيمًا مثل التكافل والاحترام، لنحميهم من القلق والاكتئاب الذي يهددهم. ومع أن التكنولوجيا تفتح أبواب المعلومات بسرعة، يحذرنا من مخاطرها على صحتنا وأخلاقنا، خاصة على عقولنا، مشيرًا إلى أن المعرفة الحقيقية ليست مجرد جمع معلومات، بل تحتاج إلى تفكير عميق وروح ناقدة تبني ولا تهدم. ويقدم الباحث محمد قاسم دراسة شيقة عن التماهي بين العجائبي والواقع في سياق الإنتاج الثقافي العربي المعاصر، مع التركيز على أنواع الفانتازيا والخيال التأملي والخيال العلمي. ومن خلال تحليل معاصر للعناصر الجمالية والثقافية في الأشكال الحديثة مثل وسائل التواصل الاجتماعي والكتب الإلكترونية والألعاب الرقمية تُبرز الورقة أن العجائبي والخيال

العلمي يندرجان ضمن إطار بناء العوالم الذي يستند إلى تجارب الواقع. كما تُظهر كيف تجد التكنولوجيا الحديثة، من خلال تفاعلات البشر وتجاربهم اليومية، تعبيرات عن الهوية الثقافية في الفضاء الرقمي العالمي. وفي هذا السياق، بدأت المؤسسات الثقافية تلعب دورًا مهمًا في تقديم وحفظ السمات البارزة للثقافة واللغة العربية، من خلال دمج خيارات جمالية في وسائل النقل الثقافي، مما يجعل المحتوى التعليمي أكثر جاذبية وسهولة في الوصول، مع تقديم رؤية أصيلة للثقافة العربية التي كثيرًا ما تُشوهها وسائل الإعلام الغربية ومنتجاتها الثقافية.

وفي فئة الإبداعات الأدبية، يزدان العدد بنصوص أدبية تعكس القضايا الإنسانية الكبرى، حيث تقدم الأديبة صبحة بغورة قصة قصيرة بعنوان "مسيرة إيمان وإرادة"، تحمل بين طياتها أبعاداً عميقة من الكفاح والأمل لملاكمة جزائرية "إيمان" أحرزت قصب السبق وأبلت فيها بلاء حسنا رغم مساعي الإعلام الغربي الحثيثة إلى إذلالها والإساءة إليها والنيل من كرامتها بكل الوسائل الممكنة بغرض تحطيم ملاكِمة عربية، ولكن إيمانَ "إيمان" ومثابرتها جعلته تفوز بالقدح المعلى عندما هزمت الملاكمةَ الصينيةَ في المباراة النهائية ومنحت نفسها والجزائر الميدالية الذهبية في أولمبياد باريس 2024. كما يخط الباحث مهدي أحسن خاطرة أدبية بعنوان "فلسطين الحبيبة: بين الدماء والدموع"، وهي نص مؤثر يعبّر عن مأساة فلسطين بقالب أدبي يجمع بين الألم والأمل.

وفي قسم الإصدارات الجديدة، نحتفي بصدور كتاب "نحبّكِ يا نعيمة" لشمس الأدب العربي وأميرته أ.د. سناء الشعلان، وهو إصدار ضخم يقع في 705 صفحة من القطع الكبير، وصادر عن "مركز التنور الثقافي" الفنلندي العربي، ويضم مقالات وشهادات وخواطر وانطباعات بأقلام مئات العلماء والكتّاب والمبدعين والمبدعات عن الأديبة المرحومة نعمية المشايخ الوالدة الحبيبة للدكتورة سناء الشعلان، يُعد هذا الكتاب عملًا توثيقيًا وسيريًا مميزًا يخلّد ذكرى الأديبة الراحلة نعيمة المشايخ، والكتاب، بمحتواه الغني وبنيته المنظمة، يمثل جسرًا بين التراث والمعاصرة، ويعكس شخصية نعيمة المشايخ كأديبة وإنسانة تركت بصمة لا تُنسى.

ختامًا، نأمل أن يشكل هذا العدد زادًا فكريًا للقارئ الكريم، وأن يحقق الهدف المنشود من هذه المجلة، وهو إثراء المكتبة العربية ببحوث رصينة وأعمال أدبية متميزة. كما نجدد التزامنا بتقديم محتوى يعكس جودة البحث الأكاديمي والإبداع الفكري، ونعاهد قراءنا الكرام على مواصلة الجهد والعمل على تطوير المجلة في الأعداد القادمة.

وإذ نقدم هذا العدد إلى أيديكم، نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجازه، من باحثين وأدباء ومحررين، وخصوصا الدكتور مخلص الرحمن والدكتور تجمل حق، كما نشكر قراءنا الكرام على صبرهم وثقتهم. ونسأل الله أن يوفقنا جميعًا لما فيه الخير والفائدة.

مع خالص الشكر والتقدير

أ.د. مجيب الرحمن

رئيس التحرير

.... ❖❖❖❖❖ ....

الحلقة الأولى

الزكاة فرضيتها وضروراتها وتطبيقاتها المعاصرة

أشرف شعبان أبو أحمد*

الملخص:

الزكاة فريضة إسلامية تعود بآثارها على الفرد والمجتمع لو جمعت بحق وصرفت بحق، في دولة تقيم الإسلام كدين ودولة، عبادات ومعاملات، ولذا نجد اتجاه كثير من الأفراد إلى صرفها باجتهاداتهم الشخصية ومنهم من يضعها في جمعيات خيرية أو صناديق خاصة بالمساجد أو خلاف ذلك، مما يؤدي إلى وضعها في أيدي نفر من المستحقين أكثر من مرة ومن أكثر من جهة، كما إنها بذلك لا تصرف في سائر أوجه صرفها، أو تصرف في جهة بأكثر مما يستلزم، كالعاملين عليها، ففي صدر الإسلام كانت الزكاة غالبتها عينية وكان جابي الزكاة يقوم بتحصيلها وحملها ونقلها وتوزيعها على مستحقيها متحملا في ذلك المشاق، أما الآن فغالبتها نقدية تسلم لهم يدا بيد أو بغير ذلك من وسائل نقل الأموال الحديثة ويأتي مستحقوها لاستلامها دون مشقة من العاملين عليها والذين في أغلبهم متطوعين ولهم مصدر رزق آخر، وقد يستأثر بعضهم بجزء كبير منها، بحجة توفير مسكن وتكاليف زواج، بينما يتجرع الفقراء والمساكين الجوع والمرض.

الكلمات المفتاحية: الزكاة، الإسلام، الأموال، الفقراء، الاقتصاد الإسلامي، تطبيقات الزكاة

المقدمة:

الزكاة عبادة قديمة عرفت في الرسالات السماوية السابقة عن الإسلام، وقد ذكرها الله عز وجل في وصاياه إلى رسله وفي وصايا رسله إلى أممهم[1]. فلا دين بغير هذا الواجب الاجتماعي العريق.[2] يقول المولى عز وجل عن الخليل إبراهيم وابنه إسحاق وحفيده يعقوب: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين" (سورة الأنبياء، الآية 73). ويقول عن إسماعيل عليه السلام: "وأذكر في الكتاب إسماعيل أنه كان صادق الوعد وكان رسولا

---

* باحث من الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا" (سورة مريم آية 54 -55). وفي عهد موسى عليه السلام قال الله تعالى "واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة أنا هدانا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون" (سورة الأعراف، آية 156). وفي مواثيقه لبني إسرائيل قال الله تعالى: "وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة" (سورة البقرة آية، 83) وقوله تعالى: "ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم أثنى عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة وأمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل" (سورة المائدة، آية 12) ويقول على لسان المسيح وهو في مهده: "إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا" (سورة مريم، الآية 30-31). ويقول في شأن أهل الكتاب عامة: "وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة" سورة البينة، آية 4-5)

مكانة الزكاة في الإسلام:

الزكاة هي الفريضة الثانية في الإسلام بعد فريضة الصلاة، والركن الثالث من أركانه بعد الشهادتين والصلاة، وعبادة من عباداته الأربع "الصلاة والزكاة والصيام والحج" وشعيرة من شعائر الإسلام الكبرى، ودعامة من دعائم الإيمان، وذكر القران الكريم والحديث الشريف الصلاة مع الزكاة في مواقع كثيرة، وهي تدل دلالة واضحة على قوة الاتصال بينهما وأن إسلام المرء لا يتم إلا بهما، فالصلاة عمود الإسلام من أقامه فقد أقام الدين ومن هدمه فقد هدم الدين، والزكاة قنطرة الإسلام من عبر عليها نجا ومن تجاوزها هلك. [3] قال ابن مسعود رضي الله عنه: "أمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له)" [4] وقد قرنها القرآن بالصلاة في عشرات المواضع، [5] ذكر بعض المؤلفين أنها اثنين وثمانين موضعا من القرآن كذا في (الدر المختار) و(البحر) و(النهر) وغيرها

من كتب الفقه الحنفي، وهو عدد مبالغ فيه حتى لو قالوا : المراد بالزكاة كل ما يدل عليها مثل الإنفاق والماعون وطعام المسكين، ونقل ابن عابدين في حاشيته (رد المحتار) تصويبه باثنين وثلاثين، والواقع أن اقترانها بالصلاة في 28 موضعا فقط، ذكرت في سبع وعشرين منها مقترنة بالصلاة في آية واحدة، وفي موضع ذكرت في سياق واحد مع الصلاة وإن لم تكن في آيتها، وذلك قوله تعالى: "والذين هم للزكاة فاعلون" بعد آية واحدة من قوله تعالى "والذين هم في صلاتهم خاشعون" (سورة المؤمنون الآيتان 2و4)، وقد تكررت كلمة الزكاة معرفة في القرآن الكريم 30 ثلاثين مرة، كما وردت منكرة في آيتين بمعني آخر في سورة الكهف، آية 81 "خيرا منه زكاة " وفي سورة مريم، آية 13 "وحنانا من لدنا وزكاة"، والمتتبع للمواضع الثلاثين التي ذكرت فيها الزكاة يجد أن ثمانية منها في السور المكية والباقي في السور المدنية. (6)

وكما قرنت بالصلاة في عدة أحاديث شريفة منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم سئل عن الإسلام فقال: "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان" (أخرجه الشيخان)، وحديث ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم ألا بحق الإسلام وحسابهم علي الله" (أخرجه الشيخان)، وكذا أحمد عن أبي هريرة، وقال جابر عن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وقرأ (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين)التوبة 11 وأبي أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه ! يعني بذلك قوله والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. (7) ويقول الرسول صلي الله عليه وسلم: "إن تمام إسلامكم أن تؤدوا زكاة أموالكم" البزار. (8)

والزكاة قد تسمي في لغة القرآن والسنة صدقة أيضا حتى قال الماوردي: الصدقة زكاة والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتفق المسمى، وقد وردت الزكاة في القرآن باسم صدقة كما في قوله تعالي: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي

سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عزيز حكيم " (سورة التوبة، آية 60) وقوله تعالي: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها" (سورة التوبة، آية 103)، وقوله "ومنهم من يلزمك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون" (سورة التوبة، آية 58) إلي غيرها من الآيات وقد وردت كلمة "الصدقة" و"الصدقات" في القرآن الكريم اثني عشرة مرة كلها في السور المدنية، كما جاءت الزكاة في بعض الأحاديث الشريفة باسم الصدقة كما في قوله عليه الصلاة والسلام: "ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة وليس فيما دون خمس أواق صدقة" (رواه الشيخان) وغيرهما وفي حديث إرسال معاذ إلي اليمن: "أعلمهم أن الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم". هذه النصوص كلها قد جاءت في شأن الزكاة عبرت عنها بالصدقة ومنه سمي العامل على الزكاة مصدقا لأنه يجمع الصدقات ويفرقها [9].

فرضية الزكاة:

وقد فرضت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة[10] وقيل فرضت بمكة أجمالا ، وبينت بالمدينة تفصيلا، ومن الآيات الدالة علي فرضيتها بمكة قوله تعالى "وآتوا حقه يوم حصاده" (سورة الأنعام، آية 141) وقوله تعالى: "وفي أموالهم حق للسائل والمحروم" (سورة الذاريات، آية 19). ومن الآيات الدالة علي فرضيتها بالمدينة قوله تعالى: "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" (سورة النور، آية 56) وقوله تعالى: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها" (سورة التوبة، آية 103). فقد فرضت الزكاة بمكة في أول الإسلام مطلقة، لم يحدد فيها المال الذي تجب فيه ولا مقدار ما ينفق منه وترك ذلك لشعور المسلمين وكرمهم وفي السنة الثانية من الهجرة فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال وبينت بيانا مفصلا [11].

وقد ثبتت فرضية الزكاة بالآيات القرآنية الصريحة المتكررة، وبالسنة النبوية المتواترة وبإجماع الأمة كلها خلفا عن سلف وجيلا إثر جيل [12]. فقد اتفقت الأمة علي فرضيها وعلي أنها ركن من أركان الإسلام [13]. وقال بعض العلماء إن العقل أيضا يدل على فرضية الزكاة كما يدل

الكتاب والسنة والإجماع، ومراده عقل المسلم الذي يؤمن بحكمة الله تعالى ورحمته بخلقه، وذلك من عدة وجوه. ومنها أن أداء الزكاة من باب إعانة الضعيف وإغاثة اللهيف وإقدار العاجز وتقويته علي أداء ما افترض الله عز وجل عليه من التوحيد والعبادات والوسيلة إلي أداء المفروض مفروضة كما أن الزكاة تطهر نفس المؤدي من أنجاس الذنوب وتزكي أخلاقه بتخلق الجود والكرم وترك الشح والضن إذ النفس مجبولة علي الضن بالمال فتتعود السماحة وترتاض لأداء الأمانات وإيصال الحقوق إلي مستحقيها، وقد تضمن ذلك كله قوله تعالى: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها".(سورة التوبة، الآية 103) كما أن الله تعالي قد أنعم على الأغنياء وفضلهم بصنوف النعمة والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية وخصهم بها، فيتنعمون ويستمتعون بلذيذ العيش وشكر النعمة فرض عقلا وشرعا وأداء الزكاة إلى الفقير من باب شكر النعمة فكان فرضا [14].

وقد جعل القرآن إيتاء الزكاة مع التوبة من الشرك وإقامة الصلاة والشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة عنوان الدخول في الإسلام واستحقاق أخوة المسلمين والانتماء إلى المجتمع الإسلامي. قال الله تعالى: "فإن تابوا أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم" سورة التوبة، الأية 5)، وقال أيضا: "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فإخوانكم في الدين". سورة التوبة، الآية 11)، فلا يتحقق لكافر الدخول في جماعة المسلمين وتثبت له أخوتهم الدينية التى تجعله فردا منهم، له ما لهم وعليه ما عليهم، وتربطه بهم رباطا لا تنفصم عراة، إلا بالتوبة عن الشرك وتوابعه وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة التي هي الرابطة المالية الاجتماعية بينهم [15]. والزكاة من شروط البيعة للدخول في دين الله عز وجل [16]. روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله قال: بايعت رسول الله صلي الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم [17]. وإيتاء الزكاة من دلائل الإيمان فالأموال محبوبة عند الخلائق لأنها من متاع وزينة الحياة فإذا ضحي المزكي بالمال الذي يحبه امتثالا لأوامر الله وطمعا في رضائه عز وجل فهذا دليل علي قوة الإيمان ولقد أشار إلي ذلك الله سبحانه وتعالي في قوله تعالى: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" (سورة آل عمران:92). كما جعل القرآن إيتاء الزكاة من أوصاف المؤمنين والمحسنين والأبرار المتقين، وجعل منعها من

خصائص المشركين والمنافقين فهي محل الأيمان وبرهان الإخلاص كما جاء في الصحيح "الصدقة برهان"، وهي فيصل التفرقة بين الإسلام والكفر وبين الإيمان والنفاق وبين التقوى والفجور وبغير إيتاء الزكاة لا ينتظم المرء في عقد المؤمنين الذين كتب الله لهم الفلاح وضمن لهم ميراث الفردوس، قال الله تعالى: "قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون" (سورة المؤمنون الآيات 1-4).

وبدون الزكاة لا يدخل أحد في زمرة المحسنين المهتدين بكتاب الله تعالى، والذين قال الله فيهم: "هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون". (سورة لقمان، الآية 3-4). وبدون الزكاة لا يكون من الأبرار الصادقين المتقين، قال الله تعالى: "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتي الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون" (سورة البقرة، آية 177). وبدون الزكاة لا يفارق المشركين الذين وصفهم القرآن بقوله تعالى: "وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون"(سورة فصلت، آية6-7). وبغير الزكاة لا يتميز عن المنافقين الذين وصفهم الله بأنهم: "يقبضون أيديهم" (سورة التوبة، آية 67) أي عن الإنفاق ، وبأنهم "لا ينفقون إلا وهم كارهون"(سورة التوبة، آية 54)، وبغير الزكاة لا يستحق رحمة الله التى أبى أن يكتبها إلا للمؤمنين المتقين المؤتين للزكاة قال تعالى: "ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون" [18].

والزكاة وسيلة من وسائل الحصول علي رحمة الله، قال تعالى في سورة النور، آية 56 "وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون"، وقال الله تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله" (سورة التوبة، آية 71) أي إن الجماعة التي يباركها الله ويشملها برحمته هي الجماعة التي تؤمن بالله ويتولى بعضها بعضا بالنصر والحب وتأمر بالمعروف وتنهي عن

المنكر وتصل ما بينها وبين الله بالصلاة وتقوي صلاتها ببعضها بإيتاء الزكاة [19]. وبدون الزكاة لا يستحق ولاية الله ولا رسوله ولا المؤمنين قال تعالى: "إنما وليكم الله ورسوله والذين أمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهو راكعون" (المائدة:55). وبدون إيتاء الزكاة لا يستحق نصر الله الذي وعد به من نصره فالنصر من عند الله لمن يؤدون هذا الحق ويقومون بواجبهم للمجتمع، فيستحقون التمكين لهم في الأرض "ولينصروا الله من ينصره، أن الله لقوي عزيز الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور" (سورة الحج، آية 40).[20] ولأهمية الزكاة ، سخا العليم الكريم في ثواب مؤديها قال تعالى: "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (سورة البقرة: 277).[21]

الحض على البر في كل صورة:

ومن قبل تشريع الزكاة ومنذ فجر الإسلام في مكة والمسلمون أفراد معدودون مستخفون بدينهم مضطهدون في ديارهم، كان للقرآن عناية بالغة بالبر ورعاية المسكين وأداء حق السائل والمحروم، فالعقبة التي على كل إنسان أن يجتازها حتى يصل إلى رضاء الله تتمثل في البر بالناس من تحرير للرقيق وإطعام للمسكين واليتيم، قال تعالى: "فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين أمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة". البلد:11-18، وفي سورة الضحى وهي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم، "فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر". (الضحى 9-10)، وفي سورة الذاريات في وصف المتقين: "وفي أموالهم حق للسائل والمحروم" (الذاريات:19)، وفي سورة القلم يقص الله على المسلمين قصة أصحاب الجنة الذين اعتزموا أن يقطفوا ثمارها بليل ليحرموا منها المساكين "فطاف عليها طائف من ربك وهو نائمون فأصبحت كالصريم" (القلم: 19-20). وفي سورة الحاقة يعلل جزاء من يسجر في الجحيم ويسحب في السلاسل والأغلال "إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين" (الحاقة 33-34)، وفي سورة فصلت ينذر الله المشركين بالويل ويجعل من أخص أوصافهم

عدم إيتاء الزكاة، "وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالأخرة هم كافرون"(فصلت 6-7) ، وفي سورة الشورى يمدح الله المجتمع المؤمن، "والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون" (الشورى: 38). وقد جعل القرآن إهمال الحث على العناية بالمسكين من موجبات الجحيم والعذاب الأليم، وفي هذا يقص علينا القرآن مشهدا من مشاهد الآخرة بين أهل اليمين في الجنة وأهل الشمال في النار فأصحاب اليمين، "في جنات يتسألون عن المجرمين، ما سلككم في سقر قالوا لم نكن من المصلين ولم نكن نطعم المسكين" (المدثر:40-44). فهنا كان ترك إطعام المسكين من موجبات الخلود في سقر.

وأروع من ذلك وأعجب أن القرآن لا يكتفي بإيجاب إطعام المسكين ومثل إطعامه كسوته ورعاية ضروراته وحاجاته بل يزيد على ذلك فيجعل في عنق كل مؤمن حقا للمسكين أن يحض غيره على إطعامه ورعايته ويجعل ترك هذا الحض من لوازم الكفر بالله والتكذيب بيوم الدين، نقرأ في هذا قول الله تعالى: "أريت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون" (الماعون:1-7)، فقهر اليتيم وإهمال الحث على رعاية المسكين جعلا دليلا على أن القلب خلو من الإيمان بالأخرة والتصديق بالجزاء، وما كان لمثل هذا الشخص من صلاة فهي صلاة الساهين المرائين، ويقول تعالى في شأن أصحاب الشمال: "وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغني عني ماليه هلك عني سلطانيه" (الحاقة:25-29)، ثم يصدر الله عليه الحكم الذي يستحقه "خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه" (الحاقة:30-32)، ثم يذكر أسباب هذا الحكم الشديد: "إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين" (الحاقة33-34)، فلا يجوز لمؤمن أن يعيش في دائرة نفسه مغفلا واجبه نحو الآخرين من ضعفاء ومساكين فهذا نقص في إيمانه و موجب لسخط الله في الدنيا والآخرة.[22]

الزكاة في اللغة:

وكلمة الزكاة في اللغة تدل على الطهارة والنماء والبركة، يقال زكت نفسه إذا طهرت، وزكا الزرع إذا نما، وزكت البقعة إذا بورك فيها [23]. في المعجم الوسيط الزكاة هي البركة والنماء والطهارة والصلاح، وفي لسان العرب أصل الزكاة الطهارة والنماء والبركة والمدح، قال الواحدي وغيره أن أصل مادة (زكا) الزيادة والنماء، يقال زكا الزرع يزكو زكاء وكل شئ ازداد فقد زكا، ولما كان الزرع لا ينمو إلا إذا خلص من الدغل كانت لفظة الزكاة تدل على الطهارة أيضا، وإذا وصف الأشخاص بالزكاة بمعني الصلاح، فذلك يرجع إلي زيادة الخير فيهم، يقال رجل زكى أي زائد الحد من قوم أزكياء، وزكى القاضي الشهود إذا بين زيادتهم في الخبر. [24]

واختيار الإسلام لهذه الكلمة ليعبر بها عن الفريضة المالية المعلومة تكشف عما يقصد إليه الإسلام من وراء هذه الفريضة، فالزكاة فيها معني الطهارة ومعني النماء كلاهما، فهي طهارة لآخذ الزكاة ولمعطيها، فأما معطيها فيتطهر بها من رجس الشح البغيض والبخل تلك الآفة النفسية الخطرة التي قد تدفع من اتصف بها إلى الدم فيسفكه أو العرض فيبذله أو الوطن فيبيعه ولن يفلح فرد أو مجتمع سيطر الشح عليه وملك ناصيته قال تعالى: "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" (سورة الحشر:09)، وهي في الجانب الآخر طهارة لآخذ الزكاة ومستحقيها تتطهر بها نفسه من الحسد والبغضاء والضغن.

والزكاة طهارة للمجتمع كله أغنيائه وفقرائه من عوامل الهدم والتفرقة والصراع والفتن الهوج ولعل هذا كله ما تهدي إليه الآية الكريمة "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها" (التوبة: 103). ثم هي طهارة للمال، فالمال الذي يكنزه صاحبه أو يستمتع به لنفسه ولا يخرج منه حق الله الذي فرضه يظل خبيثا نجسا حتى تطهره الزكاة وتغسله من أدران الشح والبخل، فقد سميت زكاة لأنها مطهرة للمال بإخراج حق الغير منه وفي مثل هذا يقول بعض السلف (الحجر المغصوب في الدار رهن بخرابها) وكذلك الدرهم الذي استحقه الفقير في المال رهن بتلويثه كله ولهذا روي عن

النبي صلي الله عليه وسلم: "إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره" رواه الحاكم وأكثر من ذلك ما روي أنه قال: "حصنوا أموالكم بالزكاة". رواه أبو داود في المراسيل [25].

ثم للزكاة مدلولات أخرى، ومنها أنها نماء لشخصية الغني وكيانه المعنوي، فالإنسان الذي يسدي الخير ويصنع المعروف ويبذل من ذات نفسه ويده لينهض بإخوانه في الدين والإنسانية وليقوم بحق الله عليه يشعر بامتداد في نفسه وانشراح واتساع في صدره ويحس بما يحس به من انتصر في معركة، وهو فعلا قد انتصر على ضعفه وأثرته وشيطان شحه وهواه فهذا هو النمو النفسي والزكاة المعنوية. ولعل هذا ما نفهمه من عبارة الآية القرآنية (تطهرهم وتزكيهم بها) فعطف التزكية على التطهير قد يفيد هذا المعني الذي ذكرناه إذ كل كلمة في القرآن لها معناها ودلالتها، والزكاة أيضا نماء لشخصية الفقير حيث يحس أنه ليس ضائعا في المجتمع ولا متروكا لضعفه وفقره، ويشعر أن مجتمعه يعمل على إقالة عثرته ويحمل عنه أثقاله ويمد له يد المعونة بكل ما يستطيع. وبعد ذلك هو لا يتناول الزكاة من فرد يشعر بالاستعلاء عليه ويشعر هو بالهوان أمامه بل يأخذ حقه من يد الدولة حرصا على كرامته أن تخدش، ولو قدر للأفراد أن يكونوا هم المعطين بأنفسهم فالقرآن يحذرهم المن والأذى "قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم " (البقرة: 263).

الزكاة نماء للمال:

الزكاة بعد ذلك نماء للمال وبركة فيه وربما استغرب ذلك بعض الناس فالزكاة في الظاهر نقص في المال بإخراج بعضه فكيف تكون نماء وزيادة؟! ولكن العارفين ببواطن الأمور يعلمون أن هذا النقص الظاهري وراءه زيادة حقيقية زيادة في مال المجموع وزيادة في مال الغني نفسه فإن هذا الجزء القليل الذي يدفعه يعود عليه أضعافه من حيث يدرى أو لا يدري. [26] وهي توحي كذلك بأن هذا المال الذي ينقص في الظاهر، لمن ينظر ببصره، يزكو وينمي ويزيد في حقيقة الأمر لمن يتأمل ببصيرته. قال الله تعالى: "يمحق الله الربا ويربي الصدقات" (سورة البقرة: 276) [27]. و بها يبارك في المال ويخلف على المتصدق. قال تعالى: "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه: (سورة سبأ: 39). وعن أبي كبشة الأنماري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ما نقص مال من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب

فقر" (أخرجه الترمذي [28]. ولهذا نرى **بعض** الدول الغنية المتخمة تتبرع بأموال من عندها لبعض الدول الفقيرة لا لله ولكن لتخلق قوة شرائية لمنتجاتها، وإذا نظرنا نظرة نفسية نري أن الدينار في يد رجل تخفق له القلوب بالحب وتهتف له الألسنة بالدعاء وتحوطه الأيدي بالحماية والرعاية، الدينار مع هذا الإنسان أشد قدرة وأكثر حركة من بضعة دنانير مع غيره ممن يعيش لنفسه غريقا في أنانيته يتمني الناس له الفشل والإخفاق، ولعل هذا التفسير الاقتصادي للنماء هو بعض ما تشير إليه آيات القرآن: "الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم" (سورة البقرة: 268). "وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون" (سورة الروم:39). ولا ننس هنا عمل العناية الإلهية في هذا الإخلاف والإرباء بغير ما نعرف من الأسباب والله يؤتي من فضله ما يشاء لمن يشاء والله ذو الفضل العظيم [29].

الزكاة في الشرع

ومعني الزكاة شرعا جزء معلوم من مال معلوم يؤدي إلى مستحقيه عباده لله وطاعة [30] أي هي اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء وسائر مصارفها [31]. وهي حق مقدر فرضه الله في أموال المسلمين، حق دوري محدد ثابت في المال وواجب على الأعيان بصفة دائمة شكرا لنعمة الله وتطهيرا وتزكية للنفس والمال وهو حق واجب الأداء، ولو لم يجد فقير يستحق المواساة أو حاجة تستدعي المساهمة [32] وهي تطلق علي الحصة المقدرة من المال التي فرضها الله للمستحقين، كما تطلق علي نفس إخراج هذه الحصة [33]. وفي قول الرسول صلي الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه واليا ومعلما إلى اليمن "أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم"(رواه الشيخان) دليل على أن الزكاة في نظر الإسلام ليست إلا صرف بعض أموال الأمة ممثلة في أغنيائها إلى الأمة نفسها ممثلة في فقرائها، وبعبارة أخرى ليست إلا نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها، وهى اليد المشرفة التي استخلفها الله على حفظه وتنميته والتصرف فيه وهي يد الأغنياء، إلى اليد الأخرى وهي اليد العاملة الكادحة، التي لا يفي عملها بحاجتها أو التي عجزت عن العمل وجعل رزقها فيه ومنه وهي يد الفقراء [34].

الزكاة حق واجب أداءه:

والزكاة في الإسلام حق للفقير وللمجتمع، وقدر الشرع الإسلامي نصبه ومقاديره وحدوده وشروطه ووقت أدائه حتى يكون المسلم علي بينة من أمره ومعرفة بما يجب عليه وكم يجب؟ ومتى يجب؟ [35] والإنسان ليس هو المالك الحقيقي للمال، وإنما هو أمين عليه من قبل مالكه الأصلي، وهو الله تعالى مالك المال وواهبه وخالقه ورازقه، ومن واجب الإنسان أن يذعن لما يأمر به هذا الخالق الرازق الوهاب[36].

والزكاة حق للفقير بوصفه أخا للغني في الدين والإنسانية، فقد جعل الإسلام المجتمع كالأسرة الواحدة، يكفل بعضها بعض، بل كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكي كله، فمن حق الفقير الذي لا يستطيع أن يعمل أو يستطيع أن يعمل ولا يجد عملا أو يعمل ولا يجد كفايته من عمله أو يجد ولكن حل به من الأحداث ما أفقره إلى المعونة، من حقه أن يعان ويشد أزره ويؤخذ بيده وليس من الإيمان ولا من الإنسانية أن يشبع بعض الناس حتى يشكو التخمة وإلى جواره من طال حرمانه ويعاني من الجوع [37]. يقول أهل العلم فضل الفقراء على الأغنياء كبير لأنهم سبب لإثابتهم. [38] وقد ذهب الإمام الشافعي إلى أن الزكاة حق يتعلق بعين المال، فلا يجوز للمالك التصرف فيه، ويصير الفقراء شركاء لرب المال في قدر الزكاة، فلو باع مال الزكاة بعد الحول قبل إخراجها بطل البيع في قدر الزكاة حتى لو مات الفقير بعد وجوب الزكاة وقبل أن يقبضها يدفع نصيبه إلى ورثته. [39]. والزكاة مع أنها حق الفقير فهي حق الجماعة أيضا، فالإنسان لم يكسب ماله بجهده وحده بل شاركت فيه جهود وأفكار وأيد كثيرة بعضها عن قصد وبعضها عن غير قصد بعضها ساهم من قريب وبعضها ساهم من بعيد وكلها أسباب عاونت في وصول المال إلى ذي المال، فإذا نظرنا إلى التاجر مثلا كيف جمع ماله وحقق كسبه؟ رأينا للمجتمع عليه فضلا كبيرا فمن يشتري؟ ولمن يبيع؟ ومع من يعمل؟ وبمن يسير إذا لم يكن المجتمع؟ وهكذا الزارع والصانع وكل ذي مال فمن حق المجتمع ممثلا في الدولة التي تشرف عليه وترعي مصالحه وتسد حاجات أفراده أن يكون لها نصيب من مال ذي المال. فلو لم يكن في المجتمع المسلم أفراد فقراء أو مساكين، لوجب على المسلم أن يؤدي زكاته ولابد لتكون رصيدا للجماعة تنفق منه عند المقتضيات ولتبذل منه في سبيل الله وهو مصرف عام ودائم مادام في

الأرض إسلام. والزكاة بعد ذلك وقبل ذلك حق الله تعالى، فالله هو المالك الحقيقي لكل ما في الكون أرضه وسمائه والمال في الحقيقة ماله لأنه خالقه وواهبه وميسر سبله ومانح الإنسان القدرة على اكتسابه، إذا زرع الإنسان زرعا فأنبت حبا أو غرس غرسا فآتى ثمرا فكم يوازي عمل يده في الحرث والسقي والتعهد بجانب عمل يد الله الذي جعل الأرض ذلولا وأنزل الماء من السماء مطرا؟ وأجراه في الأرض نهرا وهيأ للحبة في باطن التراب غذاءها حتى صارت شجرة مورقة مثمرة. ألا ما أقل عمل الإنسان وجهده بجانب رعاية الله! ثم ما عمل الإنسان إذا لم يهبه الله الأدوات التي يعمل بها والعقل الذي يفكر ويدبر؟ ولهذا يبين لنا القرآن فضل الله على عباده ويرد الحق إلى نصابه فيقول: "أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظللتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرمون أفرأيتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون" (الواقعة: 63-70). ويقول في سورة أخرى: "فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا" (عبس: 24-28). وفي سورة ثالثة يقول: "وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا تشكرون" (يس: 33 - 35).

نعم (أفلا يشكرون) وهم يأكلون من ثمار لم تعملها أيديهم وإنما عملتها يد الله، الله الذي أحيا الأرض الميتة وأخرج **منها** الحب وأنشأ الجنات وفجر العيون، وليس عمل يد الله في الزراعة فحسب بل في كل ناحية من الحياة زراعة أو تجارة أو صناعة أو غيرها، ففي الصناعة مثلا نجد المادة الخام من خلق الله لا من إنتاج الإنسان، ومن هنا امتن الله على الناس بمادة الحديد فقال: "وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس" (الحديد:25) والتعبير بـ (أنزلنا) يعني أن الله خلقه بتدبير سماوي علوي لا دخل للإنسان فيه، ونجد الاهتداء إلى الصناعات من إلهام الله وتعليمه للإنسان ما لم يكن يعلم، كما قال تعالى عن نبي الله داود. "وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون" (الأنبياء: 80)، والنتيجة من هذا أن المال رزق يسوقه الله للإنسان فضلا منه ونعمة، ومهما ذكر الإنسان عمله وجهده فليذكر عمل القدرة الإلهية في الإيجاد والإمداد، فلا غرابة بعد هذا أن ينفق الإنسان عبد الله بعض ما رزقه الله على إخوانه عباد الله قياما للواجب المنعم بحق الشكر على نعمائه،

ومن أجل هذا يقول الله في كتابه: "أنفقوا مما رزقناكم" (سورة البقرة:254) ويقول الله جل وعلا: "ومما رزقناهم ينفقون" (سورة البقرة :3 [40].

الزكاة عبادة:

والزكاة، عبادة من ناحية حيث يؤديها المسلم عبادة لله، وطاعة وامتثال لأوامره وابتغاء مرضاته وشكرا له واعترافا بفضله، وهي فريضة مالية تفرض على المال متى توافرت فيه شروط الخضوع للزكاة، حتى ولو كان صاحب المال لم يكلف بالعبادات مثل خضوع مال اليتيم للزكاة وهو قاصر، ودليل ذلك قول الرسول صلي الله عليه وسلم: "اتجروا في أموال اليتامى حتى لا تأكلها الصدقة" رواه الطبراني) [41]. والزكاة فريضة ثابتة واجبة التطبيق على مدار الأزمنة وفي كل مكان، ما دام في الأرض إسلام ومسلمون لا يبطلها جور جائز ولا عدل عادل، شأنها شأن الصلاة، فهذه عماد الدين وتلك قنطرة الإسلام، فلو كان المسلم في مكان لا يجد فيه مسجدا ولا إماما يأتم به، وجب عليه أن يصلي حيث تيسر له في بيته أو غيره، فالأرض كلها مسجد للمسلم، ولا يترك الصلاة أبدا والزكاة أخت الصلاة [41]. والمسلم مطالب بأدائها، ولا تسقط عنه بحال مثلها في ذلك مثل الصلاة، حيث يفرض عليه دينه أن يقوم بتفرقتها على أهلها، إن فرطت الدولة في المطالبة بها، وتقاعس المجتمع عن رعايتها، وإذا لم توجد الحكومة المسلمة التي تجمع الزكاة من أربابها وتصرفها علي مستحقيها، فإن لم يطالبه بها السلطان طالبة بها الإيمان والقرآن، وعليه أن يعرف من أحكام الزكاة ما يمكنه من أدائها علي الوجه المشروع المطلوب، كما يجب علي المسلم أن يدفع الزكاة وهو طيب النفس بها راجيا أن يتقبلها الله منه، ولا يردها عليه، ويستحب له أن يسأل ربه قبولها بمثل هذا الدعاء، "اللهم اجعلها مغنما ولا تجعلها مغرما: [42]

الزكاة واجب اجتماعي:

والزكاة من ناحية أخرى واجب اجتماعي فيمكن أن يقال عنها واجب اجتماعي تعبدي [43] حيث تهدف الزكاة إلي تحقيق التكافل والضمان الاجتماعي [44]وإقامة التوازن المعيشي بين أفراد الشعب[45] بتوزيع الثروة وتداولها بين أفراد المجتمع [46] فلم تكن الزكاة مجرد معونة وقتية، لسد حاجة عاجلة

للفقير، وتخفيف شيء من بؤسه، ثم تركه بعد ذلك لأنياب الفقر والفاقة، بل كان هدفها إغناء الفقراء إغناء دائما، يستأصل شأفة العوز من حياتهم ويقدرهم على أن ينهضوا وحدهم بعبء المعيشة، وذلك لأن مهمتها أن تيسر للفقير قواما من عيش، لا لقيمات أو دريهمات وهي فريضة دورية منتظمة دائمة الموارد [47]، وحق محدد مقرر لا تهاون فيه، تتولى الدولة المسلمة جبايته وتوزيعه [48].

تمثل الزكاة عنصرا رئيسا في الاقتصاد الإسلامي ومن مقومات النظام المالي الإسلامي وموردا من موارد الخزينة العامة ومصدرا أساسيا للتمويل في الدولة الإسلامية، كما تساهم الزكاة في التنمية الاقتصادية، كما تمثل مصدر من مصادر تمويل الجهاد في سبيل الله وتحقيق العزة السياسية [49]. وهذا كله لا يتحقق إلا إذا وزعت بالحق ومنعت من الباطل ويعني بذلك الالتزام بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية في جبايتها وصرفها [50]. والزكاة في الإسلام أوسع مدي وأبعد أهدفا من الزكاة في الأديان الأخرى، فهي نظام جديد متميز يغاير ما جاءت به الديانات السابقة من وصايا ومواعظ ترغب في البر والإحسان وتحذر من البخل والإمساك، كما أنها شيء آخر يخالف الضرائب والمكوس التي كان يجبيها الملوك والأباطرة، وكانت كثيرا ما تؤخذ من الفقراء لترد على الأغنياء، وتنفق على أبهة الحاكمين وترفهم وإرضاء أقاربهم وأنصارهم وحماية سلطانهم من الزوال. [51]. الزكاة الإسلامية التي شرعت في العهد المدني شيء يزيد على البر والإنفاق العام وعن الزكاة المطلقة التي شرعت في العهد المكي بل شرعت في الديانات السابقة كما ذكر القرآن، فهي تشريع جديد لم يسبق إليه دين سماوي ولا تنظيم ارضي إنها ركن من أركان الإسلام **ودعامة** من دعائم الإيمان وجزء هام من نظام الإسلام الاقتصادي، ذلك النظام الفريد الذي عالج مشكلة الفقر أو مشكلة المال على وجه عام قبل أن تعرف الدنيا نظاما عنى بعلاج هذا الجانب الخطير من حياة الإنسان. [52]

ويأبى الإسلام أن يوجد في مجتمعه من لا يجد القوت الذي يكفيه والثوب الذي يواريه والمسكن الذي يؤويه، فهذه ضروريات يجب أن تتوافر لكل من يعيش في ظل الإسلام، والمسلم مطالب بأن يحقق هذه الضرورات وما فوقها من جهده وكسبه، فإن لم يستطع فالمجتمع يكفله ويضمنه ولا يدعه فريسة الجوع والعري والمسكنة [53]، فقد أمر الإسلام كل قادر أن يعمل ويسعى في طلب الرزق ليكفي نفسه ويغني أسرته ويسهم بالنفقة في سبيل الله، فمن لم يستطع وعجز عن العمل ولم يكن لديه من

المال الموروث أو المدخر ما يسد حاجته، كان في كفالة أقاربه الموسرين ينهضون به ويقومون بشأنه، ولكن ليس لكل فقير، قريب قادر موسر لينفق عليه، فماذا يصنع المسكين الضعيف الذي ليس له أقارب أقوياء يحملونه من ذوى عصبته أو ذوى رحمه؟ وماذا يصنع المحتاجون العاجزون عن الكسب لضعف ذاتي كالصغر والأنوثة والشيخوخة؟ وأمثال الصبي اليتيم والمرأة الأرملة والأم العجوز والشيخ الهرم؟ وماذا يصنع المعتوه والزمن والأعمى والمريض وذوي العاهة؟ وماذا يصنع القادر على العمل الذي لم يجد عملا حلالا يليق بمثله يرتزق منه؟ والعامل الذي وجد عملا لا يقوم دخله منه بكفايته هو وأسرته أو يكفيه دون تمامها؟ أيترك كل هؤلاء للفقر القاهر والحاجة القاسية تفترسهم افتراسا والمجتمع ينظر إليهم؟! إن الإسلام لم ينس هؤلاء، لقد فرض الله لهم في أموال الأغنياء حقا معلوما وفريضة مقررة ثابتة هي الزكاة، وقد حل لهم جميعا الأخذ منها ولا حرج عليهم في دين الله (54).

وتعتبر الزكاة جزء من نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام ذلك التكافل الذي يشمل جوانب الحياة المادية والمعنوية فهناك التكافل الأدبي والتكافل العلمي والتكافل السياسي والتكافل الدفاعي والتكافل الجنائي والتكافل الأخلاقي والتكافل الاقتصادي والتكافل الحضاري وأخيرا التكافل المعيشي وهو الذي خصص اليوم خطأ باسم التكافل الاجتماعي (55). ويهدف هذا النظام إلى توفير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية المناسبة لإقامة الحياة الطيبة وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتكافل هو فرض عين علي كل مسلم مكلف، بحيث يكون كل فرد قادر كفيلا في مجتمعه، يعاون الآخرين ماديا ومعنويا، لقضاء حوائجهم ودفع الضرر عنهم، وتحقيق مصالح الجماعة بصفة عامة. فهي مسئولية نابعة من مبدأ الاستخلاف، وناتجة عن حقيقة تفاوت قدرات وموارد الأفراد في المجتمع، حيث يستدعي هذا التفاوت تبادل المنافع واستكمال جوانب العجز في إشباع حاجات الآخرين قال الله تعالى:"أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا" (سورة الزخرف:32). ومن ناحية أخري فإن تعدد حاجات البشر وتنوعها يؤدي إلى صعوبة إشباعها فرديا، ولذا فان التكافل الاجتماعي يؤيد عملية استيفاء الحاجات بين أفراد المجتمع (56). والتكافل الاجتماعي نظام أشمل وأوسع كثيرا من الزكاة لأنه يتمثل في عدة خطوط تشمل فروع الحياة كلها ونواحي الارتباطات

البشرية جميعا والزكاة خط واحد من هذه الخطوط وهي تشمل ما يسمى الآن بالتأمين الاجتماعي والضمان الاجتماعي مجتمعين، والفرق بين التامين والضمان أن كل فرد في التأمين يؤدي قسطا من دخله في نظير تأمينه عند عجزه الدائم أو المؤقت. أما في الضمان فالدولة هي التي تقوم بها من ميزانيتها العامة بدون أن يشترك أفراد المجتمع بأداء قسط معين، وأن كثيرا ممن يؤدون الزكاة في عام قد يكونون في العام التالي مستحقين للزكاة بنقص ما في أيديهم عن الوفاء بحاجاتهم، أو حلول كوارث جعلتهم يستدينون على أنفسهم وعيالهم، أو انقطاعهم عن وطنهم ومالهم، أو نحو ذلك فهي من هذه الناحية تأمين اجتماعي.

وهناك آخرون لم يكونوا ممن وجبت عليهم الزكاة من قبل ولم يساهموا بشيء في حصيلة الزكاة ولكنهم يستحقونها لفقرهم وحاجتهم فهي من هذه الناحية ضمان اجتماعي. غير أن الزكاة في الواقع أقرب إلى الضمان منها إلى التأمين لأنها لا تعطي الفرد بمقدار ما دفع كما هو الشأن في نظام التأمين، وإنما تعطيه بمقدار ما يحتاج إليه قل ذلك أو كثر، فمن بين أهداف الزكاة ما له صبغة اجتماعية، كمساعدة ذوي الحاجات والأخذ بأيدي الضعفاء من فقراء ومساكين وغارمين وأبناء السبيل، فإن مساعدة هؤلاء تؤثر فيهم بوصفهم أفرادا، وتؤثر في المجتمع كله باعتباره كيانا متماسكا.

والحق أن الحدود بين الفرد والمجتمع متداخلة. بل المجتمع ليس إلا مجموع أفراده فكل ما يقوي شخصية الفرد وينمي مواهبه وطاقاته المادية والمعنوية، هو من غير شك تقوية للمجتمع وترقية له، وكل ما يؤثر في المجتمع بصفة عامة يؤثر في أفراده شعروا بذلك أو لم يشعروا، فلا عجب أن نعد تشغيل العاطل ومساعدة العاجز ومعونة المحتاج كالفقير والمسكين والرقيق والمدين أهدافا اجتماعية لما تؤدي إليه من تماسك المجتمع وتكافله، وهي في الوقت نفسه أهداف فردية بالنظر لهؤلاء الآخذين للزكاة. ولقد سددت الزكاة كل ما يتصور من أنواع الحاجات الناشئة عن العجز الفردي أو الخلل الاجتماعي أو الظروف العارضة التي لا يسلم من تأثيرها بشر ونحن نقرأ فيما كتبه الإمام الزهري لعمر بن عبد العزيز عن مواضع السنة في الزكاة: أن فيها نصيبا للمزمنين و والمقعدين، ونصيبا لكل مسكين به عاهة لا يستطيع عيلة ولا تقلبا في الأرض، ونصيبا للمساكين الذين يسألون ويستطعمون حتى يأخذوا كفايتهم ولا يحتاجوا بعدها إلى السؤال، ونصيبا لمن في السجون من أهل الإسلام ممن

ليس له أحد، ونصيبا لمن يحضر المساجد من المساكين الذين لا عطاء ولا سهم لهم **أي ليس** لهم رواتب ولا معاشات منتظمة ولا يسألون الناس، ونصيبا لمن أصابه فقر وعليه دين ولم يكن شيء منه في معصية الله ولا يتهم في دينه أو قال في دينه، ونصيبا لكل مسافر ليس له مأوي ولا أهل يأوي إليهم فيؤدي ويطعم وتعلف دابته حتى يجد منزلا أو يقضي حاجة. فهو ضمان شامل لكل أصناف المحتاجين وكل حاجاتهم المختلفة بدنية ونفسية وعقلية. وقد رأينا كيف اعتبر الزواج من الحاجات التي يجب إشباعها، وكذلك كتب العلم لأهلها. ولم يكن ذلك خاصا بالمسلمين وحدهم بل شمل كل من يعيش في ظل دولتهم من اليهود والنصارى كما فعل سيدنا عمر مع اليهودي الذي وجده يسأل على الأبواب وأمر بكفالته من بيت مال المسلمين. ورأى مرة أخرى في طريقه إلى دمشق قوما مجذومين من النصارى، فأمر أن يرتب لهم معاشا من بيت المال الإسلامي، وبذلك تعد الزكاة أول تشريع منظم في سبيل ضمان اجتماعي لا يعتمد على الصدقات الفردية التطوعية بل يقوم على مساعدات حكومية دورية منتظمة، وغايتها تحقيق الكفاية لكل محتاج في المطعم والملبس والمسكن وسائر الحاجات، ولمن يعوله في غير إسراف ولا تقتير. (57)

فضائل الزكاة:

للزكاة عدة فضائل: ففي التربية الروحية تقوي الإيمان والامتثال والطاعة والشكر لله وتحرر النفس من عباده المال وسطوته، وفي التربية الخلقية تغرس عند المزكي فضيلة الإخلاص والصدق والأمانة والبذل والعطاء والرحمة والتراحم، فمن المقاصد السامية للزكاة تطهير القلوب وتزكيه النفوس وإصلاح الصدور، كما لها أثرا في تحقيق العدالة الاجتماعية حيث تحقق التضامن والتكافل بين الناس وتقرب الفوارق بينهم وتقوي روح الحب والمودة وبذلك يوجد المجتمع الفاضل.

وللزكاة أيضا أثر بالغ على التنمية الاقتصادية حيث تمنع الاكتناز وتساهم في علاج مشكلة الفقر والتضخم والبطالة وسوء توزيع الدخل. ولها أثر فعال في تحقيق العزة السياسة من خلال إعداد القوة العقائدية للمجاهدين والإنفاق على أسرهم وتمويل القوة المادية للجهاد وكذلك الدعوة إلي الله بالحكمة والموعظة الحسنة ونصرة المسلمين المظلومين المضطهدين، كما تساهم الزكاة في حفظ

مقاصد الإنسان الخمس الدين والنفس والعقل والعرض والمال، فلا يقتصر أثرها الطيب علي الأفراد فقط بل تعالج المجتمع من أمراضه المختلفة. [58]

الزكاة والاقتصاد:

للزكاة أثر في الجانب الاقتصادي فبما تستقطعه من أرباب المال تدفعهم علي تعويض ما أخذ منهم وبالتالي تؤدي إلى إخراج النقود لتعمل وتغل وتكسب وتنمي حتى لا يأتي عليه مرور الأعوام، وفي هذا جاءت الأحاديث والآثار، ومنها "اتجروا بأموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة" [59] فهي بذلك تؤدي إلى توفير الأموال السائلة للمشروعات الاقتصادية وبالتالي تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية التلقائية ومحاربة الفقر [60] كما إنها تمثل أداة أساسية في الاقتصاد الإسلامي لتوزيع الدخل، وتخصيص استخدامات المال علي أوجه الاستثمار المختلفة من جانب وعلى الاستهلاك من جانب آخر، وبالتالي النمو بموارد المجتمع، ويتم ذلك على النحو التالي فالزكاة تحارب الاكتناز وتحث على الاستثمار وتحمي المستثمرين وتؤدى إلى إعادة توزيع الدخل وزيادة التشغيل وتمويل التنمية الإقليمية، كما إن تحديد مصارف الزكاة بوضوح يؤدي إلى تيسير عملية التخطيط الاقتصادي من أجل التنمية، إلى جانب أن ثبات فئات الزكاة الواجب أداؤها على الأموال المختلفة يؤدي إلى استقرار الاقتصاد الإسلامي. [61]

والزكاة أمضي سلاح في محاربة الكنز وإخراج النقود من مخابئها في الصناديق أو الشقوق لتشارك في ميدان العمل والتثمير بدل أن تبقي قوة معطلة، ابتداء فقد حرم الإسلام الكنز وأعلن القرآن سخط الله على الكانزين الأشحاء قال تعالى في سورة التوبة آية 34و35 :"والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون"، ولم يكتف الإسلام بهذا الوعيد للكانزين لقد زاد على ذلك بوضع خطة عملية لمقاومة الكنز تلك هي الزكاة [62] حيث تمثل الزكاة مصادرة تدريجية للأموال المكتنزة الصالحة للنماء، حيث أن استقطاب 2.5 في المائة من الأموال التي تزيد عن حد النصاب يؤدي إلى استقطاع 10 في المائة من الأموال المكتنزة في أقل من خمس

سنوات وثلثها في أقل من سبعة عشر عاما بل أن الزائد عن حد النصاب يذهب زكاة في نحو 40 عاما [63]. وهذا ما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر الأوصياء على أموال اليتامى أن يتجروا فيها حتى لا تأكلها الزكاة " رواه الدارقطني والبيهقي [64]. وبالتالي تمثل الزكاة أداة فعالة لدفع الأموال المعطلة والصالحة للنماء للمشاركة في الإنتاج، كما تؤدي الزكاة إلي الحث علي الاستمرار في المشاريع الاستثمارية حفاظا علي رأس المال من النقصان، لأن استثمار المال يؤدي إلى إخراج الزكاة من نماء المال أو عائد الاستثمار بدلا من استقطاعها من رأس المال نفسه، كما أن انخفاض نصاب الزكاة يؤدي إلى دفع المدخرات الصغيرة أيضا للاشتراك في العملية الإنتاجية واستثمارها حتى لا تستقطع الزكاة المستحقة عليها من أصل المال.

ومن ناحية أخرى تمثل الزكاة كأداة لحماية المستثمرين لما توفره من ضمان لرؤوس الأموال المستثمرة، حيث يمكن استخدام سهم الغارمين في تعويض المشروعات التي تتعرض لضائقة أو كارثة، كما يمكن استخدامه لدفع المستثمرين إلى القيام بمشروعات معينة ترتفع نسبة المخاطرة فيها ويحتاجها الاقتصاد القومي.

كما إن عدم اشتراط توزيع الزكاة على مستحقيها نقدا بل يمكن أداؤها في شكل مواد استهلاكية أو إنتاجية كما كان يحدث في صدر الإسلام، ذلك أن مقدار العطاء يكون بالقدر الذي يذهب الفقر ويقضي على أسبابه، أي يحقق قوام العيش، قال النووي فان كانت عادته "أي الفقير" الاحتراف أعطي ما يشتري به حرفته قلت قيمة ذلك أو كثرت. ومن كان خياطا أو نجارا أو قصابا أو غيرهم من أهل الصنائع أعطي ما يشتري به الآلات التي تصلح لمهنته، وبالتالي تستخدم الزكاة في تشغيل طاقة إنتاجية معطلة، ويذهب الفقهاء إلي تحديد أوجه إنفاق حصة الزكاة المخصصة للقضاء علي الفقر وأسبابه بحيث تقسم إلي جزئيين القسم الأول يعطي للقادرين على الكسب بأنفسهم بحيث يمكنهم شراء وسيلة للإنتاج والكسب مثل آلة حرفتهم وبذلك يتم تحقيق قدر من التشغيل للعمالة المعطلة بسبب عدم توافر رأس المال اللازم لتشغيلها، أما الجزء الثاني فيعطي لغير القادرين على الكسب بأنفسهم وفي صورة قيام الدولة بإقامة مشروعات تعود بدخل مستمر ومنتظم يكفيهم. [65]

توفير فرص العمل من واجبات الدولة:

من واجبات الدولة الإسلامية تهيئة العمل المناسب لكل عاطل قادر علي العمل، فما ينبغي لراع مسئول عن رعيته أن يقف مكتوف اليدين أمام العاطلين عن العمل، كما لا يجوز أن يكون موقفه منهم بصفة دائمة مد اليد بمعونة قلت أو كثرت من أموال الصدقات، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي" (رواه الترمذي) وكل إعانة مادية تعطي (لذي مرة سوي) ليست في الواقع إلا تشجيعا للبطالة من جانب، ومزاحمة للضعفاء والزمني والعاجزين في حقوقهم من جانب آخر. والتصرف السديد الواجب نحو القادرين على العمل العاطلين عنه هو ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بإزاء واحد من هؤلاء السائلين، فعن أنس بن مالك أن رجلا من الأنصار أتي النبي صلي الله عليه وسلم يسأله فقال (أما في بيتك شيء؟) قال: بلى حلس كساء يوضع على ظهر البعير أو يفرش في البيت تحت حر الثياب" نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب "القدح الإناء" نشرب فيه الماء، قال (ائتني بهما) فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (من يشتري هذين؟) قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال (من يزيد علي درهم؟ مرتين أو ثلاثا) قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري وقال (اشتر بأحدهما طعاما وانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فائتني به) فشد رسول الله صلي الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال له (اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما) فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (هذا خير لك من أن تجئ المسألة نكته في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع" (رواه أبو داود.

في هذا الحديث المذكور، نجد النبي صلي الله عليه وسلم لم يرد للأنصاري السائل أن يأخذ من الزكاة، وهو قوي على الكسب، ولا يجوز له ذلك إلا إذا ضاقت أمامه المسالك، وأعيته الحيل، وولي الأمر لابد أن يعينه في إتاحة الفرصة للكسب الحلال وفتح باب العمل أمامه. كما إنه لم يعالج السائل المحتاج بالمعونة المادية الوقتية كما يفكر كثيرون، ولم يعالجه بالوعظ المجرد والتنفير من المسألة كما يصنع آخرون، ولكنه أخذ بيده في حل مشكلته بنفسه وعلاجها بطريقه ناجحة علمه أن يستخدم كل ما عنده من طاقات وإن صغرت وأن يستنفد ما يملك من حيل وإن ضئلت، فلا يلجأ إلى السؤال

وعنده شيء يستطيع أن ينتفع به في تيسير عمل يغنيه، وعلمه أن كل عمل يجلب رزقا حلالا هو عمل شريف كريم، ولو كان احتطاب حزمة يجتلبها فيبيعها، فيكف الله بها وجهه أن يراق ماؤه في سؤال الناس. وأرشده إلى العمل الذي يناسب شخصه وقدرته وظروفه وبيئته وهيأ له آلة العمل الذي أرشده إليه ولم يدعه تائها حيران، وأعطاه فرصه خمسة عشر يوما يستطيع أن يعرف منه بعدها مدي ملائمة هذا العمل له، ووفاءه بمطالبه فيقره عليه، أو يدبر له عملا آخر. وبعد هذا الحل العملي لمشكلته لقنه الدرس النظري الموجز البليغ في الزجر عن المسألة والترهيب منها والحدود التي تجوز في دائرتها. ودور الزكاة هنا لا يخفي فمن أموالها يمكن إعطاء القادر العاطل ما يمكنه من العمل، في حرفته، من أدوات أو رأس مال، ومنها يمكن أن يدرب على عمل مهني يحترفه ويعيش منه، ومنها يمكن إقامة مشروعات جماعية مصانع أو متاجر أو مزارع ونحوها ليشتغل فيها العاطلون وتكون ملكا لهم بالاشتراك كلها أو بعضها.(66)

ومن بين الفقراء والمساكين فئة المحترفين الذين يتقنون صنعة أو حرفة معينة ولكن ليس لديهم آلات وأدوات الحرفة أو الصنعة، فقد أجاز الفقهاء أن يعطي للمحترف مال يشتري به أدوات حرفته بحيث يحصل له من ربحه ما يفي بكفايته، ورد في المجموع للنووي: ومن كان خياطا أو نجارا أو قصارا أو قصابا أو غيرهم من أهل الصنائع أعطى ما **يشتري به** صنعته أو حصة في صنعته تكفيه على الدوام. ومن التطبيقات المعاصرة لهذه الحالة: شراء آلات وأدوات حرفة للنساء الفقيرات المحترفات صنعة واللاتي لا يستطعن الخروج ويمكنهن العمل داخل البيت وبذلك يتم تحويلهن إلى قوة منتجة، شراء آلات وأدوات الحرف الصناعات الصغيرة للشباب الفقير العاطل لتحويله إلى قوة منتجة من خلال نظام القرض الحسن بدلا من القروض الربوية والقروض المشتبه، شراء آلات وأدوات الحرف ونحوها للمعاقين الفقراء وتدريبهم على ممارسة حرفة، ويقاس على ذلك اللاجئين والمعتقلين والسجناء. ومن الآثار الاقتصادية الهامة لتمويل وسائل الحرفة للفقراء المحترفين من الزكاة، تحويلهم من طاقة عاطلة إلى قوة اقتصادية إنتاجية سوف تتحول بعد فترة إلى دافعي زكاة.(67)

الزكاة والملكية الفردية:

الإسلام باعتباره دينا يعترف بالفطرة يهذبها ويسمو بها ولا يعلن الحرب لاستئصالها أو مقاومتها، فقد أقر الملكية الفردية الناشئة عن سبب مشروع، استجابة للدوافع الفطرية الأصلية في الإنسان التي تتطلب التملك والمنافسة والادخار، وبالتالي يكون الإسلام قد اعترف بالتفاوت الفطري في الأرزاق بين الناس، إذ هو بلا شك ناشئ عن تفاوت فطرى آخر في المواهب والملكات والقدرات والطاقات، ولكن هذا الاعتراف بالتفاوت الفطري في الرزق، ليس معناه أن يدع الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا، فتتسع الشقة بين الفريقين، ويصبح الأغنياء طبقة كتب لها أن تعيش في أبراج من العاج ويصبح الفقراء طبقة كتب عليها أن تموت في أكواخ من البؤس والحرمان (68) فإن أعظم آفة تصيب المجتمع وتهز كيانه هزا، وتنخر في عظامه، أن يوجد الثراء الفاحش إلى جانب الفقر المدقع، أن يوجد من يملك القناطير المقنطرة ومن لا يملك قوت يومه، أن يوجد من يضع يده علي بطنه يشكو زحمة التخمة، وبجواره من يضع يده على بطنه يشكو عضة الجوع، أن يوجد من يملك القصور الفخمة لا يسكنها ولا يحتاج إليها، وبالقرب منه حجرة البدروم التي تضم في أحشائها رجلا وأبويه وزوجه وأولاده !! (69) ويكره الإسلام هذه الفوارق بين أفراد الأمة لما يترتب عليها من أحقاد وأضغان تحطم أركان المجتمع وتفسد النفس والضمير ولما فيها من اضطرار المحتاجين إما إلى السرقة والغصب وإما إلى الذل وبيع الشرف والكرامة، وكلها منحدرات يتجافى الإسلام بالجماعة عنها.

ويكره الإسلام أيضا أن يكون المال دولة بين الأغنياء في الأمة وألا تجد الكثرة ما تنفق، لأن ذلك يؤدى في النهاية إلى تجميد الحياة والعمل والإنتاج في هذه الأمة، بينما وجود الأموال في أيدي أكبر عدد منها، يجعل هذه الأموال تنفق في شراء ضروريات الحياة لهذا العدد الكبير، فيكثر الإقبال على السلع فينشأ من هذا كثرة الإنتاج، فتترتب عليها العمالة الكاملة للأيدي العاملة وبذلك تدور عجلة الحياة والعمل والإنتاج والاستهلاك دورتها الطبيعية المثمرة (70).

تدخل الإسلام بتشريعاته القانونية ووصاياه الروحية والخلقية لتقريب المسافة بين الأغنياء والفقراء، فعمل على الحد من طغيان الأغنياء والرفع من مستوى الفقراء وعمل على إعادة التوازن وعدالة التوزيع، وتقارب الملكيات وتقريب المستويات بعضها من بعض، كما نص على ذلك المولى عز وجل في كتاب الكريم قال تعالى: "كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم" (سورة الحشر: 7) (71)

والزكاة وسيلة من وسائل الإسلام التي اتخذها لتقريب المسافة بين الأغنياء والفقراء فهي أخذ من الأغنياء وإعطاء للفقراء [72] فليس هدف الزكاة مقصورا علي محاربة الفقر بمعونة مؤقتة أو دورية ولكن وبقدر ما تسمح به حصيلتها فإن من أهدافها توسيع قاعدة التملك وتكثير عدد الملاك وتحويل أكبر عدد مستطاع من الفقراء المعوزين إلى أغنياء مالكين لما يكفيهم طوال العمر وإخراجهم من دائرة الحاجة إلي دائرة الكفاية الدائمة، وذلك بتمليك كل محتاج ما يناسبه ويغنيه، فمن له قدرة على عمل معين وتنقصه الإمكانيات، تملكه ما يحتاجه من أدوات ومستلزمات الإنتاج، فهي بهذا تعمل علي التقليل من عدد الأجراء، وزيادة في عدد الملاك، وذلك هدف من أهداف الإسلام الكبيرة في ميدان الاقتصاد والاجتماع أن يشترك الناس في الخيرات والمنافع التي أودعها الخالق في هذه الأرض، ولا يقتصر تداولها على فئة الأغنياء وحدهم ويحرم الآخرون، قال الله تعالى: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا" (سورة البقرة: 29). وكلمة (جميعا) في الآية يصح أن تكون تأكيدا لما في الأرض أو للناس المخاطبين ولا مانع من إرادة المعنيين معا، فالمعنى على هذا أن جميع ما في الأرض مخلوق للناس جميعا لا لتستأثر به فئة دون أخرى.

إننا إذا تصورنا المجتمع الإسلامي الصحيح، الذي يعمل أفراده فيتقنون العمل، يمشون في مناكب الأرض، ويلتمسون الرزق في خباياها، وينتشرون في أرجائها زارعين وصناعا وتجارا، وعاملين في شتي الميادين، ومحترفين بشتى الحرف، مستغلين لكل الطاقات، منتفعين بكل ما استطاعوا مما سخر الله لهم في السماوات والأرض جميعا منه، إذا تصورنا هذا المجتمع، فكم تكون نسبة القادرين الذين تجب عليهم الزكاة في ثرواتهم ودخولهم؟ إن النسبة بلا ريب ستكون كبيرة جدا، والعدد سيكون هائلا، وكم تكون نسبة الذين قعد بهم العجز عن العمل، أو أعيتهم كثرة العيال وقلة الدخل؟ إنها بلا شك ستكون نسبة ضئيلة جدا، والعدد سيكون محدودا، وهنا تزداد حصيلة الزكاة ليأخذ منها عن سعة لتمليك ذوي الدخل الضئيل أو الذين لا دخل لهم، فتقرب المسافة بينهم وبين غيرهم من الموسرين من أبناء الأمة، إن هدف الزكاة ألا يقع هذا التفاوت الشاسع البشع، وأقل ما تحققه أن يختفي هذا الفريق الثاني الذي لا يجد مستوي العيش اللائق به من طعام وكساء ومأوي، وأكثر من ذلك أنها تعمل على أن ترتفع بهؤلاء حتى يقتربوا من أولئك ويدخلوا في زمرة الأغنياء المالكي. [73]

الزكاة والقضاء على الفقر:

الهدف الأول من الزكاة هو القضاء على الفقر، وإغناء الفقراء إغناء دائما يستأصل شأفة العوز من حياتهم ويقدرهم علي أن ينهضوا وحدهم بعبء المعيشة، فهي فريضة دورية منتظمة دائمة الموارد، مهمتها أن تيسر للفقير قواما من عيش، لا لقيمات أو دريهمات، فالفقراء والمساكين هم أول من تصرف لهم الزكاة، حتى أن النبي صلي الله عليه وسلم لم يذكر في بعض المواقف إلا هذا المصرف، لأنه المقصود أولا أو على سبيل الاكتفاء به، كأمره لمعاذ وقد بعثه إلي اليمن أن يأخذها من أغنيائهم ويردها في فقرائهم، وحتى ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الزكاة لا تصرف إلا لفقير (74) فالإسلام يريد للناس أن يحيوا حياة طيبة تتوافر لهم فيها كفايتهم وكفاية من يعولونه، حتى إذا اطمئنوا في حياتهم اتجهوا بالعبادة الخاشعة إلي ربهم الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف.

ومن هنا فرض الله الزكاة تؤخذ من الأغنياء لترد على الفقراء فيقضي بها الفقير حاجاته المادية، كالمأكل والمشرب والملبس والمسكن، وحاجاته النفسية الحيوية، كالزواج **الذي قرر** العلماء أنه من تمام كفايته، وحاجاته المعنوية الفكرية ككتب العلم لمن كان من أهله. وبهذا يستطيع هذا الفقير أن يشارك في الحياة، ويقوم بواجبه في طاعة الله ويشعر بأنه عضو حي في جسم المجتمع، ليس شيئا ضائعا ولا كما مهملا، وإنما هو في مجتمع إنساني كريم يعني به ويرعاه ويأخذ بيده ويقدم له يد المساعدة في صورة كريمة لا منّ فيها ولا أذى، بل يتقبلها من يد الدولة وهو عزيز النفس رافع الرأس موفور الكرامة، لأنه إنما يأخذ حقه المعلوم ونصيبه المقسوم. حتى لو اضطربت الأمور في المجتمع المسلم وقدر للأفراد أن يكونوا هم الموزعين للزكاة بأنفسهم فإن القرآن يحذرهم من إهانة الفقير أو جرح إحساسه بما يفهم منه الاستعلاء عليه أو الامتنان أو أي معنى يؤذي كرامته كإنسان وينال من عزته كمسلم، قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا" (سورة البقرة:264) إن شعور الفقير أنه ليس ضائعا في المجتمع وأن مجتمعه يهتم به ويرعاه، كسب كبير لشخصيته وزكاة لنفسيته، وهذا الشعور نفسه ثروة لا يستهان بها للأمة كلها. إن رسالة الإنسان على الأرض وكرامته على الله سبحانه، تقتضيان ألا يترك للفقر، الذي ينسيه نفسه وربه ويذهله

عن دينه ودنياه ويعزله عن أمته ورسالتها، ويشغله عن ذلك كله بالتفكير في سد الجوع وستر العورة والحصول على المأوي.(75)

الزكاة ورفعة الأمة:

التزام أداء الزكاة كاف لإعادة مجد الإسلام يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله في تفسيره: إن الإسلام يمتاز على جميع الأديان والشرائع بفرض الزكاة فيه، كما يعترف بهذا حكماء جميع الأمم وعقلاؤها، ولو أقام المسلمون هذا الركن من دينهم لما وجد فيهم "بعد أن كثرهم الله ووسع عليهم في الرزق" فقير مدقع ولا ذو غرم مفجع، ولكن أكثرهم تركوا هذه الفريضة فجنوا على دينهم وأمتهم، فصاروا أسوأ من جميع الأمم حالا في مصالحهم المالية والسياسية حتى فقدوا ملكهم وعزهم وشرفهم، وصاروا عالة على أهل الملل الأخرى، حتى في تربية أبنائهم وبناتهم فهم يلقونهم في مدارس دعاة النصرانية أو دعاة الإلحاد فيفسدون عليهم دينهم ودنياهم ويقطعون روابطهم الملية والجنسية ويعدونهم ليكونوا عبيدا أذلة للأجانب عنهم، وإذا قيل لهم لماذا لا تؤسسون لأنفسكم مدارس كمدارس هؤلاء الرهبان والمبشرين أو الملاحدة الإباحيين؟ قالوا إننا لا نجد من المال ما يقوم بذلك، وإنما الحق أنهم لا يجدون من الدين والعقل وعلو الهمة والغيرة ما يمكنهم من ذلك، فهم يرون أبناء الملل الأخرى يبذلون للمدارس وللجمعيات الخيرية والسياسية ما لا يوجبه عليهم دينهم وإنما أوجبه عليهم عقولهم وغيرتهم الملية والقومية، ولا يغارون منهم وإنما يرضون أن يكونوا عالة عليهم، تركوا دينهم فضاعت بإضاعتهم له دنياهم (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) سورة الحشر:19.

فالواجب على دعاة الإصلاح فيهم أن يبدؤوا بإصلاح من بقي فيه بقية من الدين والشرف بتأليف جمعية لتنظيم جمع الزكاة منهم وصرفها قبل كل شيء في مصالح المرتبطين بهذه الجمعية دون غيرهم ويجب أن يراعي في تنظيم هذه الجمعية أن لسهم (المؤلفة قلوبهم) مصرفا في مقاومة الردة والإلحاد، وأن لسهم (في الرقاب) مصرفا في تحرير الشعوب المستعمرة من الاستعباد إذا لم يكن له مصرف تحرير الأفراد وأن لسهم (سبيل الله) مصرفا في السعي لإعادة حكم الإسلام وهو أهم من الجهاد لحفظه في حال وجوده من عدوان الكفار ومصرفا آخر في الدعوة إليه والدفاع عنه بالألسنة والأقلام إذا تعذر الدفاع عنه بالسيوف والأسنة. ألا إن إيتاء جميع المسلمين أو أكثرهم للزكاة

وصرفها بانتظام كاف لإعادة مجد الإسلام بل لإعادة ما سلبه الأجانب من دار الإسلام وإنقاذ المسلمين من رق الكفار، وما هي إلا **بذل العشر** أو ربع العشر مما فضل عن حاجة الأغنياء، وإننا نرى الشعوب التي سادت المسلمين بعد أن كانوا سادتهم يبذلون أكثر من ذلك في سبيل أمتهم وملتهم وهو غير مفروض عليهم من ربهم [76].

الزكاة لأهل البلد أولا:

تتسم الزكاة بالمحلية، أي انه لا يجوز نقل حصيلتها من مكان جمعها حتى يكتفي أهل هذا المكان تماما، إلا في حالة زيادة حاجة إقليم أخر عن حاجة هذا المكان، وهذا مما يساعد على تمويل التنمية الإقليمية، قال أبو عبيد: العلماء مجمعون على أن أهل كل بلد من البلدان أحق بصدقتهم مادام فيهم من ذوي الحاجة واحد فما فوق ذلك وأن أتي ذلك على جميع صدقاتها، ولذا لا تحمل الزكاة من بلد إلى أخر وبأهل البلد الأول فقر حيث ردها إلى مكان جبايتها، وهو فعله الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز. [77]

الزكاة والبخل:

لقد شاء المولى عز وجل أن يغرس في حنايا الإنسان مجموعة من الدوافع النفسية أو الغرائز تسوقه سوقا إل السعي في الأرض وعمارتها فكان منها حب الذات وحب البقاء وحب التملك وحب المال حتى صار المال مطلب كل إنسان ومعشوقة في كل زمان ومكان، ولا حدود يقف عندها الإنسان في طلبه، سواء كان هذا المال نقديا أو عينيا، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى في سورة الفجر، الآية 19-20: "وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما" ويقول الرسول الله صلي الله عليه وسلم: "منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال" [78]. وكان من آثار ذلك شح الإنسان بما في يده، وحبه الاستئثار بالخيرات والمنافع دون الناس قال تعالى: وكان الإنسان قتورا" (سورة الإسراء:100). وقال عز وجل: "وأحضرت الأنفس الشح " (سورة النساء :128) [79]. ويقرر الإسلام أن هذا الشح حاضر في النفس الإنسانية لا يغيب إلا أنه آفة خطرة تدفع من اتصف بها إلي الدم فيسفكه، وإلى الشرف فيدوسه، وإلى الدين فيبيعه، وإلى الوطن فيخونه ولن يفلح فرد أو مجتمع سيطر الشح عليه وملك ناصيته. [80] ومن آثاره الوخيمة أيضا أكل مال الغير واغتصابه بغير وجه حق، وإثارة الحقد والضغائن بين أبناء الأمة.

ولذلك كان البخل والشح في بذل المال في سبيل الله ولخير الناس من أبغض الكبائر التي حذر منها الله ورسوله، فقد روي عن الرسول صلي الله عليه وسلم أنه جعله أحد المهلكات، فقال فيما رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر بإسناد ضعيف "ثلاث مهلكات شح مطاوع وهوى وإعجاب المرء بنفسه" وخطب الرسول صلي الله عليه وسلم فقال: "إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا" أخرجه أبو داود و النسائي وقال تعالى "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" (سورة الحشر: 9). وكذا في سورة التغابن آية 16 كررها في القران مرتين قصد فيها الفلاح علي من وقي هذا الداء الفتاك. (81)

أراد العليم الخبير بفرض الزكاة، أن يختبر مدي عمق إيمان عباده به، باختبار مدي طاعتهم له وامتثالهم لأوامره وطلبهم للآخرة قبل طلبهم للدنيا، وليري هل المال أحب إلى قلوبهم من الله أم هم يؤثرون طاعته ومحبته ورضوانه ليجزي كل نفس بما آمنت، وما كسبت. قال الله تعالى في سورة آل عمران: 31 "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم". وقال عز وجل: "ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما" (سورة الأحزاب:71) (82). وليس للإنسان المؤمن إلا أن ينتصر على نزعة الشح وأن يستعلي على نوازع الأثرة والأنانية في نفسه، فلا فلاح له في دنياه أو آخرته إلا بالانتصار على هذا الشح المقيت. (83). والزكاة وسيلة إلى ذلك فهي طهارة للنفس والقلب من فطرة الشح وغريزة حب الذات، ومن مرض البخل والأثرة وتخلص النفس من الإسراف في جمع المال واكتنازه حبا فيه، فحين تجود النفس به للآخرين، إنما تطهر وترتفع وتشرق. (84)

وكما أن الزكاة تطهير لنفس المسلم من الشح، هي أيضا تدريب له علي خلق البذل والإعطاء والإنفاق، فالمسلم الذي يتعود الإنفاق وإخراج زكاة زرعه كلما حصد، وزكاة دخله كلما ورد، وزكاة ماشيته ونقوده وقيم أعيانه التجارية كلما حال عليها الحول، ويخرج زكاة فطره كل عيد من أعياد الفطر، هذا المسلم يصبح الإعطاء والإنفاق صفة أصيلة من صفاته وخلقا عريقا من أخلاقه، وهذا الخلق من أوصاف المؤمنين المتقين في نظر القرآن، فإذا فتح الإنسان المصحف الشريف وتلا فاتحة الكتاب ثم اتجه إلى الصفحة التالية ليقرأ طليعة سورة البقرة، وجد فيها بيانا لصفات المتقين الذين ينتفعون بهدي الكتاب العزيز قال تعالى: الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين الذين يؤمنون

بالغيب و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون" (سورة البقرة، الآيات من 1-3)، وقبل ذلك لم يغفل القرآن المكي هذا الخلق من أخلاق المؤمنين ، ففي سورة الشورى المكية الآيات 36 - 38 قال تعالى: "فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقي للذين آمنوا وعلي ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شوري بينهم ومما رزقناهم ينفقون" وقد اختلف المفسرون في تحديد المراد من ذلك فقيل الزكاة المفروضة، ويروي هذا عن ابن عباس لقرن الإنفاق بإقامة الصلاة، وقيل صدقة التطوع، وروي هذا عن الضحاك، نظرا إلى أن الزكاة لا تأتي إلا بلفظها المختص بها، وقيل هو النفقة علي الأهل والعيال، وقيل هو عام يشمل ذلك كله، وهذا هو الصحيح الذي ينبغي أن تفهم الآيات في ضوئه، فالأمر أوسع وأعم من زكاة الفريضة أو صدقة التطوع أو النفقة على الأهل، أنه خلق من أخلاق المؤمنين "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية" (سورة البقرة:27) و "الذين ينفقون في السراء و الضراء" (سورة آل عمران:134)، "الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار" (سورة آل عمران: 17).

ومما يدل على ذلك أيضا ما جاء في القران المكي من أوصاف المتقين "إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم" (سورة الذاريات: 19) "إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين اللذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم" (سورة المعارج الآيات: 24-25). وبعد ذلك أن الذي يعتاد الإنفاق مما بيده لغيره، والبذل من ملكه مواساة لإخوانه، ومساهمة في مصالح أمته، يبعد أشد البعد أن يعتدي على مال غيره، ناهبا أو سارقا فأنه ليصعب على من يعطي من ماله ابتغاء رضا الله أن يأخذ ما ليس له ليجلب على نفسه سخط الله. ومن أوائل ما أنزل من القران في مكة سورة الليل وفيها يقسم الله تعالى فيقول: "والليل إذا يغشي والنهار إذا تجلي وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطي واتقي وصدق بالحسنى فسيسره لليسرى وأما من بخل واستغني وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما

يغني عنه ماله إذا تردى إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضي" فالإعطاء صفة من الصفات الأساسية للمؤمن، بجانب التقوى والتصديق بالحسنى، وأطلق القرآن وصفه بالإعطاء ولم يقل ماذا أعطى ولا كم أعطى ولا نوع ما أعطى، لأن المقصود أن نفسه نفس كريمة معطية باذلة لا لئيمة مانعة، فالنفس المعطية هي النافعة المحسنة التي طبعها الإحسان وإعطاء الخير، فتعطي خيرها لنفسها ولغيرها، فهي بمنزلة العين ينتفع الناس بشربهم منها وسقي دوابهم وإنعامهم وزرعهم، فهم ينتفعون بها كيف شاءوا فهي ميسرة لذلك، وهكذا الرجل المبارك ميسر للنفع حيث حل فجزاء هذا أن يسره الله لليسرى، كما كانت نفسه ميسرة للعطاء.

وأما الصنف الشحيح اللئيم الذي بخل بماله، وظن نفسه مستغنيا عن الله، وعن الناس وكذب بما وعد الله من حسن العاقبة للمؤمنين الصادقين، لهذا أنذره الله (نارا تلظي لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى) مثل هذا الذي كذب بالحسنى، وتولى عن الإعطاء والتقوى (وسيجنها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى)، لقد كانت هذه السورة المبكرة من سور القرآن المكي بما اشتملت عليه من هذين النموذجين مشيرة إلى الاتجاه الذي يسير فيه الإسلام نحو المال ونحو الأغنياء وموضحة النموذج الخلقي الذي ينشده الإسلام ويرضاه الله تعالى. والإنسان إذا تطهر من الشح والبخل واعتاد البذل والإنفاق ارتقى من حضيض الشح الإنساني واقترب من أفق الكمالات الربانية، فإن من صفات الحق تبارك وتعالى إفاضة الخير والرحمة والجود والإحسان دون نفع يعود عليه تعالى، والسعي في تحصيل هذه الصفات بقدر الطاقة البشرية تخلق بأخلاق الله وذلك منتهى كمالات الإنسانية. قال عليه الصلاة والسلام (تخلقوا بأخلاق الله)، ومن آثار هذا الحق وذلك الروح الذي نماه الإسلام في نفوس المسلمين عن طريق الزكاة أي خلق البذل وروح البر تلك الصدقات الجارية التي خلفها المسلمون الخيرون لمن بعدهم ينتفعون بها والتي تتمثل واضحة في نظام الوقف الخيري وما ضرب فيه الواقفون المسلمون من أمثلة فريدة في صدق عاطفة الخير، وأصالة روح البر في حناياهم واتساع هذه الروح لمختلف الحاجات وشتى المحتاجين إلى المعونة المادية أو المعنوية، من كل الأجناس والطبقات. [85]

والزكاة تربية للمسلم على السخاء والكرم وحب الخير واصطناع المعروف، وهذه الصفات تقرب العبد من ربه ومن الناس قال عليه الصلاة والسلام: "إن السخي قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة، وإن البخل بعيد عن الله بعيد عن الناس بعيد عن الجنة قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل". والزكاة تدريب للإنسان على قهر نفسه وقمع شهواتها، إذا يخرج المزكي كل عام مال الزكاة طائعا مختارا وراضيا مرضيا ومنفقا في سبيل الله من **ماله**، على حبه ليغيث محروما أو ملهوفا من إخوانه المؤمنين ويفرج كربهم ويفرح قلوبهم ابتغاء وجه الله وإعلانا لطاعته وطمعا في بركته قال تعالى سورة الإنسان آية 8 - 9 "ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا".(86)

<u>الزكاة وحب المال</u>

والزكاة كما تحقق معني التطهير للنفس تحقق معني التحرير لها، تحريرها من ذل التعلق بالمال والخضوع له، ومن تعاسة العبودية للدينار والدرهم، فإن الإسلام يحرص على أن يكون المسلم عبدا لله وحده متحررا من الخضوع لأي شيء سواه، سيدا لكل ما في هذا الكون من عناصر وأشياء، وأي تعاسة أعظم من أن يجعل الله الإنسان في الأرض خليفة وسيدا، فإذا به يعبد نفسه لما عليها من مادة ومال؟! وأي تعاسة أعظم من أن يصبح جمع المال هدف الإنسان وأكبر همه، ومبلغ علمه، ومحور حياته، وقد خلق لرسالة أكبر وهدف أسمى؟! وقد حذرنا رسولنا عليه الصلاة والسلام من هذه التعاسة التي هي من لوازم العبودية لغير الله تعالى فقال فيما رواه البخاري "تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس وانتكس وإذا اشيك فلا انتقش" (87)

والزكاة تنبيه للقلب على واجبه نحو ربه ونحو الآخرة، وعلاج له من الاستغراق في حب الدنيا وحب المال، فإن الاستغراق في حبه كما قال الرازي: يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت حكمة الشرع تكليف مالك المال بإخراج طائفة منه من يده ليصير ذلك الإخراج كسرا من شدة الميل إلى المال، ومنعا من انصراف النفس بالكلية إليه، وتنبيها لها على أن سعادة الإنسان لا تحصل عند الاشتغال بطلب المال وإنما تحصل بإنفاق المال في طلب مرضاة الله تعالى، فإيجاب الزكاة علاج صالح متعين لإزالة مرض حب الدنيا عن القلب. والزكاة تدريب للمسلم علي مقاومة فتنه المال وفتنة

الدنيا بإعداد النفس للبذل امتثالا لأمر الله وسعيا في مرضاته سبحانه، إن شر ما تصاب به الأمم ، ويجعل أعدادها الهائلة كثرة كغثاء السيل ويغري بها أعداءها، أن يصاب أبناؤها بالوهن، الذي يخدر النفس ويحطم العزائم ويقتل الروح المعنوية، وسر هذا الوهن كما عرفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحصر في أمرين (حب الدنيا وكراهية الموت) من حديث رواه أحمد وأبو داود، فإذا تعلم المسلم كيف يدع الدنيا للآخرة، ويبذل المال لله، ويؤخر هوى نفسه لمصلحة غيره أو حاجته فقد حطم الوهن وحقق القوة لنفسه، وبالتالي لأمته [88]

الهوامش:

1. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 248
2. العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب ص 85
3. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، يوسف القرضاوي ص 64
4. الحقوق الإسلامية، طه عبد الله العفيفي ص 593
5. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 248
6. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي ج 1 ص42
7. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، يوسف القرضاوي ص 64
8. التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك؟ حسين شحاتة ص16
9. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي ج 1ص40 - 42
10. النظم المالية في الإسلام، قطب إبراهيم محمد ص 46
11. فقه السنة، السيد سابق ج 1 ص 328
12. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي ج 1 ص84
13. النظم المالية في الإسلام، قطب إبراهيم محمد ص 46، التطبيق المعاصر للزكاة، حسين شحاتة ص17
14. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي ج 1 ص84
15. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، يوسف القرضاوي ص 64
16. الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق السيئات، حسين شحاتة ص 141
17. فقه السنة، السيد سابق ج 1 ص 330
18. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام؟، يوسف القرضاوي ص 65 - 66

19. فقه السنة السيد سابق ج 1 ص 328 - 329
20. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام يوسف القرضاوي ص 66
21. القرآن الكريم والسلوك الإنساني محمد بهائي سليم ص 66
22. العبادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص 268 - 269
23. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 ص999
24. المصدر السابق، ج1 ص37
25. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 274، فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج2 ص 999 الحقوق الإسلامية، طه عبد الله العفيفي ص 594
26. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 274 - 275
27. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج2 ص 999
28. الحقوق الإسلامية، طه عبد الله العفيفي ص 594
29. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 275 - 276
30. التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك؟ حسين شحاتة ص16
31. فقه السنة، السيد سابق ج 1 ص327
32. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج2 ص991 وص997
33. المصدر السابق، ج1 ص37 - 38
34. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 255
35. فقه الزكاة، ج1 ص86
36. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام؟، يوسف القرضاوي من ص 69 - 70
37. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 268 - 272
38. التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك؟ حسين شحاتة ص17
39. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام؟، يوسف القرضاوي ص 69
40. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 268 - 272
41. التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك؟ حسين شحاتة ص18
42. فقه الزكاة، وسف القرضاوي ج2 ص1001 - 1002، التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك، حسين شحاتة ص 10
43. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج 1 ص86 وج2 ص 1002
44. العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب ص 150

45. التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك؟ حسين شحاتة ص33
46. إسلام لا شيوعية، عبد المنعم النمر ص 283
47. تنمية المال في الاقتصاد الإسلامي، أميرة عبد اللطيف مشهور ص 37
48. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج1 ص87
49. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص272
50. تنمية المال في الاقتصاد الإسلامي، أميرة عبد اللطيف مشهور ص 37، إسلام لا شيوعية عبد المنعم النمر ص 283
51. التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك؟ حسين شحاتة ص 213
52. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج1 ص88
53. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي من ص 252 - 253
54. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 276
55. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام يوسف القرضاوي ص60 وص85
56. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج2 ص880
57. تنمية المال في الاقتصاد الإسلامي أميرة عبد اللطيف مشهور ص46
58. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج2 من ص880 إلى ص 882
59. التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك؟ حسين شحاتة ص213 و216 و217 و228
60. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 ص 884
61. التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك؟ حسين شحاتة ص 33
62. تنمية المال في الاقتصاد الإسلامي، أميرة عبد اللطيف مشهور من ص 41 إلى ص45
63. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص277 - 278
64. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 278
65. تنمية المال في الاقتصاد الإسلامي، أميرة عبد اللطيف مشهور من ص42 إلى ص44
66. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج2 من ص 894 إلى ص 897
67. التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك؟ حسين شحاتة ص 220
68. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 277
69. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي ج2 ص 890
70. العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب ص 152 - 153



71. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 ص 889
72. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 277
73. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 من ص 888 - 890
74. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام يوسف القرضاوي ص60، فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج 1 ص 87 و98
75. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 من ص 872 - 875
76. العبادة في الإسلام يوسف القرضاوي من ص 279 إلى ص 281
77. تنمية المال في الاقتصاد الإسلامي أميرة عبد اللطيف مشهور من ص43 إلى ص44
78. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي ج2 من ص 857 - 858، القرآن الكريم والسلوك الإنساني محمد بهائي سليم ص 67
79. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 ص 858
80. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 273
81. فقه الزكاة، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 ص 858
82. القرآن الكريم والسلوك الإنساني محمد بهائي سليم ص 67
83. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 ص 858
84. العدالة الاجتماعية في الإسلام سيد قطب ص 151، القرآن الكريم والسلوك الإنساني محمد بهائي سليم ص 67
85. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 من 859 - 863
86. القرآن الكريم والسلوك الإنساني محمد بهائي سليم ص 68
87. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 من ص 858 - 859
88. فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي ج2 من ص 864 - 866

.... ❖❖❖❖❖ ....

شخصية المرأة في رواية "وا إسلاماه" لعلي أحمد باكثير

🖊 محمد توحيد عالم *

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع المرأة في رواية "وا إسلاماه" لعلي أحمد باكثير وهو موضوع مهم شغل بال كثير من الأدباء والمفكرين، واهتم بها الشعراء في قصائدهم والروائيون في رواياتهم وقد عبّروا في صور عدة في أعمالهم. بدأ البحث بمقدمة عن موضوع المرأة في مجال الأدب العربيّ وأثرها في الدراسات الأدبيّة، ونصيبها في الرواية العربيّة، وأهمّيّتها في المجتمع، وكيف استخدمها الأدباء في التعبير عن مختلف تصوراتهم وأفكارهم، ومنطلقاتهم الفكريّة باعتبارها جزء من المجتمع، ثم تناول البحث حياة الكاتب في بضعة سطور، وملخّصا وجيزا لرواية "وا إسلاماه"، ويهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على شخصيّة المرأة في رواية "وا إسلاماه"، لأنّ المرأة في كتابات علي أحمد باكثير الشعريّة والنثريّة موضوع هامّ، وقد عالج الكثير من القضايا الإسلاميّة في روايته ومنها قضايا المرأة التي احتلّت حيّزا كبيرا فيها، ويرى أنّ للمرأة دورا إيجابيّا في الجهاد، ويسعى البحثُ الكشف عن نظرته لشخصيّة المرأة وكيف تفاعل مع قضايا المرأة، وعرض الملامح الفكرية عنده في شخصيّة المرأة. واخترت رواية وا إسلاماه لهذا الموضوع، سأحاول إبراز صورة من صور المرأة تختلف عن كثير من الصور التي رأيناها في أعمال أدبية أخرى. وسنحاول أنْ نعرض هذه الصورة على النظرة الإسلاميّة كما كانت الرواية التاريخيّة الإسلاميّة. ثم اختار الباحث المرأتَيْن فقط وهما جهاد أو جلنار وشجر الدر، ولم يذكر بقيّة منها، ثم البحث متبوع بالخاتمة.

الكلمات المفتاحيّة: باكثير، جلنار، الرواية العربية، شجرة الدر، شخصية المرأة، وا إسلاماه.

---

* باحث في الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة غوربنغا، مالده، بنغال الغربية، الهند
البريدالإلكتروني: ttdalam@gmail.com

مقدمة

كان موضوع المرأة في ميدان الأدب من أهمّ المواضيع التي تطرح على ساحة الفكر، وشغلت بال الكثير من المفكرين والأدباء، واهتمَ بها الشعراء في قصائدهم والروائيّون في رواياتهم وقد عبّروا في صور عدّة في أعمالهم. قالت مفقودة صالح: "أما وجود المرأة في ميدان الأدب فيحتلّ مساحة كبيرة، فقصائد الشعر العربيّ تنوء بوصف النّساء، ولوحات الرسامين تعتمد على هذا الموضوع وكذا الأفلام والإشهار، وأسواق المتعة. فالمرأة جزء لا يتجزأ من حفلات المجتمعات الراقية ومن عروض الأزياء، ومن النوادي المتخصصة للقمار وغيرها من المنشآت السياسية"[1].

إن الأدب يلعب بمختلف أنواعه وأشكاله دورا هاما في تشكيل صورة المرأة، لأن هناك أهمّيّة كبيرة لصورة المرأة في المجتمع، هي توجد داخل المجتمع الذكوريّ وخارجه، وهي عضو مهمّ في هذا المجتمع، فالمرأة عنصر بارز في جميع ميادين الحياة سواء أكان شعراً أم نثراً أم إشهاراً، فهي عنصر أساسيّ لافت للانتباه قد تبين حضورها في الرواية العربيّة وأصبح لها نصيب منها، وأصبحت المرأة محورا من المحاور التي استخدمها الأدباء في رسم صورتها للتعبير عن مختلف أفكارهم وتصوراتهم، كما أنها تمثل منطلقا فكريّا للبوح عن مختلف همومهم وواقعهم الاجتماعيّ والاقتصاديّ، وكذلك القضايا الإنسانيّة المختلفة، فإنّ المرأة هي الجزء الأساسيّ لا ينفصل بأيّ حال من الأحوال من كيان المجتمع الكليّ، تمثل مثالا وصورة رمز للشجاعة والبطولة والتضحيّة، واتصفت المرأة بالشجاعة والحكمة والقدوة والوفاء والصدق والثقة والتضحيّة والإيثار، وعلى هذا فإنّ المرأة قد أصبحت بمثابة رمز فنّيّ يحمل عديد من المعانيّ والدلالات، وأثّرت المرأة في القلوب والعقول فكانت بمثابة الأم والأخت والحبيبة والزوجة.

فقد شغلت المرأة مساحةً واسعةً في سياق الأعمال الأدبيّة سواء كانت قصة أم مسرحية، وقد حظيت في الروايات العربيّة بحضور مستوياتها، فقضيّة المرأة ودورها الحسّاس في

1 . الدكتورة مفقوده، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية (الجزائر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الطبعة الثانية، 2009م) ص 9.

المجتمع ما زال قائما ومتجدّدا على مرّ العصور، فقد تبارى الأدباء في رسم صورتها، واستقطبت محورا من المحاور المستخدمة في التعبير عن مختلف تصوراتهم وأفكارهم، ومنطلقاتهم الفكرية باعتبارها جزءً من المجتمع.

والمرأة في الرواية تحتلّ نصيبا أوفى وأوفر، وكذا الشأن في الدراسات الأدبية والاجتماعية. ومع كثرة الدراسات المقدمة عن المرأة سلبا وإيجابا، فإن تلك الدراسات والبحوث الاجتماعية، تجري في أماكن أخرى بحيث تكاد تقتصر تلك الأبحاث حول النساء في المدن فالدراسات تجري غالبا في محيط غير بعيد عن الجامعات ومراكز التعليم، ومعظم أحكامنا نبنيها على معرفة بشرائح من نساء المدن[2].

ومن هنا نعرف أن المرأة تعتبر عنصرا هامّا من عناصر العمل الأدبيّ وإذا أنكرنا شيئا فإنّما ننكر ما يعمد إليه كثير من الأدباء من جعل المرأة رمزا للذة الجسد الرخيصة، علما بأنّ الجنس لا يمثل إلا جزءا صغيرا من كل كبير ولا يجوز أن يطغي ذلك الجزء على هذا الكلّ.

عالج باكثير في أعماله الأدبية بشكل عام الكثير من القضايا الإسلامية ومنها: قضايا المرأة في أعماله الأدبيّة بشكل عام، قدّم باكثير نماذج مشرقة للمرأة في أدبه، وأنزلها منزلة لم ينزلها إياها أحد غيره من الكتاب، تناول عالم المرأة بوصفها نصف المجتمع، فهي الأم والبنت والأخت والزوجة وغيرها فدورها ركيزة أساسية في الحياة وظروفها المعقدة، فتلمس باكثير مواقفها بين القبول بالواقع والاستسلام له وبين التمرد والرفض. ولم يقتصر باكثير على إبراز المرأة في صورة مشرقة في الأعمال التي يبدعها ويؤلفها فحسب، بل نراه يعمد إلى قصص التاريخ والأساطير فإذا وجد في بعضها نيلا من قدسية المرأة أو موقفا سلبيا تجاهها شرع يعيد كتابة تلك القصص معيدا للمرأة اعتبارها ومكانتها مصححا خطأ التاريخ أو معيدا تفسير الأسطورة[3].

---

[2]. الدكتورة مفقوده: المصدر نفسه، ص 9.

3 . د. الزبيدي، عبد الحكيم: الكاتب الذي أنصف المرأة (دائرة الثقافة والإعلام - حكومة الشارقة: مجلة الرافد، العدد 6، يونيو 2010م) ص 179.

علي أحمد باكثير

هو علي بن أحمد بن محمد باكثير الكندي، ولد سنة 1910م في جزيرة سوروبايا بإندونيسيا لأبوين عربيين من حضر موت. وفي سنة 1920م، أرسله والده إلى مدينة سيئون في حضر موت لينشأ هناك على العربية وهي عادة للحضارمة المهاجرين. تلقّى هناك تعليمه في مدرسة النهضة العلمية ودرس علوم العربية والشريعة على شيوخ أجلاء. ظهرت مواهبه مبكرا فنظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره[4]، وتولى التدريس في مدرسة النهضة العلمية وتولى إدارتها وهو دون العشرين من عمره[5]. عاش باكثير حقبةً زمنيّةً غير قصيرةٍ في حضرموت ثم تنقل بين أطراف اليمن والصومال والحبشة ثم استقر زمنًا في الحجاز والتقى بالملك عبد العزيز آل سعود، وكتب هناك أول مسرحية شعرية " همام أو في بلاد الأحقاف".

وصل باكثير إلى مصر سنة 1934م، ليدرس الفقه في الأزهر، إلا أنه التحق بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزيّة في جامعة فؤاد الأول، وتخرج منها عام 1939م، وخلال دراسته سنة 1936، ترجم مسرحية "روميو وجوليت" لشكسبير بشعر التفعيلة أو كما سماه "الشعر المرسل"، وبعد انتهاء الدراسة فضّل الإقامةَ في مصر حيث أحبّ المجتمع المصريّ وتفاعل معه، وأصبحت صلته برجال الفكر والأدب وثيقة، من أمثال العقاد وتوفيق الحكيم والمازني ونجيب محفوظ وصالح جودت وغيرهم. عمل باكثير بالتدريس خمسة عشر عاما منها عشرة أعوام بالمنصورة ثم انتل إلى القاهرة. زار باكثير عددا من الدول العربية والأجنبية كسوريا، ورومانيا والاتحاد السوفييتي وإنجلترا، توفى في مصر سنة 1969م.

[4] . د. حميد، محمد أبو بكر: علي أحمد باكثير النشأة الأدبية في حضر موت (الأدب الإسلامي، 2001م، العدد 29، المجلد 8)، ص 19.

5 . د. الزبيدي، عبد الحكيم: باكثير في سطور، (مجلة الرافد، يونيو 2010م، العدد 6) ص 244.

لقد نشأ علي أحمد باكثير نشأةً عربيّةً إسلاميّةً منذ نعومة أظفاره في موطن آبائه حضرموت، حفظ القرآن الكريم في سنّ صغير بمدينة سيئون، وكان شغوفاً بقراءة المتنبي وإمرئ القيس، ودرس الإسلام من ينابيعه الأصليّة دراسة عميقة وافية، "واستقى باكثير فكره الإسلاميّ من ينابيعه الأصليّة، أي: القرآن والسنة، وقد تجلى اتجاهه الإسلاميّ والتزامه بالفكر الإسلاميّ في آثاره الشعريّة والمسرحيّة والروائيّة بصورة واضحة، حيث يصدر فيها عن التصوّر الإسلاميّ ويدعو إلى الفكر الإسلاميّ، ولا يرى في ذلك بأسًا، لأنّه يعتقد أنّ كلّ كاتب لا بُدّ أنْ يكون له فكرة يدعو إليها في عمله الفنّيّ"[6]. هو كاتب إسلاميّ وروائيّ ومسرحيّ بارع وشاعر ماهر. وتنوّع إنتاجه الأدبيّ بين الرواية والمسرحيّة الشعريّة والنثريّة، كما كتب العديدَ من المسرحيّات السياسيّة والتاريخيّة ذات الفصل الواحد وكان ينشرها في الصحف والمجلات السائدة آنذاك.

وا إسلاماه

رواية "وا إسلاماه" هي رواية تاريخيّة عربيّة للكاتب علي أحمد باكثير صدرت عام 1945، تتناول فترةً من فترات الدولة الأيوبيّة، وهي الفترة التي انتقل فيها الحكم من الأيّوبيين إلى المماليك، كما تتناول غزو التتار لمدينة بغداد، وتولّى شجرة الدر حكم مصر، ومحاربة قطز للتتار وانتصاره عليهم في معركة عين جالوت.

نرى في هذه الرواية أن الكاتب علي أحمد باكثير تعرض فيها للأحداث التي وقعت في مصر وما حولها، والتي يطل القارئ منها على المجتمع الإسلاميّ إبان غزو التتار للعالم الإسلاميّ في أهم بلاده من نهر السند إلى نهر النيل[7]. يقول الكاتب عن روايته في مقدمتها: هذه قصة تجلو صفحة رائعة من صفحات التاريخ المصريّ في عهد من أخصب عهوده وأحفلها بالحوادث الكبرى والعبر الجلى. يطل منها القارئ على المجتمع الإسلاميّ في أهم بلاده من

6 . د. سرباز، حسن: الاتجاه الإسلامي في روايات علي أحمد باكثير التاريخية (موقع الأديب علي أحمد باكثير، من أبحاث مؤتمر "علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية"، القاهرة، 2010) ص 106.

7 . غوري، محمد علي: علي أحمد باكثير رائد الرواية التاريخية الإسلامية في الأدب العربي: وا إسلاماه نموذجا (موقع الأديب علي أحمد باكثير، من أبحاث مؤتمر مئوية باكثير بالقاهرة 2010) ص 205.

نهر السند إلى نهر النيل وهو يستيقظ من سباته الطويل على صليل سيوف المغيرين عليه من تتار الشرق وصليبيّ الغرب، فيهب للكفاح والدفاع عن أنفس ما عنده من تراث الدين والدنيا. ويشاء الله أن تحمل مصر لواء الزعامة في هذا الجهاد الكبير، فتحمي تراث الإسلام المجيد بيومين من أيامها عظيمين كلاهما له ما بعده: يوم الصليبيين في فارسكور، ويوم التتار في عين جالوت[8].

ونرى أيضا في هذه الرواية قصة رائعة لحياة الطفلين محمود وابنة خاله جهاد حفيدي الملك خوارزم شاه، نعم هي قصة حب أمير وأميرة نقلتهما الأقدار من نعيم المُلك إلى أيدي اللصوص، واختطافهما من ابنه الملك جلال الدين في جبال الأكراد، لم يقم محمود وجهاد بجبل الشطار إلا بضعة أيام حتى جاء أحد تجار الرقيق إلى الجبل فعرضوهما عليه بعد تسميتهما قطز وجلنار، فاشتراهما بمائة دينار. ثم بيعهما ثانية للوجيه الدمشقي غانم المقدسي أحد أتباع الشيخ المجاهد ابن عبد السلام، عاشا معا ووعدهما بالعتق والزواج، فمات قبل أن ينجز وعده، بعد بلوغهما سن الرشد كتب عليهما الفراق بعد موت سيدهما، فتفرقا في أيد المالكين، فبيع جلنار من جديد حيث صارت أخيرا إلى قصر شجرة الدر في مصر، وباعدت بينهما البلاد إلى أن جمعتهما الدار يوما ورآها فثار به حبه القديم، وكان زواجهما مع زواج شجرة الدر بالملك عز الدين أبيك، أخيرا تستشهد جلنار وهي تحامي عن زوجها الحبيب في معركة عين جالوت التي انتصر فيها المسلمون على التتار بقيادة الملك المظفر قطز، ولم يعمر بعدها طويلا، فقد ارتاب به قائده بيبرس فأسهم في اغتياله لكنه ندم لما تبين أن الملك المظفر كان ينوي تعيينه ملكا بعده.

وقد حشد الكاتب في روايته كثيرا من الشخصيّات التاريخيّة الحقيقيّة، كما طعمها بشخصيّات أخرى خياليّة، ودفع بها إلى خصم الأحداث الحربيّة والسياسيّة المتأجّجة، على نحو من الصراع الملحميّ الذي لا يخلو من تشويق وإثارة.

نذكر هنا عن شخصيّتين من أهمّ شخصيّات المرأة، أولها جهاد أو جلنار وثانيها الملكة شجرة الدر، بعيدا عن إلقاء النظر في شخصيات أخرى من المرأة.

---

[8]. باكثير، علي أحمد: **وا إسلاماه** (القاهرة: مكتبة مصر، د. ت) ص 3.

شخصية المرأة في رواية "وا إسلاماه"

نجد رأي على أحمد باكثير في عمل المرأة حينما سُئِل في مجلة الإذاعة والتلفزيون في 1962/11/14م بالقاهرة، والذي يدلّ على أنه يحبّ الثقافة الإسلامية ولا يحبّ دونها.

(س) نفس الاتجاه.. الأساطير؟ ولكن ما هي فكرتك في مسرحية "الدنيا فوضى"؟!

أجاب: فكرتي هي أنّ فتاة المجتمع الجديد لم تعد أنثى! إنها تعمل.. وتخرج، وتقوم بنشاط كبير، يجعلها تخرج عن حدود أنوثتها.. ثم هي تستخف بالعمل في البيت، وتربية الأولاد، وتظن أن هذه من اختصاص الخدم، وتأكل في المطاعم، وتضع رجلا على رجل، وتشرب السجاير[9]!

وهذا لا يعني أنه عدوّ للمرأة، ويقف ضدّها ومخالف حقوقها، ولكن خروج المرأة إلى الحياة العامة ومشاركتها للرجل في جميع المرافق الاجتماعيّة، وسفور المرأة واختلاطها بالرجل في الحياة العامة، ومؤاكلتها ومشاربتها في المطاعم والمقهى، يعتقد أنّ السفور خطير على الحياة الزوجية المستقرة، وحياة الأسرة، عندما يختلط زوج هذه بزوجة ذاك. يرى باكثير أن للمرأة هدف عظيم في الحياة، وعليها القيام بأعمال البيت والأسرة. ولم يخالف عمل المرأة كما أجاب في سؤال آخر.

(س) وهل من رأيك ألا تعمل المرأة؟ قال: لا ولكن من رأيي ألا يحولها السفور إلى رجل.. ليس من الجميل لها أن تكشف عن كلّ جسمها، وأن تحدد تفاصيله بهذا الشكل (المقرف). إنّ الرجل حتى مع زوجته، لا يحب أن يراها عارية سافرة بهذا الشكل. فما بالها بالغرباء من حولها في الشارع وفي الأتوبيس وفي العمل. ويكفيك هذا المنظر الغربيّ: أن تجلس المرأة في الأتوبيس وقد ظهر ما فوق ركبتيها.. وتظلّ تشدّ الفستان، كأنها (فعلا) ترغب في إخفاء رجليها، ولكنها لا يمكن أن تكون راغبة في هذا، وإلا لأطالت الفستان أصلا.. إنه منظر يغيظ!![10].

[9] . الدكتور حميد، محمد أبو بكر: **علي أحمد باكثير من أحلام حضرموت إلى هموم القاهرة** (الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، الطبعة الأولى، 1997م) ص 66.

[10] . الدكتور حميد: المصدر نفسه، ص 66.

فموقف باكثير من المرأة كان مبنيّا على الأساس الإسلاميّ كما يشرح باكثير رؤيته الواعية للإسلام فيقول: كنت دائما أرى أن الإسلام قوّة روحيّة، ومدنية كبرى، وأنّ الإنسانيّة الحائرة ستظل دائما في حاجة إلى الاهتداء بنوره، وأنّ على كتابنا ألا يستعيروا الإيديولوجيات الأجنبيّة، بل ينظروا إلى الحياة من وجهة النظر الإسلاميّة، ويعبّروا عن واقعهم وأحلامهم من خلالها[11].

جهاد أو جلنار

يرى باكثير أنّ للمرأة دورا إيجابيا في الجهاد، وتمثل جلنار هذه المرأة الإيجابية في الرواية، ونجدها الزوجة المسلمة كما يصورها باكثير. نرى أنّ باكثير يتقدّم في رواية "وا إسلاماه" في رسم شخصيّة المرأة، فيخترع بخياله الخصب شخصيّة جهاد أو جلنار، وهي بنت السلطان جلال الدين، كما يخترع قصة الحب بينها وبين قطز الملك المظفر محمود ابن الأمير ممدود ابن أخت السلطان جلال الدين، وقد بالغ المؤلف في تصوير مشاعر جهاد نحو قطز وهي طفلة لم تعد السابعة من عمرها[12]، واستمر هذا الوصف النفسي فيما بعد، ولكن المؤلف ركّز على مشاعر قطز، فهو الذي يحزن على فراقها بعد أن تربت معه، واختطفت معه، وبيعت في سوق الرقيق وأطلق عليها اسم جلنار، تقلّبت بها ظروف الحياة عندما ترحل إلى مصر وهو في دمشق، وعندما ترحل إلى دمشق وهو في مصر، حتى التقت بقطز ثم تزوجته، وهي بطلة القصة، نرى أن الملك المظفر بدأ أن يوطد أركان عرشه، ويدبر ملكه، ويقضي على عناصر الفوضى والاضطراب، ويضرب على أيدي المفسدين والدساسين، ويقبض بيد قاهرة على أزمة السياسة الجامعة، ويعالج الأمراء المماليك، وأن يقوي الجيش، ويضاعف عدده وأسلحته، وخلال هذه الأيام لم يعرف للراحة ولم ينم إلا قليلا، وفي هذه الأيام نجد وظيفة زوجته وحبيبته السلطانة جلنار تدور في خدمة زوجها وتُعِينه وتؤازره وهو يعد العدة لملاقاة التتار: "تشد أزره في ذلك كله، وتشجعه على المضي في هذا السبيل الوعر. فكانت تسهر الليل معه، وتشاطره همومه وآلامه، وتمسح بيديها

---

[11] . الدكتور حميد: المصدر نفسه، ص 104.

[12] . البابكري، أبو بكر: **روايات علي أحمد باكثير التاريخية مصادرها.. نسيجها الفني.. إسقاطاتها** (موقع الأديب علي أحمد باكثير) ص 146.

الرفيقة شكواه كلما ضاق صدره بتخاذل الأمراء عن طاعته، ونيلهم منه في مغيبه، ونفاقهم له في مشهده، وإلقائهم العواثير في طريقه، وكان ربما أنساه انهماكه في عمله الدائب طعامه وشرابه فعنيت بتقديمهما بنفسها إليه، وإذا نهكه السهر في أعقاب الليل، قامت إليه، فأخذت بيده وقادته إلى فراشه، ليأخذ نصيبه من نومه وراحته، وكانت لا تفتأ تملأ قلبه ثقة بالفوز فيما ندب نفسه للقيام به، فيزداد يقينه ويتضاعف إيمانه"[13].

نرى أنها كانت آملة ومتمنية، وتريد الخروج إلى ساحة الحرب لكي تنظر مصارع الأعداء ومناظر القتال بعينيها، نجد هناك حوار مذهل ومثير للاهتمام بين الحبيبين؛ جلنار والسلطان قطز، تقول هي لزوجه الحبيب: إني سأخرج معك إلى ميدان القتال، لأرى مصارع الأعداء بعيني، فيشفى بذلك صدري"، فيقول لها: أخشى عليك يا حبيبتي من سهامهم، فتقول له: لن أخشى على نفسي ما لا أخشاه عليك، ولكن تطمئن على سأكون وراء الجيش في مأمن من سهامهم وكراتهم"، يقول الملك المظفر قطز: أما تخافين أن يخلصوا إليك أثناء الكر والفر، فتقعي أسيرة في أيديهم؟، تقول جلنار له: أنا ابنة جلال الدين لا يخلصون إلي وجوادي معي ينجو بي منهم، أما تذكر يا محمود أيام كنا نتبارى على جوادينا، فتسبقني حينا وحينا أسبقك[14].

ولا يقتصر دور جلنار في الرواية على هذا، بل إنها قد شاركت في الجهاد بالسيف فنرى وظيفتها في المعركة حماية زوجتها الملك قطز "وكانت السلطانة قد جعلت همها حماية زوجها من الغيلة"[15]، شاركت بالسيف عندما تطلب منها الأمر ذلك حين انكشف المسلمون عن القائد، وهي التي تشعر بغدر الصبيّ التتريّ وهي على جوادها من تل مرتفع خلف السلطان، راقبتْ حركات الصبيّ التتريّ الذي يخوض صفوف التتار فيقتل منهم ويخلص منها سالما، فلاحظته جلنار، حتى أتى خلفه خمسة فرسان من التتار كالسهم إلى جهة السلطان يريدون قتله، رأتهم جلنار حتى تتلثم وتنزل أرض المعركة: "وكاد الفارس الآخر التتري الآخر يعلو السلطان بسيفه لو لم يبرز له فارس ملثم شغله عن ذلك، فاختلفا

---

13. باكثير: **المصدر نفسه**، ص 184.
14. باكثير: **المصدر نفسه**، ص 184.
15. باكثير: **المصدر نفسه**، ص 193.

ضربتين بالسيف فخرا صريعين. وصاح الفارس الملثم: صُنْ نفسك يا سلطان المسلمين! ها قد سبقتك إلى الجنة"[16]. ولم يكن هذا الفارس الملثم إلا زوجته جلنار، وهي قد أطارت رأس الصبي التتري قبل ذلك، ولكنها أصيبت بجرح قاتل حتى ماتت.

ولقد مثلت جلنار قمة الشجاعة والتضحيّة حين فدتْ السلطان بروحها، ونرى عمق عاطفة الحب التي جمعت بين قطز وجلنار إلى درجة اندفعت معها للقتال دفاعا عنه واستشهادها دونه، نرى أن جلنار كانت جريحة فأضجعها السلطان قطز علي فراشه وجعل يقبل جبينها والدموع تنهمر من عينيه وهو يقول لها: وا زوجتاه! وا حبيبتاه!، على الرغم من ذلك الحب، فأحست به ورفعت طرفها إليه وقالت له بصوت ضعيف متقطع وهي تجود بروحها في سياق الكلمة التي كانت عنان الرواية ومفتاحها: "لا تقل وا حبيبتاه... قل وا إسلاماه! "[17]، وما لبثت أن لفظت أنفاسها الأخيرة بين يديه.

هكذا رسم باكثير صورة الزوجة الوفية في هذه الرواية، لو أراد باكثير أن يتلاعب بأحداث هذه القصة لوجد فيها مجالا خصبا للإثارة، ولكنه يحمل في ذهنه صورة للمرأة المسلمة والحبيبة الوفيّة والزوجة الصالحة تجعله بعيدا عن العبث بشخصيّتها.

والحقيقة أن هذه تعد نقلة كبيرة بوظيفة المرأة من مجال الغناء إلى ساحات القتال والسياسة، وقد قامت فيهما شجرة الدر بدور كبير.

شجر الدر

عرض باكثير لنموذج شخصية "شجر الدر" زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهي شخصية تاريخية قوية طموحة، كانت بديعة الجمال ذات رأي وتدبير ودَهَاء، وعقل، ونالت من السعادة مالم يَنَلْه أحد في زمانها[18].

نجد شخصيّة الملكة شجرة الدر في الكتب التاريخيّة مثل كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري" أنها الملكة شجرة الدر بنت عبد الله جارية السلطان الملك الصالح

---

[16] . باكثير: **المصدر نفسه**، ص 194.

[17] . باكثير: **المصدر نفسه**، ص 194.

[18] . ابن تغري، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري الأتابكي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1936م، المجلد السادس) ص 374.

نجم الدين أيّوب وزوجته وأم ولده خليل، وكانت حظية عنده إلى الغاية، وكانت في صحبته وهو ببلاد المشرق في حياة أبيه الملك الكامل، ثم سارت معه لما حبسه الملك الناصر داود صاحب الكرك بالكرك، ومعها ولدها خليل أيضا، وقاست مع الصالح تلك الأهوال والمِحن، ثم قدِمتْ معه مصر لما تسلطن؛ وعاش ابنها خليل بعد ذلك وتوفّى صغيرا. ولا زالت في عظمتها من الحشم والخدم وإليها غالب تدبير الديار المصريّة في حياة سيّدها الملك الصالح وفي مرضه وبعد موته، والأمور تدبِّرها على أكمل وجه إلى أنْ قَدِم ولدُ زوجها الملك المعظم توران شاه، فلم يشكر لها تُوران شاه ما فعلته من الإخفاء لموت والده وقيامها بالتدبير أتمّ قيام، حتّى حضر إلى المنصورة وجلس في دَسْت السلطنة. ولم تَدَعْ أحدا يطمع في الملك لعظمتها في النفوس، فترك تُوران شاه ذلك كله وأخذ في تهديدها، وطلب الأموال منها سرعة، فلم يحسُن ذلك ببال أحد. واتفقوا على ولايتها لحسن سِيرتها وغزيرِ عقلها وجودة تدبيرها، وجعلوا المعزأيبك التركمانيّ أتابَكًا لها، وخُطِب لها على المنابر بمصر والقاهرة لكنّها لم تلبس خِلْعة السلطنة الْخَلِيفتَي على العادة، غير أنهم بايعوها بالسلطنة في أيام أرسالا وتم أمرها[19].

تولت شجرة الدر حكم مصر بعد وفاة زوجها الملك الصالح أيوب فترة من الزمن، وأنقذت مملكة زوجها من الانهيار عقب وفاته، أخفت موته خوفا من الفرنج، فانقادت السلطنة إليها لما كانت تتميز من صفات سلطوية، " ولمّا مات الملك الصالح في شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة على دِمْياط في حِصار الفرنج، أخفت موته وصارت تعلِّم بخطّها مثل علامة الملك الصالح، وتقول: السلطان ما هو طيّب. وتمنع الناس من الدخول إليه؛ وكان أرباب الدولة يحترمونها. ولمّا علموا بموت السلطان ملكوها عليهم أيام. وتسلطنتْ بعد قتل السلطان الملك المعظّم ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، وخُطِب لها على المنابر، وكان الخطباء يقولون على المنبر بعد الدعاء للخليفة: "واحْفَظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين، عِصمْة الدنيا والدين أمّ خليل المستعصميّة صاحبة السلطان الملك الصالح[20]. يصورها باكثير في

---

[19] . ابن تغري: **المصدر نفسه**، ص 373.

[20] . ابن تغري: **المصدر نفسه**، ص 374.

روايته: "وأخذت شجر الدر تدبر الأمور وتصدر الأوامر حتى لم يتغير شيء، إذ بقي الدهليز السلطاني على حاله، والسماط في كل يوم يمد، والأمراء يحضرون للخدمة. وهي تقول دائما "السلطان مريض ما يريد أن يزعجه أحد"[21]، جلست على أريكة السلطنة بإجماع أمراء المماليك الصالحية واتفاق أعيان الدولة وأهل المشورة، فهي شخصية قوية، وكلمتها مسموعة عند رجال البلاط، وتمتد سيطرتها على رجال الدولة، قامت بتدبير مملكتها أحسن قيام، يعاونها في أتابكها عز الدين أيبك وغيره من مماليك زوجها ووزرائه المحنكين وقواده العظام. وهذه المرأة كما تصفها الرواية "فقد كانت شجر الدر لا تزال هي القوة المصرفة من وراء الستر، وكان نفوذها ماضيا على كل الأمراء، ترفع من تشاء منهم وتضع من تشاء... وأيضا أن شجر الدر تحب السلطة وتعشق النفوذ والسيطرة، ولم تعتزل الملك إلا مغلوبا على أمرها، وكانت ترى في نفسها الجدارة للحكم، والكفاية لتصريف الأمور[22].

سيطرت شجر الدر على زمام الأمور بعد موت زوجها، فقامت الملكة بتدبير ملكتها أحسن قيام، ولكن المأزق يكمن في العرف الذي لا يعترف بحكم المرأة، وهي ليست جاهلة بالمناخ الذي تعيش فيه، ومجموعة القيم التي تحكمه، ولكنها تراهن على تميزها وبراعتها كأداة لتحقيق التوازن وتناسي جنسها الذي يثير احتجاج الرجال. وجاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير أنها قد ملكت الديار المصرية بعد مقتل ابن زوجها المعظم توران شاه، فكان يخطب لها وتضرب السكة باسمها وعلمت على المناشير مدة ثلاثة أشهر"[23].

ثم تنازلت عن الحكم بعد أن استنكر الخليفة العباسي أن تتولى الحكم امرأة، بعث الخليفة كتابا إلى مصر يقول فيه: إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلا"[24] وبعد أن ثار عليها الأيوبيون لمقتل (توران شاه) ابن زوجها، وكانت سببا في إثارة الصراع بين زعماء المماليك أي عز الدين أيبك وأقطاى الذين كانوا يسعون الزواج منها من أجل الوصول إلى حكم مصر، ولما ذهب قطز إلى ملكة شجر الدر رسولا من أستاذه عز الدين

---

21. باكثير: **المصدر نفسه**، ص 129.
22. باكثير: **المصدر نفسه**، ص 141.
23. أبو الفداء ابن كثير، إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية** (بيروت: مكتبة المعارف، الجزء 13، الطبعة السابعة، 1988م) ص 199.
24. باكثير: **المصدر نفسه**، ص 139.

أبيك، وصرّح لها برغبة سيّده في زواجها، كما في الرواية " قالت له: ارجع إلى أستاذك فقل له إني لا استطيع أن أقيم عرسا وجنود الناصر على أبواب مصر"[25]، رجع قطز إلى أستاذه وأخبره ما قالت له، "ففهم عز الدين مما بلغه قطز أن شجر الدر تعده بقبول الطلب بشرط أن يهزم الناصر وجنوده"[26]، نرى في هذه الرواية أن شجر الدر فضلت عز الدين مما أثار عليها (أقطاى)، وحرك المؤامرات ضدها وضد زوجها، وأراد الانتقام منها، فأسرعت باستثارة قطز عليه فقتله، ولم تطل العلاقة بين شجر الدر وزوجها، لأنها أخذت تسيطر على زوجها السلطان عز الدين، وتتحكم في الدولة مما دفع كلا منهما إلى التخلص من الآخر، وكانت أسرع منه فأمرت خدمها بقتله في الحمام، فأسرع مماليكه بالانتقام منها، فقبضوا عليها واعتقلوها في أحد أبراج القلعة ثلاثة أيام، وولوا ابنه سلطانا، فلما استقرت الأمور، أول ما فعل الملك الجديد المنصور أن أمر فحملت شجر الدر إلى أمه، فأمرت جواريها فضربنها (بالقباقيب) حتى ماتت فألقيت من سور القلعة إلى الخندق، ثم ووريت التراب بعد أيام، وأسدل الستار على الملكة العظيمة المجاهدة شجر الدر صاحبة الملك الصالح أم خليل.[27]

كانت قوية النفس، لما علمت أنه قد أحيط بها أتلف شيئا كثير من الجواهر النفيسة واللآلئ المثمنة، كسرته في الهاون لا لها ولا لغيرها.[28]

كانت خيرة ديِّنة رئيسة عظيمة في النفوس، ولها مآثر وأوقاف على وجوه البرّ معروفة بها. والذي وقع لها من تملّكها الديار المصرية لم يقع ذلك لامرأة قبلها ولا بعدها في الإسلام.[29]

25. باكثير: **المصدر نفسه**، ص 146.
26. باكثير: **المصدر نفسه**، ص 147.
27. باكثير: **المصدر نفسه**، ص 164.
28. أبو الفداء ابن كثير: **المصدر نفسه**، ص 199.
29. ابن تغرياالأتابكي: **المصدر نفسه**، ص 379.

الخاتمة

حظيت المرأة باهتمام الكثير من الكتاب والأدباء على اختلاف اتجاهاتهم وتعدد اهتماماتهم ومشاربهم، وشغلت حيزا بارزا في نتاجهم الأدبي. والأديب علي أحمد باكثير يُعدُّ من رواد الرواية التاريخية الإسلامية في الأدب العربي المعاصر، حيث نراه يعتمد في كل رواياته على التاريخ الإسلامي والشخصيات الإسلامية، إذ أنه نشأ نشأة إسلامية وجعل فكره الإسلامي فلسفة لأدبه ومنبرا لحياته، ونرى قدرته على إبراز الفكر الإسلامي والقيم الإسلامية من خلال روايته "وا إسلاماه" في صورة أدبية شيقة وبأسلوب جذاب، لقد أبدع المؤلف في وصف الجهاد وأثره وما ينتظر المجاهد من أجر عظيم عند الله. استخدم باكثير في هذه الرواية كل عناصر السرد وخاصة المرأة التي احتلت حيزا كبيرا وحظا وافرا. فالرواية "وا إسلاماه" تلعب دورا محوريا، ولعلي أحمد باكثير مهارة خاصة في توظيف الحوار مستخدما اللغة العربية الفصحى في أحداث وشخصيات روايته، وعرض لنا صورة رائعة للحب العذري والمرأة المسلمة المجاهدة الإيجابية. فقد صوّر الكاتب من خلال روايته المرأة في أشكال مختلفة ومتنوعة حيث أعطت صورة للحبيبة الوفية والزوجة الصالحة وتضحيتها والمرأة الحاكمة.

.... ❖❖❖❖❖ ....

المصادر والمراجع

1. أبو الفداء ابن كثير، الحافظ إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف، الجزء 13، الطبعة السابعة، 1988م).
2. البابكري، أبو بكر: روايات علي أحمد باكثير التاريخية مصادرها.. نسيجها الفني.. إسقاطاتها، (موقع الأديب علي أحمد باكثير).
3. د. سرباز، حسن: الاتجاه الإسلامي في روايات علي أحمد باكثير التاريخية (موقع الأديب علي أحمد باكثير، من أبحاث مؤتمر "علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية"، القاهرة، 2010).
4. الدكتور مفقوده، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، (الجزائر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الطبعة الثانية، 2009م).
5. د. الزبيدي، عبد الحكيم: الكاتب الذي أنصف المرأة، (دائرة الثقافة والإعلام – حكومة الشارقة: مجلة الرافد، العدد 6، يونيو 2010م).
6. د. الزبيدي، عبد الحكيم: باكثير في سطور، (مجلة الرافد، يونيو 2010م، العدد 6).
7. باكثير، علي أحمد: وا إسلاماه، (القاهرة: مكتبة مصر، د. ت).
8. الدكتور حميد، محمد أبو بكر: علي أحمد باكثير من أحلام حضرموت إلى هموم القاهرة، (الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، الطبعة الأولى، 1997م).
9. د. حميد، محمد أبو بكر: علي أحمد باكثير النشأة الأدبية في حضر موت، (الأدب الإسلامي، 2001م، العدد 29، المجلد 8).
10. غوري، محمد علي: علي أحمد باكثير رائد الرواية التاريخية الإسلامية في الأدب العربي: وا إسلاماه نموذجا (موقع الأديب علي أحمد باكثير، من أبحاث مؤتمر مئوية باكثير بالقاهرة 2010).
11. ابن تغري، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، المجلد السادس، 1936م).

.... ❖❖❖❖❖ ....

قصيدتا الحبيبة المكتومة الاسم والحبيبة الخفية - دراسة تحليلية.

د. شفيق الإسلام *

الملخص:

إن للشاعر القاضي نذر الإسلام (1899م-1976م) مكانة سامية في تاريخ الشعر البنغالي وتجديده. فهو أول من أعرض عن الحب الصوفي الذي أولع به الشعراء البنغاليون قبله بما فيهم الشاعر روبيندرنات تاكور (طاغور) ومال إلى الحب الجسدي فمجده وحاول أن يدرك حبيبه في حدود الأماني والشهوات. وهي سمة بارزة من سمات شعره تميزه عن شعراء البنغالية الآخرين. ويحتل حبه الجسدي هذا حيزا كبيرا من شعره. ولذا أحببنا أن ننقل بعض روائعه الشعرية من هذا الطراز الجديد إلى العربية. فقمنا بترجمة القصيدتين المعنونتين بـ"الحبيبة المكتومة الاسم" و"الحبيبة الخفية" ودراستهما التحليلية، وهما حلقتان مهمتان من السلسلة الطويلة لقصائده من هذا النوع. والجدير بالذكر هنا تركت فراغات بين مقاطع القصيدتين المترجمتين كما وجدناها في الأصل البنغالي.

.

الكلمات المفتاحية: نذر الإسلام، شمس النهار، الحبيب المكتومة الاسم، الحبيب الخفية، الشعر البنغالي



القاضي نذر الإسلام

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية البنات الحكومية العامة للبكالوريوس، كولكاتا، الهند الإيميل: shafiqjnu@gmail.com

تقديم:

إن الشاعر القاضي نذر الإسلام لا يؤمن بالحب الصوفي، بل يؤمن بالحب الجسدي للمرأة. ويظهر إيمانه هذا في كثير من قصائده في الحب والطبيعة، ومنها "الحبيبة المكتومة الاسم". يمجد فيها الشاعر امرأة متصفة بجميع الخصال المحمودة ويحبها. ولكن المشكلة أنها لا تقترب منه ليتبادل الاثنان الحب. وهذا ما يجعله مضطرب الحال قلق البال. ونجد نفس المعنى في قصيدة "الحبيب الخفية" ولكن بكلمات وتعبيرات مختلفة. فتدل هذه القصيدة على أن لدى حبيب الشاعر أحاسيس حارة تجاهه، ولكن لا يمكن الحب الصريح بسبب النظم الاجتماعية، والعادات والتقاليد التي لا تسمح باللقاء، والكلام والتعارف بينهما.

تعريف القاضي نذر الإسلام:

إن القاضي نذر الإسلام من أشهر شعراء البنغالية ومن أساطين الشعر البنغالي الرومانسي. و"القاضي" نسبة إلى آبائه الذين كانوا يعملون قضاة في العصر المغولي. ولد نذر الإسلام في 24 مايو، 1899 في تُشوروليا ببورْدُمانْ في الهند البريطانية وبوردمان إحدى مديريات غرب البنغال الآن. تلقى التعليم الأولي في كتاب قريته ثم درس في المدارس الحكومية إلى الصف الثامن. بعد ذلك ترك التعليم وانضم إلى الجيش الإنجليزي في الهند. ثم فقد الوظيفة. وبعد ذلك، بدأ يكتب قصائد ثورية ضد الاستعمار البريطاني في الهند، فلقب بـ"شاعر الثورة". استمرت مسيرته الشعرية إلى سنة 1942 عندما أصيب بداء عضال تسبب في فقد صوته. ولم يزل حاله كذلك حتى توفي في 29 أغسطس، سنة 1976 ببنغلاديش.

أشهر آثاره:

من أهم مجموعات نذر الإسلام الشعرية: المزمار الناري (1922)، وتشايانوت (1925 تقريبا)، والشنبق المتدلي (1923)، واضطراب البحر (1928 تقريبا) والمختارات (1928)، والنحام (1929 تقريبا) والمزمار السام (1924). ومن أشهر نصوصه المترجمة نظما: رباعيات حافظ (1930)، وترجمة جزء عمّا يتساءلون نظما ورباعيات عمر خيام. [1]

تعريف قصيدتي "الحبيبة المكتومة الاسم" و"الحبيبة الخفية":

الآن نود أن نعرف قصيدتي "الحبيب المكتومة الاسم" (وَنامِيكا/ অ-নামিকা) المقروضة في اليوم السابع من شهر يوليو سنة 1926 و "الحبيب الخفية" (غوفونْ برِيا / গোপন প্রিয়া)" المقروضة في 28 من شهر يوليو سنة 1926م، المدرجتين في مجموعة اضطراب البحر، ليسهل فهمهما، فنقول:

إن نذر الإسلام سكن بلدة كِرِيْشْنُونُغورْ من أوائل 1926م إلى نهاية 1928م. سافر إلى تشيتاغونغ في شهر يوليو من 1926، ونشأ هناك الود بينه وبين السيد حبيب الله بهار والسيدة شمس النهار محمود. ورحل إلى داكا رحلتين متتابعتين في فبراير من 1927 و1928. ثم سافر إلى شيتاغونغ عام 1928 مرة أخرى. بالإضافة إلى قرضه الأغاني، أنشأ قصائد ذاتية أثناء سكنه وإقامته بكريشنو نوغورْ وتشيتاغونغ، وكلكتا (كولكاتا الآن) وداكا. استخدم نذر الإسلام الحبَ والطبيعةَ في هذه القصائد وسليتين للتعبير عن عواطفه الجياشة المفرطة. وتظهر هذه العواطف المدركة بالحواس في كثير من قصائده الواردة في مجموعتي اضطراب البحر (سِنْدُهُو-هِنْدولْ) (ط. 1928) و النحام (تُشُوْكْرُباكْ) (ط. 1929)، ومنها قصيدتا "الحبيب المكتومة الاسم" و"الحبيب الخفية".

والجدير بالذكر أن نذر الإسلام، في قصائده في الحب والطبيعة، ليس مسافرا دون غرض إلى الجميلة المثالية ذات الأسرار غير ذات الجسد المدرك جمالها بمجرد القلب أو إلى إلهة الحياة، مثل رووِيْنْدرُنَاتْ تاكورْ (طاغور)، بل إنه يبكي على فراق حبيبه ويشكو هذا البين وهو يشتاق إلى حبيبه المثالية التي يفضل أن لا يذكر اسمها لسبب ما، كما يحن إلى أن يجدها جسديا وداخل خط الأماني والشهوات الدائري المحدود. ويشبه سعيه هذا محاولة معاينة الشاعر *البوئسنوبي* الشيء العديم الشكل وقلقه للظفر باللامحدود داخل الحدود. وعلاوة على ذلك، ظهرت أيضا علاقات المداعبة بين الشاعر وخليلته في حياة الأماني والشهوات في شعره الحبي. نلمح ذلك التململ في قصيدة "الحبيب المكتومة الاسم".

نكتب فيما يلي خلفية قصيدتي "الحبيبة المكتومة الاسم" و"الحبيبة الخفية" لتتضح معانيهما ويسهل فهمهما على القراء.

خلفية القصيدتين:

كتب نذر الإسلام قصيدتيه "الحبيبة المكتومة الاسم" و"الحبيبة الخفية" في سفره إلى شيتاغونغ عام 1926م. ومما يذكر أنه قبل في ذلك السفر قِرَى حبيب الله بهار وشمس النهار الأخ والأخت، وفي منزلهما قُرضت هاتان القصيدتان. ومن الجدير بالذكر هنا أن نذر الإسلام كتب في رسالة إهداء كتابه "اضطراب البحر" إلى حبيب الله بهار وشمس النهار في 31 من يوليو، عام 1926م ما يلي:

أهديت كتاباتي هذه إلى

"بهار" و"نهار".

أيكما أفضل!

هات بستان الأزهار، يا "بَهار" وهاتي بالضياء، يا "نهار".

توجد الحياة الخضراء بابتلال الأرض من المطر عند مجيء "بهار"،

ويخرج النور الساطع شاقا ظلام الليل عند قدوم "نهار" [[2]].

تلقى نذر الإسلام بعد إيابه من شيتاغونغ إلى كريشنونغور رسالتين كتبتهما شمس النهار. كانت الرسالتان مكتوبتين إلى زوجة الأخ السيدة بُروميلا نذر الإسلام، إلا أن شمس النهار كتبتهما في الواقع قاصدة نذر الإسلام. ويكشف رد الشاعر على تينك الرقعتين من كريشنونغور عن "الحبيب الخفية" و"الحبيب المكتومة الاسم". والرسالة كما يلي:

"لم استحي من أي شيء عند كتابة الرسالة إليك، ولم أحتج إلى الحياء؛ لأنك فتاة وأختي. ولم أظن عند كتابة الرسالة إليك أن رجلا يكتب رسالة إلى امرأة. فاعتبريها رسالة شاعر إلى امرأة توقره... لعل بوسعي أن أفَتِّح أزاهير قلبك، ولكن كيف يمكنني فتح مزلاج الباب؟ لم أسئ الظن بك إذ لم تستطيعي أن تظهري أمامي؛ لأني رأيتك وأريد أن أراك بواسطة كتاباتي. وذلك هو الرؤية الحق ... طُلب مني منشأ قصيدتي، فسأبين كل ما أعلم من أخباره" [[3]].



مجمّع غِريسْ كوتيجْ بكريشنو نغور بغرب البنغال حيث سكن الشاعر من 1926 إلى 1928

الحبيبة المكتومة الاسم

أنا أمجدك، يا خليلتي في الحلم،

أي صديقتي الغائبة،

المولدة في صدر الوجدان عطش الحرمان!

أنا أمجدك...

يا فاتنة قلبي،

يا فتاة ذات الشباب الدائم، وصاحبة أمانيي الخالدة!

أنا أمجدك...

يا من لا أعرف اسمها ولم تزرني بعد،

إليك تمجيدي ومحبتي ...

يمجد الشاعر في الأبيات المذكورة أعلاه خليلته الحلمية وحبيبته الغائبة التي "تولد عطش الحرمان" في نفس الشاعر. و"فاتنة قلب الشاعر" هذه حبيبته الخالدة و"فتاة ذات الشباب الدائم". أما قول الشاعر إنه لا يعرف اسمها فهو ليس بصحيح وواقعي. ومثل هذه الأقوال الخيالية وغير الواقعية من أبرز سمات الرومانسية.

أيتها السائرة في الخفاء، أي حبيبتي الخالدة!

ما زلتِ جالسة خلف ستار بكائي وأمانيي منذ بدء الخلق، ولم تظهري أمامي جسديا.

ولم يضئ مصباح خيرك

بيتي المظلم ذا السياج.

يا غير المحدودة! لمّا تأتي داخل الحدود.

صادفتك وضيعتك في المنام مرارا.

ويتألم الشاعر؛ لأن هذه الامرأة اللامحدودة المتخفية لا تقع في يده جسديا داخل الخط الدائري المحدود وإنما تظهر أمامه في المنام.

أيتها العديمة الشكل! حللت بقلبي كرُوتي إلهة الحب

ولم تأتي بيتي زوجة وفية متفانية.

جئتني رفيقة الغرام،

ولم تصلي إلى شفتي رفيقة حياة.

ظللت خفية في جوف العنب، أيتها الخمر اللذيذة،

ولم تنصبّي في الصحن!

"اخلعي الحجاب"

تصيح رغباتي الجامحة بهذه الكلمات!

أيتها النائية! اسكني بعيدة عني – وأحبيني –

ولا تقربي مني.

لست نورا مطفأ ولا لهبا.

أنت سراب،

أنت ضياء.

ما زلت أحييك في ميلاداتي جمعاء وفي هذه الدنيا والعوالم الأخرى.

ولا أزال أحييك في ميلاد واحد تكرارا (كما يحيي هندوسي تمثال إلهه أو إلهته بالتلويح بيديه أو مصباحه أو نحو ذلك أمام وجهه أو وجهها).

لا تقع هذه "النائية" في يد الشاعر جسديا؛ ولذا تبدو له "سرابا" و"ضياء". ولكنه يعبدها بطريقة هندوسية خاصة وهي أن يُحيِّي تلك الحبيب "النائية" في ميلادات وعوالم متعددة حتى مئات المرات في ميلاد واحد، كما يحيي هندوسي تمثال إله أو إلهة بالتلويح بيديه أو مصباحه أو نحو ذلك أمام وجهه.

هنالك رأيت الشكل فمجدته متصورا إياك، يا حبيبتي!

تفقدتك في كل شكل، أيتها البديعة الخلق!

ويزيد الهواء قدر ما أرفع ستاره!

طلعت مثل قوس ملك الآلهة إيندرو تكرارا،

يا حورية الهواء

يا حبيبتي الساحرة القلب!

كلما سعيت لأن آخذك، امتزجت بالأفق البعيد.

يا عقيلتي المؤلمة، لم تأتيني مكلمة.

أيتها الحبيبة البعيدة التي لا تقربني أبدا!

ينقلني أملي المفرط أن أجدك جسديا،

من كوكب إلى آخر!

وبسبب الرغبات الشديدة في اللقاء،

أولَد في عوالم مختلفة!

أحس في صدري المضطرب جوع الشباب لم يخمد

والرغبات العنيفة،

فأولد مرة بعد أخرى

وأدعو الله؛ لأني لم أظفر بك بعد ...

ولكن بالرغم من البحث عن هذه "البديعة الخلق" في كل شكل، لم تحضر تلك "العقيلة المؤلمة" أمام الشاعر "مكلمة". فجعله "ألم عدم الوجدان" هذا، مضطرب الحال وقلق البال. ولذا تسمع تنهدات "جوع الشباب غير المخمد" و"الرغبات العنيفة" في هذه القصيدة وكذلك في كل موضع من قصائده في الحب. وليست صورة الفراق في مثل هذه القصائد هادئة، بل إنها مضطربة. ولم يظهر الألم النفسي فقط لعدم الوجدان، بل ظهر الوجع الجسدي أيضا؛ ويمتد هذا الألم على كواكب عديدة، وعوالم كثيرة وميلادات شتى.

كل ما قبّلته بعدما استجملته

وكل ما جمّلته بعدما قبلته؛

أخال أني شعرت باهتزازك بين كل أولئك!

ولمست شفتيك رويدا رويدا،

يا تِلتُّما الجميلة المثالية!

كثيرا ما قبّلتك في شفاه كل فتاة!

سرا وعلنا.

كل من قبل عشيقته ساهرا الليل،

وفي صباحه وهو نعسان من السهر؛

أخال أني لثمت شفتيك معهم

وفي شفاه أحبتهم أجمعين، يا خليلتي الممتازة من بين جميع الخليلات!

تنشأ شهوتي مع شهوات النجم، والشجر، والطير والدواب جميعا ـ فشهوتي جزء من شهوة الكائنات!

يخيل إلى الشاعر أن حبيبه لم يظفر بها ولم تبق في متناول يده على أي حال، فيشعر بوجودها في أشكال وأجساد كل النساء. إنه يعبد الجمال لعدم تحقق أمانيه. وتتولد شهواته مع النجم، والشجر، والدواب والطيور والكائنات الأخرى. وتعبيره عن هذه الأحاسيس تلقائي وعفوي.

إن الذين حرموا من العشق، والذين يتمتعون بالاتصال الجنسي؛

أنا معهم جميعا وأنا أمنح جميعهم قوة الحب!

يومَ أحس خالق البرية شهوة الكائنات الجنسية الأولى،

في ذلك اليوم ولدتِ وولدتُ من خالق الكائنات.

فأصبحتُ كام، وأصبحتِ زوجه روتي؛

ولذا توجد قوتنا المدهشة في الحب والشهوة في صدور الشبان والشابات دوما.

ما أنت؟ وما لست أنت؟ كم أفكر في هذا الأمر، وإلى كم جانب أنظر!

هل بحثت عنك في كل اسم دون جدوى، يا غير مذكورة الاسم؟

وهل أحببتك بلا سبب؟ وهل يحبني عدم الجدوى فقط؟

فينفلت من يدي كل من أضمها إلى صدري متصورا أنها أنت!

أسفي على أسفي! هل يوجد أحد مثلي، ولمَ يذوب قلبي؟

والتي أحببتها، يحبها سرا من هو أفضل منها.

أخال أنه أجمل وأحلى!

في صدر عقيلتي أنت تضحكين عروسا لي.

آه! أنت تبكين وحيدة غير مظفور بها في صدر وفراش من تتوفر في صدري،

يا ضرة عشيقتي ...

وجدتها تكرارا، ولكن أخال أن قلبي يقول:

كلا، ليست هذه تلك!

يا ضباب! أين أنت؟ ومتى أقدر على لقائك؟

هل كنت ولدت في الزمن الغابر؟ أم ولدت في الزمن الحاضر؟ أم ستولدين؟

تكلمي، تكلمي يا حبيبتي،

يا مولدة ظمأ الحرمان في نفسي في كل عصر!

أخال أنك لن تتكلمي اليوم.

إن نفس الشاعر مليئة بالمشاعر، ولكنه لسوء الحظ غير قادر على الظفر بحبيبته. فيأسف على ذلك أسفا شديدا ويعي أنه لا تتحقق أماني المحب دائما.

الحب حق وخالد، وأظن أن إناءه ليس خالدا.

الشجرة التي خلقت من بذر الشهوات،

وسط الشهوات نفسها لا تزال تكبر شجرة الشهوات الإلهية نفسها.

تقوم أفنانها بحملات إلى جوانب شتى،

كأنها ستمتص كل هواء السماء وحياتها.

وغطت أجنحة إوز الشهوات الخضراء السماءَ!

وبالحبيب "المولدة عطش الحرمان في كل عصر"، أدرك القاضي نذر الإسلام أن "الحب حق وخالد" ولكن "إناء الحب ليس خالدا".

الحب حق، وأوعيته متعددة لا تحصى؛

ولذا آمل أن أجدها في صدري، ومع ذلك يبكي قلبي ولماذا؟

الخمر حق ولكن دنها ليس بحق؛

وإنما يسكر الدن الذي تصب فيه الخمر وتشرب!

يا خليلتي الأبدية!

عجبا! عرفتك بعد هذه المدة الطويلة!

ففي حبي أنت تكمنين؛

وعبثا بكيتك في كل ميلادي وبذلت الجهد الجهيد في طلبك.

أيتها العديمة المثال، أنت تدعينني بجميع أشكالك،

قد عرفتك؛

فالتي سأحبها هي أنت؛

فهل تقعين في يدي!

الحب واحد، والأحبة كثيرات،

سأشرب ذلك الحب بعد صبه في دنان عديدة،

تلك الصهباء الشبيهة الدم.

سأشربك، يا مكتومة الاسم، بمئات الرغبات:

أحيانا في أكواب وأباريق، وأحيانا في الجفان! [4]

ومن خلال الوعي المذكور أعلاه استنتج الشاعر في المقطع الأخير أن "الحب حق وأوعيته متعددة لا تحصى". ويجد الشاعر الحب الخالد أثناء بحثه عن الحب الفاني. فيعلن الشاعر في نهاية القصيدة التي ذكرنا عنوانها أعلاه، عزمه على شرب حبيبه التي لم يذكر اسمها "في مئات الشهوات، وفي أكواب، وأباريق وجفان". ومعنى ذلك أنه رغم علم الشاعر الشكل الحقيقي للحب الخالد، لا يحاول وضعه فوق الأماني والشهوات. فعبادة الأماني الحمراء موفورة في قصائد نذر الإسلام في الحب.

شيتاغونغ،

26/7/27

نبذة عن القصيدة:

تأملوا في هذه القصيدة، كيف تصبح الحبيبة النائية والشبيهة بالضباب والتي لا تدخل الخط الدائري المحدود للأماني والشهوات أبدا، جميلة ومثالية يحس بها الشاعر كخليلة ممتازة من بين خليلاته جمعاء ويحس بوجودها فيهن. ولا شك في أن عناية الشاعر بالأماني الحمراء من قبيل الوعي الشخصي: وهو إحساس إنساني في آدمي من اللحم والدم. والجدير بالذكر هنا أن الشعراء البنغاليين الذين عاصروا نذر الإسلام والذين سبقوه، كانت تحكمهم القوانين الخلقية في الأدب، فكانوا يستحيون من أمور ويترددون في التعبير عن أشياء في قصائدهم في الحب. أما نذر الإسلام فلا يوجد ذلك التردد والخجل في قصائده الحبية، بل يلحظ فيها عدم الخجل الصريح والتعبير الجامح عن عواطف الحب القلبي والجسدي. وبذلك حرر نذر الإسلام شعر الحب البنغالي الحديث من النظام الخلقي للطبقة الوسطى البنغالية.



القاضي نذر الإسلام يعزف على سِتار

تدل هذه القصيدة على ان نذر الإسلام لا يؤمن بالحب الصوفي غير الجسدي ولا يولع به خلافا لشعراء كثيرين أمثال روبيندرنات تاكور وابن الرومي. وتتسم القصيدة بالتعبير عن العواطف المفرطة الجياشة غير الملجمة، الذي يتسم به كلام الشعراء الرومانسيين بشكل عام. والقاضي نذر الإسلام من الشعراء البنغاليين القلائل الذين لعبوا دورا مهما في تطوير الشعر الرومانسي البنغالي. ولا شك في أن هذه القصيدة إحدى أروع القصائد البنغالية والعربية في الحب. قد قام فيها الشاعر بتصوير حب المرأة بطريقة منفردة تميزها عن كثير من قصائد الحب في اللغتين البنغالية والعربية.

والجدير بالذكر أن هذه القصيدة يصعب شرحها بالطريقة الواقعية؛ لأنها من قبيل الشعر الرومانسي والرومانسية مبنية على الخيال وعدم الواقعية وأمور أخرى.

الحبيبة الخفية

ما زلت أحبك، لأني لم أظفر بك بعد، يا ملكتي!

بيننا بحر ونحن نتهامس من شاطئيه.

أنا على شاطئ وأنت على شاطئ آخر،

وبينهما يبكي خضم الصدود،

لوِّحي لي، أيتها الشجرة المظلة، من ذلك الشاطئ،

فأنا صحراء لا أجد متعة ظلالك.

نحن صديقان سمع كلانا اسم الآخر،

ولم نتعارف بعد.

صدري يتموج بالأمل وصدرك يملأه الخوف!

تضرب أمواج هذا الشاطئ المتولدة من الرياح والأمطار قدميك،

بيد أن أمواجي لم تَقْوَ على أن تجرف ضفتك،

فتأكلت الضفة في جانبي ولم تتحت في جانبك!

تعرفت عليك، يا حبيبي ولم يمكنّي أن أعلمك كثيرا.

إن أسلوب هذه القصيدة مخالف قليلا للقصيدة السابقة. فرغم كون الحبيب فيها "غير مذكورة الاسم"، هي ليست ذات الأسرار، أو "سرابا" أو "نائية". بل هي قريبة من الشاعر قلبا رغم بعدها جسدا بسبب الصدود الناتج عن النظم الاجتماعية والعادات والتقاليد: وهو عدم إمكان اللقاء، والكلام والتعارف. فيعلم الشاعر اسم هذه "الحبيبة الخفية" ولكنها مجهولة وغير متعارفة في هذه القصيدة.

قد سبق أن قلنا إن الشعر الرومانسي مبني على الخيال وعدم الواقعية، والرومانسيون يفضلون العاطفة على العقل، فلا يمكن شرح الشعر الرومانسي بالطريقة الواقعية وعلى أساس المنطق. فبيت " بيننا بحر ونحن نتهامس من شاطئيه " لا يمكن تفسيره على اساس الواقع؛ لأن التهامس لا يمكن أن يقع بين شخصين وهما في شاطئي بحر مختلفين.

فكنتُ طائرا مغردا جلس على الفنن يومين.

سأهجره يوم تنفد الأغاني؛

وإياها تذكرين.

لن يوجد الطائر حينذاك؛ ويبقى صوته فقط!

سأطير أنا وتبكين أنت في رمال الآلام!

متى سُمِع صوت أمواج شاطئي في قدميك، أيتها المجهولة! لا يعلم أحد ذلك ولن يعلمه.

إن سقطت ريشة من جناحي على الطريق عند الطيران،

فالرجاء أن تلتقطيها وتغرسيها في كعكة شعرك بالخطأ!

مما تخافين، يا صديقتي؟ أخال أنك ستطيرحينها أيضا فيما بعد.

هل تبكين وحيدة مثلي في مثل هذا الصباح المطري، يا زهرة الكاذيّ من الغاب؟

وهل تُقبّلينني سرا في الخيال في جوف الليل البهيم؟

ستؤرقك الأحلام، وتتفكرين في أمور كثيرة!

فتبكين مع الغمام، يا خُطّلي!

إن الشاعر أحب فتاة في سفره لا يمكن معها الوصل. فيبين في الأبيات المذكورة اعلاه ما يمكن أن يحدث بعد البين والهجران والآلام التي يمكن أن يمر بها المتحابان بعد الفراق.

حبيبتي البعيدة، إني لم أظفر بك؛ ومن ثم هذا النحيب!

ويموج البحر؛ لأنه لا يجد الشاطئ!

ولو كنت وجدتك لتوقف الناي،

ولأتاني الحتف المفني.

تملئين صدري؛ لأني لم أجدك.

وترتفع أصوات الناي؛ لأن قلب الفلوت الخيزراني فارغ.

يبدو لنا أن هذه الأبيات مبنية على افكار خيالية وغير واقعية وعلى العاطفة؛ وإلا ستدل على أن الشاعر مغرض، إذ ليس الأمر كذلك، وحتى لو كان الأمر كذلك، لا يصارح به المحب لحبيبه. وكذلك البيت "ويموج البحر؛ لأنه لا يجد الشاطئ " يخالف الواقع؛ لأن البحر لا يمكن وجوده بدون شاطئ.

صديقتي، أنت لا تصحبينني؛ فلست قابلة الإمتاع،

بيد أنك تقربين من قلبي مقدار نأيك عني.

يعتبر الشاعر حبيبته نائية؛ لأنها مع قربها من محبها لا يمكن لها صحبته ولقاؤه كما يتلاقى المتحابان؛

ستوجدين مع الظل مثل المحبة في ليلة قمراء!

وتكونين معسولة قدر ما تكونين خفية، رغم عدم كلامك معي!

لا تصحبينني في الفراش، ولكنك تسكنين في عيني!

يا من تختفين عن مقلتي، يا من يعز صيده في الرؤيا!

أنت موجودة وأنا موجود: هذا منبع سروري.

أين أنت؟ كيف أنت، يا ملكتي؟

ما جدوى البحث عنه؟ فلا بأس ان أجهل ذلك!

وانا مغمور بسرور حبي!

لا أطلب القيام، فدع عمق النوم يبقى في عيني!

يصف الشاعر في الأبيات المذكورة اعلاه مكانة حبيبه في قلبه. فيقول إنه سيذكرها دائما ولن ينساها ابدا أينما سكنت، وإنما يسره مجرد بقائهما على قيد الحياة.



حينما أنام في الليل وحيدا، وينشدك صدري،

وعندما يصبح حزن الوحدة شديدا بالغا،

حينئذ سيكون روحي معك،

وقد أسكرته خمر الحزن،

وسأرسم في الخيال وجهك المنحوت من البدر!

ونظل متضامين في اليقظة والمنام،

وذلك هو مبعث فرحي المفرط!

لن يطمئن الشاعر بعد فراق حبيبه وسيكابد الآلام ويطاره شبحها دائما.



شمس النهار محمود حبيب الشاعر التي ألهمه حبها قصيدتي "الحبيب الخفية" و"الحبيبة المكتومة الاسم"

سأهزج بالأغاني، وتسمعينها من بعيد!

وإن وقفت، يجعلني دلالك أغني.

أنا فنان، أنا شاعر،

وأنت صورة مرسومة بيدي،

أنت شعر قرضته، وأنت أغان أنشأتها.

لن أطلب منك شيئا، بل سأظل أهبك بملء قلبي.

سيُسمع الشاعر حبيبه الأغاني عن بعد فراقها؛ لأنها مصدر الإلهام له. وهذا الكلام ايضا خيالي وغير واقعي؛ لأنه لا يمكن لحبيبه أن تسمع أغانيه من مكان بعيد جدا. ويجوز مثل هذا الكلام في المذهب الرومانسي.

أين مكان هذا الملتاع من الفراق في صدرك،

وما جدوى علمه؟ فمن يقوى على الوصول إلى قعر الخضم المتناهي القاع!

أنت حبيبة خفية هبطت إلى شعري وحبي،

سأظل أحيا بهذا الفرح، وما جدوى البحث عن الشاطئ؟

أنا طائر مغترب لا أزال أغني،

وإن لم أبن العش فلا بأس فيه.

وإن لا أجد الهدايا يوم أودعك، فلا حرج فيه،

أنت لن تذكريني، وذلك هو مكاني في قلبك؛

ويوم تذكرينني عند سعيك لنسياني؛

في ذلك اليوم، يا حبيبي، سأقوم حيا عند نسيانك إياي، وذاك هو منشأ حياتي؛

أنا كررت طلبي، ورددت الأغاني، وإن لم أجد أي عوض فلا حرج فيه! [5]

شيتاغونغ

26/7/28

في نهاية القصيدة، يسائل الشاعر حبيبته عن مكانته في قلبها، وهل له أي مكان خال في قلبها. ولكن يأمل أنها ستذكره عند محاولتها نسيانه. ويسره الأمل ويسعده.

رأينا في القصيدة أن الشاعر يصف في قصيدة "الحبيبة الخفية" نشدانه الحب بطريقة رائعة مؤثرة يندر نظيرها في شعر الحب. وتدل أبيات هذه القصيدة على أنه حاول الوصول إلى قلب حبيبه ولكن العادات والتقاليد السائدة في المجتمع المسلم البنغالي آنذاك لم تسمح بتحقق أمانيه. لم يلجأ الشاعر للتعبير عن الحب إلى الأساطير الهندوسية في هذه القصيدة بخلاف القصيدة السابقة.

تجاربنا عند ترجمة القصيدتين:

تدل القصيدتان البنغاليتان المذكورتان أعلاه على أن التعبير عن الحب ووصف المشاعر تجاه الحبيب يختلفان باختلاف اللغات والعادات والتقاليد والبيئات. ومن ذلك ينتج اختلاف الاسلوب الشعري في اللغتين العربية والبنغالية واللغات الأخرى. وقد واجهانا مشاكل عند ترجمتنا القصيدتين بسبب اختلاف العادات والتقاليد والبيئات العربية والبنغالية.

وعلاوة على ذلك، قد ترجمنا القصيدتين نثرا؛ لإننا لم نقدر على نقلهما إلى الضاد نظما. ففقدنا موسيقى النص الأصلي وجرس كلماته؛ فلو ترجمهما بالعربية نظما شاعر قدير يجيد اللغتين العربية والبنغالية، لكان أحسن ولتمتع بهما القراء أكثر.

.... ❖❖❖❖❖ ....

الهوامش:

[1] لمزيد من المعلومات عن حياة القاضي نذر الإسلام وشعره، يراجع: الأمان. 1981، ج 1، ص 575–587؛ وموخوفادّاي. 1959، ص 19–225؛ ورسالتنا للدكتوراة المعنونة بـ"الرومانسية في الشعر العربي والشعر البنغالي: دراسة مقارنة"، ص 24–256 وسوبول تشوندْرو ميترو. 1984.

[2] *Nazruler Kabita Samagra*. 2000, p. 383

[3] Rafiqul Islam. 2012, p. 690

[4] *Nazruler Kabita Samagra*. 2000, pp. 397-400

[5] *Nazruler Kabita Samagra*. 2000, pp. 394-396; Sonchita> 2013, pp. 128-131

مسرد الكلمات الغريبة:

1. الفُلوت: آلة نفخ موسيقية.
2. إيْنْدْرو: ملك الآلهة في الأساطير الهندوسية.
3. بَهارْ: الربيع.
4. بُوَيْسْنوبْ: جماعة دينية هندوسية.
5. تِلُتُّما: عذراء ـ في الأساطير الهندوسية ـ عديمة المثال في الجمال خلقها "بِشْوكورْما" حري في الجنة أعضاءها المختلفة بأخذ كِسَرٍ من أجمل الكائنات في العالم.
6. روتي: زوجة إله الحب الهندوسي.
7. سِتارْ: آلة موسيقية وهي نوع من العود، تستخدم في الموسيقى الفارسية التقليدية.
8. شجرة الشهوات الإلهية: شجرة إلهية في قصر ملك الآلهة إيندرو تخمد جميع أنواع الشهوات دوما، حسب الأساطير الهندوسية.
9. قصائد ذاتية: قصائد تعبر عن أحاسيس الشاعر بإيجاز عادة وفي مقاطع أو أشكال معترف بها.
10. كامْ: إله الحب والشهوة حسب الأساطير الهندوسية.
11. كعكة شعر: شعر معقول في مؤخر رأس المرأة مثل الكعكة.

بيبلوغرافيا:

أولا: المراجع العربية:

- شفيق الإسلام. *الرومانسية في الشعر العربي والشعر البنغالي: دراسة مقارنة*. قدمت إلى قسم اللغتين العربية والفارسية، جامعة كلكتا، الهند، سنة 2018
- *القرآن الكريم*

- أنيس، دكتور إبراهيم ومنتصر، دكتور عبد الحليم والصوالحي، عطية وأحمد، محمد خلف الله. (1972). *المعجم الوسيط* (الطبعة الثانية). القاهرة، مصر: مجمع اللغة العربية.

ثانيا: المراجع البنغالية والإنكليزية:

- Al-Aman, Abdul Aziz: (1981). Nazrul Rochona Sombhar, Vol. 1. Kolkata, India: Haraf Prakashani.
- Ba'albaki, Munir: (1977). *Al-Mawrid*. Beirut, Lebanon: Dar el-Elm Lil-Malayēn.
- Misbah, Abu Tahir: (1990). *Al-Manar Adhunik Bangla-Arbi Obhidhan (Al-Manar Modern Bengali-Arabic Dictionary)*. Dhaka, Bangladesh: Muhammadi Library.
- Mitro, Subolchondro. (1984). *Sorol Bangala Obhidhan (Easy Bengali Dictionary)*. Kolkata, India: New Bengal Press.
- Mukhopadhyay, Arun Kumar: (1959). Rabindranusari kavisamaj, Kolkata, India: Dey's PUBLISHING
- Nazrul Islam, Kazi: (2013). *Sonchita (An Anthology of Selected Poems and Lyrics)*. Kolkata, India: D. M. Library.
- *Nazruler Kabita Samagra (Collected Poems of Kazi Nazrul Islam)*. (2015). Dhaka, Bangladesh: Nazrul Institute.
- Rafiqul Islam. (2012). *Kazi Nazrul Islam: Jiban o Srijan (Kazi Nazrul Islam: Life and Creations)*. Dhaka, Bangladesh: Nazrul Institute.
- *Samsad Bangla Abhidhan (Samsad Bengali Dictionary)*. (1984). Kolkata, India: Sahitya Samsad.
- *Samsad Bengali – English Dictionary*. (1995). Kolkata, India: Sahitya Samsad.

مقاصد نشأة علوم الحديث النبوي

د/ أشرف بن عبد القادر المرادي *

الملخص:

علم الحديث من أهم العلوم التي حفظت المصدر الثاني للتشريع الإسلامي في شقه التوثيقي والنقلي؛ إذ إن الإشكال الرئيس الذي أسهم في تشكل قواعد هذا العلم ومصطلحاته، هو الإشكال التوثيقي، الذي ارتبط أصالة بحفظ النص النبوي، إلا أنه لم يأخذ منحى واحدا في سياق تطور علوم الحديث؛ بل ظل يرتقي في سلم النضج والاكتمال بحسب المراحل التاريخية التي يمر بها، وبعمق الإشكالات ودرجة تأثيرها، مما كانت له انعكاسات بالتبع في تشكل وظائفه ومقاصده.

وإن وظائف العلم ومقاصده ليست فائدتها قاصرة على الجوانب التربوية فحسب؛ بل إنها تتعدى ذلك لتؤثر في مناهج التفكير ودرجة إعمالها في بناء مباحث العلم ومسائله؛ إذ إن توظيفها خاضع بالأصالة إلى طبيعة العلم نفسه أولا، ثم إلى مدى إسهامه في تحقيق وظائفه الأصلية ثانيا، فلا يوظف منها إلا ما كان معينا له على تحقيق وظائفه، وما كان نائيا عنها لم يُتَشَاغَل به، وإن عمد إليه فمن باب الاستئناس والتبع ليس إلا، ولا يتوسع فيها إلا بالقدر الذي يجلي حقائقها.

الكلمات المفتاحية: علم الحديث، وظائف النشأة، مقاصد العلم. التشريع الإسلامي، الوظيفة التوثيقية، الوظيفة البيانية.

المقدمة:

الحمد لله بالمحامد كلها، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:2]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد العاقب الماحي، والرضا عن صحبه وتابعيه؛ وبعد:

فإن صحة النظر في علم الحديث متوقف على رسم وظائفه واستجلائها، ورصد المقاصد المستكنة في تضاعيف مسائله ومباحثه، والمستلة من تصرفات أربابه وتنبيهاتهم، وجعلها منائر هادية على طريق طلب الحديث وعلومه، ونصبها صوى ماثلة أمام عيني المشرئب إلى درك مناهج أئمته في ممارستهم النقدية، والمتطلع إلى التمام في الملكة، والراغب في قفو أثر أربابها، ومن قصر في إحكام

* أستاذ زائر بالمدرسة العليا للأساتذة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب. البريد الإلكتروني: achraf.mouradi@usmba.ac.ma

معاقلها، ولم ينفذ بنور العقل و سراجه الزاهر إلى تحـ صيلها ثم دركها، فلا شك أن تنثلم عرى أركان ملكته، وأن يخور بناء حـ صنها؛ لأن العلوم إذا لم تُـ صن بحفظ وظائفها، تجاذبت أر ضها علوم أخرى، تُزاحمها وظائفها الأ صيلة، فيكون ذلك إيذانا بمزج العواري وبحثها على أنها من صلبه، ثم تتداول في المـ صنفات الحديثية إلى أن تـ صير من مباحثه، فتكون الحيدة عنها عـ سيرة، والفطام عنها شديدا.

أهمية البحث ومشروعيته:

وما من شك أن وظائف العلم مرتبطة بنشأته، والمقا صد الكبرى التي حفزت همم العلماء على خوض غمرة تأليفه؛ وللوظائف العالمة مقا صد خا صة، أما مقا صد تعليم العلم؛ فهي مرتبطة بالـ سياق التربوي التعليمي أ صالة، وقد تكون مقا صد العلم هي نفـ سها مقا صد تعليمية في مـ ستوى من المستويات التعليمية.

ومما ينبغي التنبيه عليه في درس هذه الوظائف، والا ستدلال بنـ صوص أئمة الحديث في التنـ صيص عليها، أنها وظائف مترابطة، بعـ ضها يفـ ضي إلى بعض، بل إن ا ستتمام النظر فيها، لا يحصل إلا بالنظر الجمعي فيها جميعا، والفصل بينها أريد منه عمق التحليل، ودقة التقسيم المعينة على تمثل ما سيق الكلام لأجله.

وإذا أدركنا أهمية الكـ شف عن وظائف علم الحديث ومقا صده، وأثرها في صحة النقل التدريسي للعلم، وكذا أهميتها في تـ صحيح مـ ساره، و صيانته من الوظائف الدخيلة عليه، فلنتتبع المدونات الحديثية التي عنيت بذكر قواعد أرباب هذا الفن، لنتلقف صريح عباراتهم وخفيها، ونـ ستخلص بالتأمل في موضوعاته ومـ سائله الوظائف العالمة التي نـ شأ علم الحديث لتحقيقها؛ لأن وظائف العلم سابقة على الأهداف التربوية، وحاكمة عليها؛ إذ إن هذه الأخيرة مرتبطة بالـ سياق التعليمي، فهي من حيث الوظيفة أخص، والوظائف العالمة أعم؛ إذ ليست كل وظيفة يصلح أن تكون هدفا تربويا.

إشكالية البحث:

وبناء عليه فإن هذا البحث يعالج الإ شكال التالي: ما أثر التعرف على وظائف ذ شأة علم الحديث في تكوين الملكة الحديثية؟

أهداف البحث:

والغرض من الإجابة عن هذا الإشكال تحقيق الأهداف التالية:

1- بيان أهمية التعرف على وظائف نشأة علم الحديث في تطوير تدريسه.

2- بيان أثر الكشف عن مقاصد نشأة علم الحديث في تكوين الملكة الحديثية.

المنهج المعتمد في البحث:

وقد اقت ضت طبيعة إ شكال البحث وأهدافه اعتماد المنهج الو صفي في جمع المادة العلمية من مظاذ ها ونقلها، واستقرائ ها في مصادرها وتوثيقها، مع الاستعانة بالمنهج التحليلي الذي اعتمد في تفسير النصوص وتحليلها، وتفكيكها وإعادة بنائها بما يخدم أهداف البحث، مع تسليط أدوات النقد والنقض على بعض الممارسات التدريسية، والت ي تبي ن بالدراسات المعاصرة أذ ها تحتاج إلى تعديل وإصلاح.

خطة البحث:

هذا، وقد قاربت هذا البحث من خلال خطة تشتمل على مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة:

المقدمة وفيها ذكر لموضوع البحث وأهميته، ومشروعيته، والهدف منه، والمنهج المتبع فيه، وخطته.

- المبحث الأول: الوظيفة التوثيقية.
- المبحث الثاني: الوظيفة النقدية.
- المبحث الثالث: الوظيفة القيمية الأخلاقية.
- المبحث الرابع: الوظيفة البيانية.
- المبحث الخامس: غاية الكشف عن وظائف علم الحديث.
- الخاتمة، وفيها أهم الخلاصات والتوصيات.

المبحث الأول: الوظيفة التوثيقية.

إن المتتبع للسياق التاريخي لنشأة علوم الحديث وتطورها، يجد الوظيفة التوثيقية شغلت حيزا كبيرا من اهتمامات المحدثين، وأخذت من جهودهم النصيب الأوفر، فاستفرغوا في سبيل توثيق السنة وحفظها من الضياع وسعهم، وبذلوا في ذلك مهج النفس، وركبوا لتحقيق هذه الوظيفة كل صعب وذلول، ولم يدخروا جهدا في وضع القواعد الضابطة، والمناهج الدقيقة، التي كفلت على مر العصور صون السنة من الدس والافتراء، والوضع والاختلاق، فما برحوا باحثين منهج التوثيق والضبط في كل قطر ومصر، فأرسوا معالمه، ونصبوا منائره، فلم يجد المغرضون إلى بث شين وضعهم سبيلا، ولا إلى إدخال العفين ملجأ ولا طريقا.

إن التوثيق عند المحدثين ارتبط بمقصد جمع السنة وحفظها من الضياع؛ إذ لو اكتفي بصونها في الصدور، وتداولها مشافهة وإسماعا، دون أن يكون لكتابتها في الدواوين نصيب، لأدى ذلك إلى ضياعها بموت حملتها، واندراسها بذهاب أهلها، وهذا ينافي تمام حفظ القرآن؛ إذ إن حفظ السنة لازم لحفظ الكتاب، فهيأ الله تعالى لهذه المهمة رجالا نقادا، تتبعوا الأخبار فوثقوها، وجمعوا الآثار فصانوها، ورحلوا إلى الآفاق طلبا لحديث واحد؛ خشية ضياعه، وفوات العمل والاستنان به، فصاروا على هذا النهج القويم إلى أن أبلغ الله بهم غاية حفظ المصدر الثاني للتشريع، فحفظ بحفظها القرآن من تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين.

يقول الخطيب: "ولولا عناية أصحاب الحديث بضبط السنن وجمعها، واستنباطها من معادنها، والنظر في طرقها؛ لبطلت الشريعة وتعطلت أحكامها، إذ كانت مستخرجة من الآثار المحفوظة، ومستفادة من السنن المنقولة"[1].

لذلك توجهت اهتمامات المحدثين وعنايتهم إلى حفظ المصدر الثاني للتشريع، وصونه من الضياع؛ إذ بضياعه ضياع الشريعة، فكان ضبط الحديث وتمييز مقبوله من مردوده مقصودهم الأول، وغايتهم الأساس.

1- الخطيب، "الكفاية في معرفة أصول علم الرواية". تحقيق ماهر الفحل، (ط2، الرياض: دار ابن الجوزي، 1435هـ)، 1:86.

يقول ابن الأثير: "إن غرضهم [يقصد أهل الحديث] كان أولا حفظ الحديث مطلقا وإثباته، ودفع الكذب عنه، وحذف الموضوعات عليه، والنظر في طرقه وحفظ رجاله، وتزكيتهم، واعتبار أحوالهم، والتفتيش عن دخائل أمورهم، حتى قدحوا فيمن قدحوا، وجرحوا من جرحوا، وعدَّلوا من عدَّلوا، وأخذوا عمن أخذوا، وتركوا من تركوا. هذا بعد الاحتياط والضبط والتدبر، فكان هذا مقصدهم الأكبر، وغرضهم الأوفر"[2].

فهذا النص على وجازته تضمن جملة من الوظائف الناظمة لاشتغال المحدث، فبدأ أول ما بدأ بالوظيفة التوثيقية؛ لأنها الغاية الأولى لنظر المحدث، والمنطلق الرئيس في اشتغاله، وهذه الوظيفة نابعة من طبيعة الإشكالات التي أسهمت في ظهور علوم الحديث. فلما كان الإشكال التوثيقي السبب في نشأة هذا العلم وتطوره، واستتمام مباحثه؛ أدى ذلك بالتبع إلى أن تصير الوظيفة التوثيقية على رأس هرم الوظائف الأصلية التي سعى علم الحديث إلى تحقيقها.

لقد عرف التوثيق عند المحدثين تطورا تاريخيا؛ ارتبط فيها جميعا بطبيعة الإشكالات المصاحبة له، مما كان له أثر بالتبع في درجة اهتمام المحدثين به، والعناية بوضع القواعد والمناهج الكفيلة بضبطه وصونه، فلا شك أن التوثيق في الصدر الأول، لم يكن على الدرجة نفسها في زمن الفتنة، وفي مطلع القرن الأول مع عمر بن عبدالعزيز؛ إذ إن العامل المؤثر في كل هذا عمق الإشكالات الحادثة، والعوارض الطارئة، وهكذا نجد تلازما واضحا، وارتباطا وثيقا بين التطور الذي يعرفه علم الحديث، وبين عمق الوظيفة التوثيقية، التي أسهمت بدورها في استتمام القواعد النقدية، واستكمال النسق المصطلحي الذي يحقق الغاية الكبرى لعلوم الحديث، وهي تمييز المقبول من المردود، ولكنها غاية متوقفة ضرورة على توثيق الحديث وحفظه بالجمع والتدوين، فإذا تحقق المقصدان، كان ذلك غاية الرواية في دين الإسلام، قال الطوفي: "مقصود الرواية في دين الإسلام أمران: أحدهما: حفظ السنة بطرقها، عن رسول الله ﷺ. الثاني: تبيين صحيحها من سقيمها. وهذان الأمران هي وظيفة المحدثين"[3].

---

[2]- ابن الأثير، "جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ". تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، (ط3، دمشق: دار ابن كثير، 2016م)، 13:1.

[3]- الطوفي، "شرح مختصر الروضة". تحقيق عبدا لله بن عبد المحسن التركي، (ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987م)، 178:2.

فالحفظ يتضمن التوثيق، وهو الذي يعبر عنه المحدثون بحفظ الصدر، وحفظ الكتاب. أما الكشف عن العلل، والتحقق من سماع الرواة، ومعارضة درجة حفظهم بباقي الحفاظ، وتمييز أوهام الثقات؛ فيتوجه إلى الوظيفة النقدية؛ إذ إن جمع الحديث وتوثيقه مرحلة أولى في عمل المحدث. فبعد أن يوثق الحديث حفظا أو كتابة أو بهما معا، يحتاج إلى بيان مرتبتها من حيث القبول والرد، مما يستدعي أن يُعمل القواعد النقدية، للحكم عليها صحة وضعفا.

إن الوظيفة المنوطة بعمل المحدث اقتضت أن يكون منطلق اشتغاله، ومبدأ نظره، ضبط المسموع، ونقل الألفاظ، وتوثيق المتون كما تحملها رواتها، فإن تطلع نظره إلى التشاغل بوظائف العلوم الأخرى، كان ذلك من باب الفضل والزيادة، وليس وظيفة عينية في حقه، بل قد يعد ذلك مثلبة تجلب عليه الوهم والإيهام. وقد ألفيت ابن القطان شديد الحرص على تحديد الوظائف المنوطة بالمحدث، بالغ العناية برسم دوائر اشتغاله، كثير التهمم بضبط نظره، وفي سياق الوظيفة التوثيقية يقول: "حديث يحيى بن سعيد الأموي، إنما لفظه عند الدارقطني: فهو زان، وفرق بين فنكاحه باطل، وبين فهو زان، وإن كان لا يكون زانيا، إلا إذا كان نكاحه باطلا، وذلك أن للزاني أحكاما أخر، لأدلة دلت، فإن المحدث عليه نقل اللفظ كما هو لمن ينظر فيه"[4].

إن العلوم لا تنضبط إلا بضبط وظائفها، وإن التدقيق المفضي إلى صحة فهم نصوص الشريعة، لا يتأتى دركه باشتغال المحدثين بوظائف غيرهم، وتشاغلهم بما يعد في حقهم من باب الفضلة والنافلة؛ إذ إن إحاطتهم بوظائف مختلف العلوم أمر يعز حصوله، فلو فرض إلزام المحدث ببحث وظائف الأصوليين والفقهاء والمتكلمين، لألحق الضرر بوظائفه الأصلية، ولأفضى إلى عدم التحرير والتدقيق في المباحث الرئيسة لعلمه، وإذ لم يتولى علماء الحديث مهمة ضبط النقل وتصحيحه، ووضعه في مصاف النقد، لتمييز مقبوله من مردوده فمن سيقوم به إذن؟!

ثم إن هناك أمرا في غاية الأهمية، وهو أن العلوم ينبني بعضها على بعض، ويستند بعضها إلى بعض في مخرجات نتائجه، وأخذها مسلمة واستثمارها في درس قضايا عامة وبحثها ومناقشتها؛ إذ

---

[4]- ابن القطان، "بيان الوهم والإيهام". تحقيق الحسين أيت سعيد، (ط2، الرياض: دار طيبة، 2011م)، 2: 148-149.

لو ألزم كل مشتغل بعلم أن يبحث صحة نتائج العلوم الأخرى، وأن يرغم على الإحاطة بوظائفها جميعا؛ لتعطل العمل، وفتر العلم عن التقدم.

لذلك لما خرج بعض الأصوليين في بعض اختياراتهم الحديثية عن المنهج الحديثي الذي أرسى معالمه أئمة النقد، جاءت أحكامهم مخالفة صنيع المحدثين، مما أثار حمية السمعاني -مثلا - في الانتصار لمنهج المحدثين في قواطع الأدلة في الأصول[5].

إن الوظيفة الأولى للمحدث ضبط الحديث النبوي، والتعريف بمداره ومخرجيه، وإثبات طرقه بألفاظها الواردة فيها، وليس له أن يرجح بينها باستحضار نظر الفقيه أو الأصولي، بل ترجيحه بينها يرجع إلى أصل اشتغاله وهو قياس درجة الحفاظ، واعتبار حالهم عدالة و ضبطا؛ لأن البحث في المرجحات التي تفيد أحكاما فقهية، والنظر في الزيادات الواردة في المتون أو نقصانها ليس متعلق نظره.

قال الزيلعي: "وظيفة المحدث أن يبحث عن أصل الحديث، فينظر من خرجه، ولا يضره تغير بعض ألفاظه، ولا الزيادة فيه أو النقص. وأما الفقيه؛ فلا يليق به ذلك؛ لأنه يقصد أن يستدل على حكم مسألة، ولا يتم له هذا إلا بمطابقة الحديث لمقصوده"[6].

إن توثيق المتون وضبطها، والتعريف بمخارجها وأصولها، تعد خطوة عملية أولى في عمل المحدث، ثم إن تمييز مقبوله من مردوده، ومعرفة صحيحه من ضعيفه، ووضع المراتب الخاصة بكل نوع، يستلزم أن يخطو المحدث خطوة عملية أخرى توصله إلى هذه الوظيفة، وهي الكشف عن العلل المؤثرة، وقياس درجة الرواة ومعارضة مروياتهم بمرويات غيرهم من الثقات، وتتبع أحوالهم تحملا وأداء، وما يستلزم ذلك من ضبط القرائن المحتفة بحفظه وسماعه، وعلاقته بشيخه وأقرانه، وسن تحمله وأدائه، ومعرفة رحلاته، وهل يعد من المكثرين أم لا، ثم إكثاره هل عن أهل بلده أم ليس كذلك، وهلم جرا من المقاييس النقدية، والقواعد المنهجية الدقيقة التي تمكنهم من الحصول على

5- ينظر: السَّمْعَانِي، "قواطع الأدلة". تحقيق محمد حسن، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418ه)، 1:361.

6- الزيلعي، "نصب الراية". تحقيق محمد عوامة، (ط1، بيروت: مؤسسة الريان، 1997م)، 1:200.

المخرجات الصحيحة للأحاديث؛ ولذلك استلزم أن يجمع المحدث إلى جانب التوثيق والضبط وظيفة أخرى وهي الوظيفة النقدية.

المبحث الثاني: الوظيفة النقدية.

إن الناظر في تاريخ تدوين علوم الحديث، والمتأمل في الم صنفات التي ذ صبها أئمته لجمع شتات قواعده وأ صوله، وذ صبوها لـ ضم مـ صطلحات وأربابها ومناهجها، يلحظ أن الخيط الناظم لمباحثه، والمقصد الرئيس من صوغ قواعده: نقد الأسانيد والمتون، التي تعنى بالكشف عن العلل، وتمييز المقبول من المردود؛ فلذلك كانت الوظيفة النقدية من بين أهم الوظائف التي نشأ علم الحديث لتحقيقها.

والنقد هنا يراد به: القواعد التي سلكها المحدث من أجل معرفة المقبول والمردود من الرواة والروايات، وهو يـ شمل النقد الخارجي والنقد الداخلي، والعلاقة بين النقدين تحدد وفق وظيفة المحدث، وطبيعة اشتغاله، فالنقد الداخلي عند المحدث، يفترق عن نظر الفقيه والأصولي؛ لأن المحدث يـ شتغل بالمتون لا بغرض الا ستنباط، وا ستخراج الأحكام؛ لأن هذا ليس متعلق نظره بالأ صالة؛ بل متعلق نظر الفقيه والأصولي عينا. أما المحدث؛ فنظره ينصب على النقد، والتعليل، والجرح والتعديل، ومقارنة حفظ الراوي بغيره، ولوازم هذا النظر الذي يحقق الوظيفة النقدية، ثم الحكم عليها صحة أو ضعفا، ولذلك لا يمكن أن نفسر شدة عناية المحدثين بالـ سند إلا في ضوء الوظيفة النقدية، فكان لزاما درس هذه المسألة بتوسع، يرفع مُغمضاتها، ويكشف حجب أستارها.

إننا لا نستطيع تفسير شدة عناية المحدثين بالإسناد، إلا في ضوء الوظائف المنوطة به، والدوائر المحددة لطبيعة اشتغاله، والجهل بهذه الوظائف المرتسمة، يؤدي إلى استدراكات خاطئة، وتفسيرات مخالفة لطبيعة نظر المحدث، فالمتأمل في مـ سائل علوم الحديث ومو ضوعاته يلحظ أنها قامت على أ ساس النقل؛ أي أنه من بين الوظائف الرئيـ سة التي نـ شأ علم الحديث لتحقيقها هي: ضبط النقل، وتـ صحيح الـ سماع، والبحث في المقبول والمردود، وهذه الوظيفة ا ستلزمت بالتبع أن يبحث المحدث في العوارض المحتفة بالرواة عدالة و ضبطا، وبهذه الوظيفة تحددت طبيعة عمل المحدث، وارتـ سمت دوائر ا شتغاله، فـ صار نظره مـ سلطا على البحث في أحوال الرواة، وما يطرأ عليهم من عوارض تحول

دون تمام ضبطهم وعدالتهم، فكرسوا جهودهم كلها، -خاصة منهم علماء الجرح والتعديل- لاستقصاء أحوال الرواة، وإثباتها مع مختلف السياقات التي وردت فيها ألفاظ أئمة النقد وأحكامهم.

وإلى هذه الأعلاق النفيسة أشار ابن الأثير بقوله: "الناسخ والمنسوخ -وإن تعلقت بعلم الحديث- فإن المحدث لا يفتقر إليها؛ لأن ذلك من وظيفة الفقيه؛ لأنه يستنبط الأحكام من الأحاديث، فيحتاج إلى معرفة المتواتر، والآحاد، والناسخ، والمنسوخ. فأما المحدث؛ فوظيفته أن ينقل، ويروي ما سمعه من الأحاديث كما سمعه، فإن تصدى لما وراءه، فزيادة في الفضل، وكمال في الاختيار"[7].

إن هذا النص من أدق النصوص تحديدا لطبيعة نظر المحدث في المتون، ولذلك فإن إثارة دفائنه يحتاج نفوذا ذهنيا أكثر منه لمحا بصريا؛ إذ إن قوله: "وإن تعلقت بعلم الحديث"، دليل على أن المحدث يعمد إليها من أجل تمييز المقبول والمردود، وإثبات صحة الحديث من عدمه، لا باعتبار آخر، وقوله: "لا يفتقر إليها"؛ أي: من حيث الاستنباط والنظر الفقهي؛ لا بالاعتبار الأول، بدليل أنه قال قبل ذلك: "وإن تعلقت بعلم الحديث"، ولكنه لم يبين محل التعلق، وهو كلام محذوف دل عليه سياق الوظائف الناظمة لاشتغال المحدث، لكن الفقيه لما كانت وظيفته الأصلية استنباط الأحكام، واستخراج المعاني الفقهية، كانت عنايته بالمتون أكثر، ونظره فيها ألصق؛ ولهذا لم يعتن الفقهاء والأصوليون بالتقسيمات المتعددة التي نجدها مبسوطة في كتب المصطلح؛ لأنه لا يبحث في درجات الأحاديث من حيث الثبوت، ولا يعنى بالكشف عن طبقات الرواة، ومراتبهم في الحفظ؛ لأن كل هذا يعتبره خارجا عن وظيفته الاستنباطية، فالحديث إذا ثبت، ولم يكن متنه مخالفا للقرآن أو أصل من أصول الشريعة، أو العقل الصريح، عده دليلا صالحا للاحتجاج وللاستنباط وإن كانت فيه علل قادحة عند المحدثين؛ كقبولهم زيادة الثقة مطلقا.

7- ابن الأثير، "جامع الأصول"، 1:38.

قال ابن القطان: "وظيفة المحدث النظر في الأسانيد، من حيث الرواة والاتصال والانقطاع، فأما معارضة هذا المتن ذلك الآخر، وأشباه هذا، فليس من نظره، بل هو من نظر الفقيه، وإذا نظر به الفقيه تبين له خلاف ما ذكر"[8].

فهذا النص من بين التقييدات النفيسة التي حدت بنا إلى القول بأن وظيفة المحدث منصبة بالأصالة على البحث في الأسانيد والمتون، والكشف عن عوارض الرواة عدالة وضبطا، ولوازم ذلك من اتصال، وانقطاع، وإرسال، مع الاعتناء بفقه المتون بالتبع؛ إذ إن الوظيفة البيانية من الوظائف التبعية المنوطة بالمحدث. وما ذكره ابن القطان من كون المعارضة ليست مما يدخل في دوائر اشتغال المحدث، مراده به العرض الذي يستهدف استنباط الأحكام، واستخراج المعاني. أما العرض الذي يهدف معرفة ضبط الراوي، ودرجة حفظه؛ فهذا من آكد وظائف المحدث.

ومن أبرز المثل الشاهدة لصحة هذه المسالك الدقيقة، والمآخذ العميقة ما قاله ابن دقيق: "ينبغي للفقيه المستدِل بلفظة من الحديث إذا نسب الحديث إلى كتاب أن تكون تلك اللفظة التي تدل على ذلك الحكم الذي اختاره موجودةً في ذلك الكتاب بعينها، ولا يعذر في هذا كما يعذر المحدث؛ لأن صناعته تقتضي النظَر إلى مدلول الألفاظ، وأكثر نظر المحدث فيما يتعلق بالأسانيد ومخارج الحديث، والنظر في مدلول اللفظة المعينة خارج عن غرضه، وهو متعلَق غرض الفقيه عينا"[9].

إن هذا النص من الشواهد التي تعقد عليه خناصر الأفكار؛ لأنه صدر من إمام جمع بين صناعة الحديث، وصناعتي الفقه والأصول، والناظر في تراث ابن دقيق، يجده دائم التنبيه في مناقشته للقواعد الحديثية، على الوظائف المنوطة بعمل المحدث وعمل الفقيه والأصولي، وينصبهما معيارا في التفسير، والتوجيه، والاختيار، والترجيح، وهذا ملمح في غاية الدقة والأهمية؛ لأنه يحرر محل النزاع على أصول ذلك العلم، ويناقش الخلاف الحاصل بين المحدثين وغيرهم في ضوء الوظائف المحددة لطبيعة اشتغال كل منهما، ويكشف عن أسبابه مستندا إلى مآخذ أربابه.

8– ابن القطان، "بيان الوهم والإيهام"، 5: 317.

9– ابن دقيق، "شرح الإلمام بأحاديث الأحكام". تحقيق محمد خلوف، (ط2، دمشق: دار النوادر، 2009م)، 1: 171.

إن قول ابن دقيق: "وأكثر نظر المحدث فيما يتعلق بالأسانيد"، وعدم قوله وكل نظر، أو إنما نظره أو غيرها من الألفاظ الدالة على الحصر؛ دليل على أن المحدث في الأصل لا يلغي النظر في المتون، ولكنه يسلط نظره عليها، باستحضار وظيفته، وطبيعة اشتغاله؛ أي من أجل تمييز المقبول من المردود لا باعتبار آخر؛ لأنه ليس من متعلقاته بالأصالة؛ بل متعلق وظيفة الفقيه عينا، ولذلك فإن الخطيب لم يجعل فقه الراوي شرطا في تعديله وجرحه؛ لأن وظيفته نقل ما تحمله، فيؤخذ عنه اللفظ. أما الفقه؛ فيرجع فيه إلى أهله، فقال: "وكذلك إن لم يكن من أهل العلم بمعنى ما روى لم يكن بذلك مجروحا؛ لأنه ليس يؤخذ عنه فقه الحديث، وإنما يؤخذ منه لفظه، ويرجع في معناه إلى الفقهاء فيجتهدون فيه بآرائهم"[10].

إن طالب الحديث الذي يتوق إلى تحصيل الملكة الحديثية، يلزمه التنبه إلى هذه المسالك الدقيقة في بحث مصطلحات أئمته، واستحضار الوظائف الأصلية واعتبارها، ولفظ الوظائف الأجنبية وطرحها؛ لأن خلط الوظائف، وعدم ميزها، مظنة سوء فهم تصرفات الأئمة، وسبب في احتدام خلاف مرجعه الجهل بالوظائف المنوطة باختصاص كل عالم على حدة، كما أن مراعاة هذه المسالك، من أوجب ما ينبغي على طالب الحديث النبوي وعلومه الاعتناء به، وأن يجعله ماثلا أمام عينيه وهو يدرس ويحرر مسائله، ويكشف عن مناهج أئمته في مناقشة القواعد التي تنبني عليها ممارستهم النقدية. فإن ذهل عن ذلك، ولم يرعه اهتمامه، فلا جرم أن يدخل عليه الغلط والوهم في تطبيقاته، ومباشرته لعملية التصحيح والتضعيف.

ولذلك فإن الإدلبي حينما استدرك على الحاكم، والخطيب، عدم اعتنائهما بالمصطلحات المتعلقة بالمتن، مقابل غزارة المصطلحات المتعلقة بالإسناد، بقوله: "إن الحاكم والخطيب رغم فضلهما الكبير في علوم الحديث، لم يوليا نقد المتون عنايتهما، ولهما العذر في ذلك، حيث إن التصنيف في علوم الحديث لم يكن قد بلغ طور النضج والاكتمال، كالذي وقع على يدي ابن الصلاح ومن اقتفى

---

[10]– الخطيب، "الكفاية في معرفة أصول علم الرواية"، 1:255.

أثره"[11]. لم يتعقبهما مـ ستة صحبا وظائف المحدثين، وأنهما يقرران في كتابيهما ما أدركا عليه أئمة النقد.

بل إن كلامه أحـ سب أنه لم يحرر في ضوء الوظائف المنوطة با شتغال المحدث. فلو ا ستة صحب دوائر ا شتغال المحدثين؛ لكفي مؤنة تكلف الا ستدراك على: الحاكم والخطيب؛ لأن كتابيهما من أكثر الكتب ترجمة لمناهج أئمة النقد، وعدم تو سعهما في الم صطلحات المتعلقة بالمتن يرجع إلى ما ذكره ابن الأثير، وابن القطان، وابن دقيق، في النـ صوص التي سبق ذكرها، أما ما علل به اختياره ففيه نظر؛ لأن الناظر في معرفة علوم الحديث للحاكم، والكفاية للخطيب، يدرك قطعا أن جل ما أورده من المصطلحات الصلبية لعلم الحديث، قد سبقا إليها.

فالشاهد أن الوظيفة النقدية، عليها مدار عمل المحدث بالأ صالة، وتعد محك نظره في الإ سناد والمتن؛ لأن نقد الحديث غايته التو صل إلى الحكم عليه بالـ صحة أو الـ ضعف، فإن تعرض للفقه، واستخراج الأحكام، كان ذلك من وظيفته؛ لكن بالتبع لا بالأ صالة. ولذلك من الخطأ اتهام المحدثين بتقصير النظر في المتون؛ بل الصواب والحق الذي لا محيد عنه اعتناؤهم بها، ولكنه اعتناء يستصحب دوائر ا شتغالهم، وطبيعة وظائفهم؛ وبمعنى أدق، فقه الحديث عند المحدثين، يتميز بخـ صائص لا توجد عند الفقهاء؛ لأن المحدث لا يشتغل بالمتون التي تقرر الأحكام العملية فقط؛ بل إن اشتغاله أوسع من ذلك بكثير؛ إذ يشمل العقيدة، والتفسير، والرقاق، ويشمل أحاديث الأحكام، لذلك كان نظرهم في المتون متميزا بهذه الميزة التي لا توجد عند غيرهم. أما من يرمي المحدثين بالتقـ صير في ا ستخراج الأحكام، وقلة الاعتناء بفقه المتون، فقد اتهمهم بما هم منه برآء.

كما أنبه على أمر مهم أ شار إليه شبير العثماني، أن المحدث يـ سلط نظره على المتون، مبتغيا وراء ذلك ا ستخراج العلل القادحة، والقرائن التي تعزز له علل الإ سناد، فقال: "ولعل هذا الا صطلاح منهم بحـ سب مو ضوعهم، فإن وظيفتهم الأ صلية الحكم على الإ سناد، أو على المتن من جهة الإ سناد، فكأنهم أحالوا الخارج عن وظيفتهم على الفقهاء والأ صوليين الذين وظيفتهم انتقاد المتون، والبحث

[11]- الإدلبي، "منهج نقد المتن عند علماء الحديث". (ط1، الأردن: دار الفتح، 2013م)، 211.

عن معانيها، وترجيح بعض الأحاديث على بعض من حيث الحكم والمعنى، وبما يرجع إلى غير أحوال الرواة، وكيفيات التحمل، فإن لكل فن رجالا يقدمون في فنهم على غيرهم"[12].

فهذا النص من الجواهر التي تعقد عليها خناصر الأفكار؛ لأنه يحرر محل الإشكال باستحضار طبيعة الوظائف الناظمة لاشتغال كل من المحدث والفقيه والأصولي، إلا أن كلامه تضمن أمرا يحتاج توجيها، وهو قوله: "أو على المتن من جهة الإسناد"؛ أي: إن الحكم على المتن صحة أو ضعفا، لا بد أن يرجع إلى الإسناد؛ لأنه قل أن يحكم المحدث على المتن معزولا عن إسناده إلا في القليل النادر.

وأما قوله: "فكأنهم أحالوا الخارج عن وظيفتهم على الفقهاء والأصوليين الذين وظيفتهم انتقاد المتون"، لا يفهم منه أن المحدث ليس له أن يحكم على المتن، أو إذا صح له السند ألغى النظر في المتون؛ وإلا فإن الحكم على الراوي يسبقه الحكم على مروياته؛ إذ إن معرفة درجة حفظه وضبطه، وكذا درجة موافقته ومخالفته، يتوقف على النظر في مروياته، ولكنه نظر حديثي، وإن شئت فقل نظر نقدي. أما الأصوليون والفقهاء، لما كان اهتمامهم بالبحث في الجوانب التشريعية للسنة؛ إما من حيث الاحتجاج، أو الاستدلال، والاستنباط، ومعرفة ما يصلح منها دليلا للعمل مما ليس كذلك، فقد كان نظرهم في المتون ألصق، وإن شئت فقل: إن المحدث يغلب عليه تصحيح النسبة، والأصولي يغلب عليه تصويب الفهم.

وإلى هذا المعنى أشار ابن رجب، عند تعرضه للحديث عن حجية المرسل، وأوجه الافتراق بين المحدثين والفقهاء في مأخذ الاحتجاج بقوله: "لا تنافي بين كلام الحفاظ، وكلام الفقهاء في هذا الباب؛ فإن الحفاظ إنما يريدون صحة الحديث المعين إذا كان مرسلا، وهو ليس بصحيح، على طريقتهم؛ لانقطاعه وعدم اتصال إسناده إلى النبي ﷺ. وأما الفقهاء؛ فمرادهم صحة ذلك المعنى الذي دل عليه الحديث"[13]. وبهذا التوجيه يزول ما يمكن أن يفهم على غير حقيقته من كلام المحدث شبير العثماني.

[12]- شبير العثماني، "مبادئ علم الحديث وأصوله". تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (ط5، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ودار البشائر الإسلامية، 2018م)، 347.

[13]- ابن رجب، "شرح علل الترمذي". تحقيق: همام سعيد، (ط3، الرياض: مكتبة الرشد، 2001م)، 1:544.

ومن لوازم الوظيفة النقدية، تحديد مراتب المقبول والمردود، إذ إن الأحاديث المقبولة ليست على وزان واحد، وكذلك الضعيفة؛ بل إنها تتفاوت بتفاوت الأوصاف المحتفة بها، والمحدث من آكد وظائفه، وضع سلم تصنيفي لدرجات المقبول، وسلم تصنيفي لدرجات المردود؛ لأن كل هذا يفيده في ترجيح إحدى الروايات عند التعارض، أو يفيده في معرفة الطرق التي تصلح أن تكون جابرا ومعضدا يرتقي من خلالها من الضعف إلى الصحة أو الحسن.

وممن نبه على هذه الخاصية د. نور الدين عتر وجعلها حاكمة في درس مباحث هذا العلم، وتحرير مصطلحاته، حيث قال: "ربطت كل نوع من أنواع علوم الحديث بالباب الذي أوردته فيه، وبإطار العلم العام؛ أعني غاية العلم الأولى وهي معرفة المقبول من المردود، وبذلك يظل الدارس على صلة بالمعالم النظرية الأساسية، ويفيد في وضع كل قاعدة موضعها المناسب في مجال تطبيقها"[14].

المبحث الثالث: الوظيفة القيمية الأخلاقية.

لا يماري كل من له قبضة من أثر العلم بأحوال علماء الحديث، واطلاع على سيرهم وتراجمهم، وقراءة مستمرة في أحوالهم، وما كانوا عليه من جليل الخلال، وحميد الصفات؛ أن تهممهم بالعمل بما يروونه من آثار، والتزامهم بما ينشرونه من أخبار، كان دأبهم الذي عليه حرصوا، وشغلهم الذي ألزموا أنفسهم امتثاله والتلبس به حالا ومقالا؛ إذ إن كثرة الرواية والتوسع في التحديث من غير أن يتبعه عمل، أمر ليس من منهج سلف المحدثين في صدر ولا ورد؛ بل إن تراجمهم طافحة بالحرص على الإقلال من الرواية، والإكثار من العمل، والحرص على قفو أثرها، ولزوم غرزها.

لا تكاد تصرف بصرك عن كتاب من كتب علوم الحديث، أو مؤلف من مؤلفاتهم التي عنيت بذكر آداب الشيخ والطالب، والمراقي التي يقطعها لاستكمال مراحل تكوينه فيه، إلا وتخرج بشواهد كثيرة، ونصوص عديدة، يجمعها مقصد واحد، وهو أن طالب الحديث لا يرجى له النفع في العاجل والآجل إلا إذا كان على تمام الصلاح والخلق، وكمال السمت والأدب، والغاية في نبل النفس، وحر

14- نور الدين عتر، "منهج النقد في علوم الحديث". (ط32، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2011م)، 17.

الخلال الذي يجعله قدوة وإماما. و صنيع المحدثين هذا لا تكاد تظفر به في مـ صنفات العلوم الأخرى؛ لأنهم جعلوا آداب الشيخ والطالب بابا مـستقلا من أبواب علوم الحديث، وفي ذلك إشارة إلى أنها ليست من الفـ ضلة والنافلة التي تـ سقط بالتنبيه عليها في حوا شي الكتب وطررها، أو يحال عليه بالكلمة والكلمتين؛ بل جعلوها من صلب علم الحديث وأسسه.

يقول الخطيب: "الواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدبا، وأ شد الخلق توا ضعا، وأعظمهم نزاهة وتدينا، وأقلهم طيـ شا وغـ ضبا؛ لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المـ شتملة على محا سن أخلاق ر سول الله وآدابه، و سيرة الـ سلف الأخيار من أهل بيته وأ صحابه، وطرائق المحدثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها، ويصدفوا عن أرذلها وأدونها"[15].

إن الطالب الذي يكد، ويجتهد، ويسهر الليالي في سبيل الكشف عن مغمضات علم الحديث، والكشف عن مخابئه، ويتعرق بغية حفظ متن واستظهاره، وتفهم كتاب واستشراحه، لا يمكن أن يجد بركة ذلك كله، ولا ينال فتح مغاليقه إلا إذا استصحب هذا الجهد جهد آخر يرقيه في مدارج التعبد، وينقله من المنازل الدنيا في العبادة إلى وضع الرجل في سلم مدارج السالكين حقا وصدقا، وأن تكون استزادته من العلم موازية للزيادة في العمل والامتثال؛ إذ هما المقصد الأعظم للشريعة.

يقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:19].

قال الحسن البصري: "الذي يفوق الناس في العلم جدير أن يفوقهم في العمل"[16].

لقد سطر الـ شاطبي هذه القواعد الجليلة بمداد من الإخلاص، وتعهدها في أكثر مقدمات موافقاته بماء الصدق الذي أثمر كليات في طلب العلم تكتب بعبرات العين الخا شعة، قال: "كل علم

15– الخطيب، "الجامع لأخلاق الراوي". تحقيق: محمود الطحان، (الرياض: مكتبة المعارف، 1983م)، 51.

16– ابن عبدالبر، "جامع بيان العلم". تحقيق أبو الأشبال الزهيري، (ط11، الرياض: دار ابن الجوزي، 2012م)، 1:568.

شرعي، فطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله تعالى، لا من جهة أخرى؛ فإن ظهر فيه اعتبار جهة أخرى؛ فبالتبع والقصد الثاني، لا بالقصد الأول"[17].

لقد كان الشاطبي كثير التنبيه على ضرورة ربط العلم بالعمل، شديد الدعوة إلى تحصيل المسائل التي تثمر تزكية النفس وطهرتها، وتنتج استقامة القلب والجوارح، فما برح باثا لهذه الأصول الكلية، والقواعد الجامعة في ثنايا مقدمات موافقاته، من ذلك قوله: "كل مسألة لا ينبني عليها عمل؛ فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل، عمل القلب، وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعا"[18].

فهذه أصول جامعة، وكليات ضابطة وموجهة لسير طالب العلم في سلوك دروب التحصيل والاستزادة منه. وقد كان للمحدثين فيها النصيب الأكبر؛ لدوام قرع أسماعهم بالأخبار والآثار المشتملة على هدي النبي ﷺ، وهدي السلف في التجمل بالعلم، والتخلق به ظاهرا وباطنا، وتعهد النفس بلزوم غرزها، والاستنان بها، حتى إنهم عدوا ذلك كله رأس طلب الحديث وعمدته، ومن خلا من نبل الفطرة، وشرف الشمائل، وأغر المكارم، تبرأت منه المروءة، ودب في اللؤم وشب، حتى يعده أقرانه خسيس النفس، صغير الهمة، دنيء الملكة، لا يرحل إليه، ولا يعبه بمروياته وإن كثرت.

قال إمامنا مالك: "إن حقا على من طلب العلم أن يكون له وقار، وسكينة، وخشية، وأن يكون متابعا لآثار من مضى قبله"[19]. وقال سفيان الثوري: "إنما يطلب الحديث ليتقي الله به، فلذلك فضل على غيره من العلوم، ولولا ذلك كان كسائر الأشياء"[20].

إن أعظم ما يميز العلوم الشرعية عامة، وعلوم الحديث منها خاصة، أنها علوم تفرض على الخائض فيها، والطامع في نوال أصولها وقواعدها، أن يكون متلبسا بالأحوال التي كان عليه أرباب هذا الفن، مقتديا برفيع السمت والأدب الذي حلوا به سيرهم، وجملوا به تراجمهم. فمن المحال أن

---

[17]– الشاطبي، "الموافقات". (ط1، فاس: منشورات البشير بنعطية، 2017م)، 2:104.

[18]– الشاطبي، "الموافقات"، 1:69.

[19]– ابن عبدالبر، "جامع بيان العلم وفضله"، 1:442.

[20]– نفس المصدر، 1:535.

يـ صل طالب الحديث المنازل العليا فيه، وهو لم يؤد زكاته بعد، ولم تـ سكب عينه دمعة واحدة من خشية الله تعالى، وتمر عليه الأيام والليالي ولم يمتثل هدي حديث واحد، ولم يستن بسنة واحدة من سننه. فكيف يرجى لمن حاله هذا أن ينفع الله به أمته، وأن يشرفه بحوز وسام الرباط على ثغور السنة، والدفاع عن حيا ضها، وتخليـ صها من شوائب الو ضع والابتداع، والمنافحة عنها من شبه المغر ضين المناوئين. فهذا لعمري إنه يحاول أمرا بعيدا، ويطمع نوال أمر شديد المطلب، عزيز المنال. وحري بمن كان هذا حاله أن يختار له تخـ صـ صا غير الـ شريعة، فإنه لا يرجى له التعمير طويلا ولو سود بياض قميصه بالمداد.

إن طالب الحديث النبوي وعلومه ينبغي أن يكون دائم المراقبة لأحوال قلبه، شديد تعهد ميزان الخلق، والـ سمت، والأدب، وأن يحرص على ا ستعمال ما يطلبه في يومه وليلته، فإن كثير العمل والأدب، مع قليل العلم والرواية لا يضر.

قال الخطيب: "الواجب على من خـ صه الله تعالى بهذه المرتبة، وبلغه إلى هذه المنزلة، أن يبذل مجهوده في تتبع آثار رسول الله وسنته، وطلبها من مظانها، وحملها عن أهلها، والتفقه بها، والنظر في أحكامها، والبحث عن معانيها والتأدب بها، ويـ صدف عما يقل نفعه، وتبعد فائدته، من طلب الـ شواذ والمنكرات، وتتبع الأباطيل والموضوعات"[21].

وقال ابن الصلاح في وصيته لطلبة الحديث: "لا يحملنه الحرص والشره على التساهل في السماع والتحمل والإخلال، بما يـ شترط عليه في ذلك على ما تقدم شرحه. وليـ ستعمل من الأحاديث الواردة بالـ صلاة والتـ سبيح وغيرهما من الأعمال الـ صالحة؛ فذلك زكاة الحديث على ما روينا عن العبد الـ صالح بـ شر بن الحارث الحافي أنه قال: يا أ صحاب الحديث أدوا زكاة هذا الحديث، اعملوا من كل مئتي حديث بخمسة أحاديث"[22].

21– الخطيب، "الكفاية في معرفة أصول علم الرواية"، 1:87.

22– ابن الصلاح، "علوم الحديث". تحقيق نور الدين عتر، (ط22، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2017م)، 247.

إن طول زمن التعليم الذي تميز به المنهج التربوي عند علمائنا، مكن المحدثين من رصد كل تصرفات الطالب، والسعي في تقويمها الدائم، مما كان لهذا بالتتبع أثر كبير في إنضاج المتخرج علما وخلقا، وفي ذلك يقول ابن العطار يصف شيخه النووي: "كان رفيقا بي شفيقا علي، لا يمكن أحدا من خدمته غيري، على جهد مني في طلب ذلك منه، مع مراقبته لي رضي الله عنه في حركاتي وسكناتي، ولطفه بي في جميع ذلك، وتواضعه معي في جميع الحالات، وتأديبه لي في كل شيء حتى الخطوات، وأعجز عن حصر ذلك"[23].

لذلك لم يتردد علماء الحديث في تصحيح كل تصرف يخالف مقام الأدب، ويجانب هيبة رواية الحديث في المجالس، فكانوا يبادرون إلى زجر ومعاقبة كل ذي فعل يخالف تمام السمت، وكمال الأدب والخلق.

وروى الخطيب أن "عبد الرحمن بن عمر قال: ضحك رجل في مجلس عبد الرحمن بن مهدي، فقال: من ضحك؟ فأشاروا إلى رجل، فقال: تطلب العلم وأنت تضحك!! لا حدثتكم شهرا"[24].

فما من شك أنَّ الجانب الأخلاقي كان أساسا مهما، ومعيارا أصيلا عند طلبة الحديث في انتقاء من يتحملون عنهم، ويصاحبونهم ويلزمونهم، وفي المقابل كان جانب الأخلاق والسلوك من أهم مجالات التقويم عند المحدثين.

المبحث الرابع: الوظيفة البيانية.

لقد توجهت عناية كبار النقاد وأئمة الرواية منذ بواكير جمع الروايات ونقدها إلى الاعتناء بفقه متون الأحاديث، ومعرفة ما حوته من المعاني، وقد ضربوا في ذلك بسهم وافر، حتى صار لأهل الحديث مدرسة تسمى بمدرسة أهل الحديث، مقابل مدرسة أهل الرأي، وهذا يدلك أن التفقه في متون الأحاديث نوع من أنواع علوم الحديث؛ خاصة وأن المحدثين تداولوا بعض الأنواع التي يشترك معهم فيها أهل الفقه؛ كمعرفة الغريب، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، ومختلف الحديث...إلخ.

---

[23]- ابن العطار، "تحفة الطالبين في ترجمة النووي". تحقيق مشهور آل سلمان، (ط1، عمان: الدار الأثرية، 2007م)، 52.

[24]- الخطيب، "الجامع لأخلاق الراوي"، 128.

قال ابن الصلاح: "معرفة مختلف الحديث إنما يكمل للقيام به، الأئمة الجامعون بين صناعتي الحديث والفقه، الغواصون على المعاني الدقيقة"[25].

إن الناظر في كتب المتقدمين من أئمة النقد، وأرباب الصناعة الحديثية، لا يشك أن هؤلاء الأعلام كانوا على دراية عميقة بفقه متون الأحاديث، ومعرفة راسخة بما حوته من المعاني الدقيقة، وخاصة منهم أصحاب الكتب الستة؛ فلا يشك أحد أن طبيعة ترتيبهم للأبواب، ومسالك إيرادهم للتراجم -كما هو صنيع البخاري-، وما يبثونه من استنباطات أو نقول فقهية بعد رواية الأحاديث -كما هو صنيع الترمذي في "الجامع الكبير"- دليل ساطع، وبرهان قاطع أن المحدثين كان لهم اعتناء بفقه الحديث، وقد عرف هذا عند المتأخرين أيضا؛ خاصة الذين جمعوا بين الصناعة الحديثية والصناعة الفقهية؛ كابن عبد البر، والنووي، وابن رجب، وابن حجر، وغيرهم. وقد عرف عن بعض الأئمة شدة الاحتياط في الرواية عمن كان جاهلا بما يحدث به، واشتهر هذا عن إمامنا مالك، ونقل عنه أنه كان يأبى أن يحدث عن قوم هم من أهل الصلاح والتقوى والرواية، ولكن ليس لهم دراية بما يحدثون به[26].

قال د. ابن الـ ضاوية: "كان مالك لا يرـ ضى للراوي أن يحدث بما لم يحط بعلمه، ولا يقبل أن يروي النامي ما يعسر فهمه من مخارج قد يؤدي الجهل بمضمونها إلى رواية المنسوخ الموهم لإحكامه، أو أداء المتناقض الذي لم يجر قول أهل العلم بإعماله، أو المتـ شابه الذي لا ينبغي إعلان إسماعه، أو الغريب الذي لا تفقه دلالته، ولا يدرك مقصده وحكمته"[27].

---

[25]– ابن الصلاح، "علوم الحديث"، 284.

[26]– قال العقيلي: "قال مطرف بن عبد الله: قالي لي مالك بن أنس: عطاف يحدث؟ قلت: نعم. فأعظم ذلك إعظاما شديدا ثم قال: قد أدركنا نا سا ثقات يحدثون، ما يؤخذ عنهم. قلت: كيف وهم ثقات؟ قال: مخافة الزلل". العُقيلي، "الـ ضعفاء الكبير". تحقيق مازن السرساوي، (ط1، القاهرة: دار مجد الإسلام، منية سمنود: مكتبة دار ابن عباس، 2008م)، 5:124.

[27]– ابن الـ ضاوية، "معالم المنهج النقدي التي اعتمدها الإمام مالك لتمييز ما يتعبد به من أنواع الأخبار". (ط1، طنجة: دار الحديث الكتانية، 2017م)، 34.

إن الفقه عند المحدثين تميز بخاصية لا يشاركهم فيها الفقهاء، وهي أنه فقه أوسع وأشمل، لا يختص بالفروع المتعلقة بالأحكام الشرعية العملية فقط؛ بل هو متعد إلى مختلف الأبواب؛ كالأحكام، والعقائد، والرقاق، والتفسير، والمناقب، والدليل على ذلك أن شراح الحديث، لم يختص شرحهم بأحاديث الأحكام فقط، بل شرحوا مختلف الأبواب. كما أنهم يجعلون النص الحديثي منطلق النظر والاستنباط؛ فالاحتجاج به لا يكون تابعا وفرعا، بل هو الأصل والمنطلق.

فالخلاصة التي قصدنا بيانها؛ أن الفقه عند المحدثين يدخل ضمن دوائر اشتغالهم؛ لأنه نوع من أنواع علوم الحديث. صحيح، أن اشتغال المحدث بالتوثيق والنقد آكد، وهو من صلب وظائفه الأصلية؛ إلا هذا لا يعني استغناءهم عن فقه الحديث.

قال الحاكم: "أما فقهاء الإسلام أصحاب القياس، والرأي، والاستنباط، والجدل، والنظر؛ فمعرفون في كل عصر، وأهل كل بلد، ونحن ذاكرون بمشيئة الله في هذا الموضع فقه الحديث عن أهله، ليستدل بذلك على أهل هذه الصنعة من تبحر فيها لا يجهل فقه الحديث؛ إذ هو نوع من هذا العلم"[28].

وليس الحاكم وحده من جعل فقه الحديث من أنواع علوم الحديث؛ بل إن هذا الأمر مما أكد عليه القاضي عياض بعده، حيث قال بعد عد الأنواع المندرجة تحت علوم الحديث: "ثم التفقه فيه، واستخراج الحكم والأحكام من نصوصه ومعانيه، وجلاء مشكل ألفاظه على أحسن تأويلها، ووفق مختلفها على الوجوه المفصلة وتنزيلها"[29].

لذلك فإن الطالب لابد أن يكون له نصيب من النظر في المتون، من خلال الدربة على استخراج معانيها، واستنباط أحكامها؛ لأنه يقبح به أن يصير ذا قدرة على تمييز الأحاديث، والحكم عليها بالقبول والرد، ويضرب في ذلك بسهم وافر؛ لكن إذا سئل عن مسألة من المسائل التي تضمنتها هذه

---

[28]- الحاكم، "معرفة علوم الحديث". تحقيق أحمد السلوم، (ط2، الرياض: مكتبة المعارف، 2010م)، 257.

[29]- القاضي عياض، "الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع". تحقيق محمد البيضاني، (ط1، المدينة المنورة: الناشر المتميز، 1438هـ)، 81.

المتون، حار وأبلس، وأصيب بالعي والحصر، وهذا ليس دأب المحققين من الطلبة، وليس المنهج السليم الذي كان عليه الأئمة الأعلام من أهل الحديث.

ومن أغلى الشواهد التي بينت المرقاة التي تأخذ بيد الحديثي نحو تكوين الملكة، واللحوق بركب أرباب الصناعة، قول النووي: "إن المراد من علم الحديث تحقيق معاني المتون، وتحقيق علم الإسناد المعلل. والعلة: عبارة عن معنى في الحديث خفي يقتضي ضعف الحديث مع أن ظاهره السلامة منها، وتكون العلة تارة في المتن، وتارة في الإسناد، وليس المراد من هذا العلم مجرد السماع، ولا الإسماع، ولا الكتابة؛ بل الاعتناء بتحقيقه، والبحث عن خفي معاني المتون والأسانيد، والفكر في ذلك، ودوام الاعتناء به، ومراجعة أهل المعرفة به، ومطالعة كتب أهل التحقيق فيه، وتقييد ما حصل من نفائسه وغيرها؛ فيحفظها الطالب بقلبه، ويقيدها بالكتابة، ثم يديم مطالعة ما كتبه، ويتحرى التحقيق فيما يكتبه، ويتثبت فيه؛ فإنه فيما بعد ذلك يصير معتمدا عليه"[30].

فهذا النص واضح الدلالة فيما سيق لأجله، وهو من الشواهد الأثيرة التي تبين الطرق الصحيحة التي ينبغي أن يسلك دروبها مبتغي تكوين الملكة الحديثية. فمن الأمور المهمة التي أكد عليها النووي في كل المسالك التي يصير بها مريد الرسوخ في علم الحديث، التركيز على التحقيق؛ فالتحقيق ينقل الطالب إلى درك خفي المسائل المستكنة المحجوبة، التي لا تظهر بالقراءة العابرة، ولا بالنظر الوامض؛ بل إن استنطاقها يحتاج نفوذا ذهنيا، أكثر منه لمحا بصريا.

إن ارتياض الطالب على تحقيق محصوله العلمي، يربيه على التدقيق فيما يتحمله، وتحريره ما يقيده، والبصيرة فيما يسمعه، والحذق فيما يكتبه. وهذه مهارات لا يتأتى له تملكها إلا بالتحقيق؛ لأن المستغني عنه بالسماع والكتابة فقط، يتحمل الكثير من القضايا مسلمة، علما أنه لو تتبعها بالتحرير والتفتيش، ووصل إلى إحقاق الحق فيها، وطرح المرجوح والضعيف منها؛ لتبين له بالتحقيق أنه لا عبرة به في ميزان العلم، أو أنها من الأقوال المعتبرة. لذلك كان الارتياض في الكتب التي تربي على التحقيق مرقاة لقدح زناد الملكة، فكلما أدمن الطالب رياضة الفكر والنظر؛ طرق باب

---

[30]- النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". تحقيق موفق مرعي، (ط1، دمشق: دار المناهل، دار الفيحاء، 2010م)، 1: 103-104.

التحقيق، وكشف حجب العلم، وجلى مغمضات الإشكالات؛ لأن "جوهر العلم لا ينال بغير التحقيق فيه، والتحقيق في العلم لا يكون إلا باستعمال الفكر، وإمعان النظر، واستثمار العقل بتحديق بصيرته إلى الغوامض بطول التأمل"[31].

إن المتأمل في كتب السير والتراجم يجد أن تحقيق العلم، وتحرير أقوال أصحابه، وإرجاعها إلى أصولها، وبيان أوجه دلالاتها، من أكثر المصطلحات ارتباطا بـ الملكة الحديثية، ولم يكن أهل الحديث يطلقون صفة التحقيق إلا على ذي ملكة راسخة يقوى من خلالها على التغلغل في ثنايا العلم، والغوص في أغواره للكشف عن أسراره، والبوح بمكنونه.

قال الرامهرزي بعد أن ذكر مناقب أئمة النقد، وما بذلوه من جهود في سبيل حفظ السنة، والدفاع عن حياضها، والتنقل في الأمصار من أجل التأكد من أحوال ناقليها، والسعي الحثيث في تخليصها من شوائب البدع والوضع: "فإنك إن أردت التوصل إلى معرفة هذا القرن، لم يذكرهم لك إلا راو للحديث، متحقق به، أو داخل في حيز أهله، ومن سوى ذلك فربك بهم أعلم"[32].

وقد ذكر النووي المسالك التي يصير بها الطالب مقتدرا على التحقيق، وهي:

أولا: مطالعة كتب أهل التحقيق؛ لأن "الكتب ليست مجرد خزانة تستخلص منها النتائج فحسب؛ بل هي معامل تدريب وتمرين للطالب"[33]. والمراد بذلك انتقاء الكتب التي تروض العقل على انتزاع المسائل الدقيقة، وتنبهه على القضايا العلمية الدقيقة، وتوقفه على مسالك مصنفيها في بناء القواعد، وتربيه على درك مآخذهم في الاحتجاج والاستدلال، وتأخذ بيده إلى التفطن لمعاقد الاستنباط، وتمهره في دفع الشبه والاعتراضات الواردة عليه، وتكسبه ملكة تدريسه وتأليفه، فتلك هي أمارات الكتب التي تربي على التحقيق؛ لذلك كان هذا الصنف من المؤلفات محط اهتمام العلماء وطلبتهم. ولا ريب أن كتب العلل والتخريج من أعظم المصنفات التي تربي على تحقيق العلم.

---

[31]- الشتري، "ارتياض العلوم". (ط2، مركز البيان للبحوث والدراسات، 1437هـ)، 143.

[32]- الرامهرمزي، "المحدث الفاصل". تحقيق محمد محب الدين، (ط1، القاهرة: دار الذخائر)، 132.

[33]- الشتري، "ارتياض العلوم"، 119.

ثانيا: صحبة العلماء المتحققين بالصناعة الحديثية. ذلك أن الطالب قد تقصر ملكته في بداية التحصيل عن المطالعة الذاتية في كتب المتقدمين، ويجد عنتا في قراءتها استقلالا، فإذا لم يجد معلما مكينا في العلم، وشيخا راسخا متمهرا فيه، لربما أدى به ذلك إلى صدوفه عنه. إلا أنه لا ينتفع بصحبة الشيخ إلا إذا توفرت فيه -أي: الشيخ- شروط يضمن الطالب لنفسه إن صحبه سنوات أن يصير من المتحققين بعلم الحديث. أما مجرد الصحبة لأي شيخ كيفما اتفق؛ فذلك مسلك لا يعمر صاحبه طويلا في العلم، بله أن يلحق بركب ذوي الحذق والملكة في العلم.

ثالثا: التدرب على التأليف والبحث الذاتي؛ فهذا مسلك من أعظم المسالك التي تربي على التحقيق، وتعين على اكتساب الملكة الحديثية.

المبحث الخامس: غاية الكشف عن وظائف علم الحديث.

إن من أعظم المحصلات التي يجنيها المستخلص للطبيعة المعرفية لعلوم الحديث، استنطاق وظائف نشأته، ومقاصد تأليفه، والكشف عن بنيته وأنساقه الداخلية التي تفضي به إلى دقة تحديد المخرجات والتنبؤ بها، وتحديد مواصفات الطالب في الحديث وعلومه؛ إذ إن تجلية وظائف العلم في مستواها العالم، ومستواها التعليمي، يتيح تسطير الأهداف للعلم، ويضبط التنزيل التدريسي لوحداته، فلا يختار من الأهداف والمحتويات والطرق والوسائل إلا ما يؤدي إلى تحقيق مقاصد العلم وأهدافه، ولو لم يكن لوظائف العلم وانتزاءها من العوائد التربوية على مخرجات تدريس علم الحديث، وأثرها في توجيه المدرس لاختيار عناصر المنهاج الملائمة لطبيعته، لكانت كافية أن تبذل الجهود في إظهارها وتجليتها؛ إذ إن من أكثر غوائل الاضطراب، وأعظم الغواشي الحائلة دون تمام التصور لعلوم الحديث، وصحة سلوك منهج منضبط في تدريسه، عدم تحديد وظائف العلم أولا، وعدم تحديد الأهداف ثانيا؛ فينتج عن ذلك كله خبط في اختيار المحتوى المناسب، وعشوائية مقيتة في انتقاء الطرق والوسائل الملائمة لتدريسه، والتقويم يصدق ذلك أو يكذبه؛ لأنه مرآة عاكسة لطبيعة الطرق والوسائل التي دُرِّس بها العلم.

فمن لم يكلف نفسه عناء تحديد الوظائف التي تعينه على التدقيق في تحديد الأهداف التربوية دخل عليه الوهم والإيهام؛ إذ يتعذر عليه تربويا أن يدقق في وضع الأهداف، وينتقي منها ما يلائم الخصائص النفسية والعقلية للفئة المستهدفة، ولما يحط بعد خبرا بوظائف نشأته، ومقاصد تأليفه؛

لأن الخلط بينهما يؤدي إلى محاذير علمية خطيرة، أقل ما فيها أن يحمل المبتدئ ما لا يحتمله ذهنه، وما تعجز قدراته عن استيعابه.

لا أبالغ إن قلت: إن من بين أكبر العوائق التي تحبط همم الطلبة في سلوك دروب تحصيل الملكة الحديثية، ومن بين أهم الأسباب التي تقلل أهمية اشتغالهم بما يرقيهم في سلمها، ويثبطهم عن تحمل مشاقها ولأوائها، والتصبر على إحكام معاقل أصولها، جهلهم بالمقاصد العليا والوظائف الرئيسة التي نشأ علم الحديث لتحقيقها، وغفلتهم عن الأصول المعرفية والمنهجية التي تثمرها القراءة المستمرة فيه، وطول الملازمة والارتياض في مصنفات أربابه، وإدمان النظر في سيرهم وتراجمهم.

إن الطالب كلما كان جاهلا بأهمية ما يطلب، غافلا عن مقاصده ووظائفه؛ وجد نفرة منه، وإحباطا داخليا يحول بينه وبين الإقبال عليه، ولا يجد من التحفيز الداخلي ما يدفعه إلى الاستزادة منه؛ لأنه يجهل وظائفه وعوائده؛ لذلك فالتدريس الناجح، هو الذي يراعي هذا الأمر في النقل التدريسي وتسطير الأهداف التي يراد تحقيقها في نهاية مخرج كل فصل على حدة؛ إذ بهذا المنهج التربوي المحكم يخرج المدرس من العشوائية إلى الإحكام والإتقان، فيجني من ذلك كله ثمرة الوظيفية في التدبير التدريسي.

إن كل فعل تدريسي لا يستصحب مقاصد العلم ووظائفه، يؤدي إلى الإغراق بالطالب في تفصيلات وتدقيقات إذا وضعت في ميزان وظائف العلم، ألفيتها ضربا من تضييع الجهد والوقت، الذي لا يثمر تحصيل الملكة لذلك كانت الوظائف والمقاصد هي البوصلة الموجهة إلى حسن اختيار طرق التدريس والتقويم والأهداف والمحتوى التي تراعي خصائص العلم أولا، ثم تراعي طبيعة الفئة المستهدفة وخصائصها النفسية والعقلية.

نخلص إلى أن التدريس الناجح؛ ليس هو الذي يلقي بالطالب في شعاب المعارف الجزئية، والتفصيلات المملة دون أن يجد لذلك أثرا منهجيا في مساره التأصيلي، بل إنه التدريس الناجح الذي يستحضر هذه الأثافي الثلاثة في التنزيل التدريسي للوحدة: الأصول المعرفية والمنهجية للعلم، ثم

الخصائص النفسية والعقلية للطالب، ووظائف العلم، ومقا صد تأليفه، وأهدافه هي الخيط الرابط بينهما من جهة، والمعيار الموجه في استصحاب ما يؤدي إلى تحقيق الملكة في هذا العلم من جهة أخرى.

لقد كان علماء الحديث على وعي تام بهذه المنطلقات في التأليف والتدريس؛ إذ لم يجنحوا إلى الإغراق بالطالب في لجج الخلافات التي تبدد قواهم، وتـ ضعف عزائمهم على المرابطة على تحـ صيله، وا ستكمال مراحل طلبه، فاقتـ صروا على ما يحقق مقا صد العلم، وما يؤدي وظيفة الفهم والإفهام. كما أن ا ستحـ ضارهم لهذه الحقيقة التربوية جعلهم غير مكترثين بالحدود المنطقية، ومحاولة إخـ ضاعها لتـ ضييقات المناطقة في الـ صياغة والتركيب؛ إذ كان هدفهم تمييز مفهوم الـ صطلح عن غيره، سواء كان ذلك بالتقـ سيم أو المثال أو التعريف أو الحكم، أو بأية صورة تـ سهم في درك تمام الاستيعاب، وكمال الفهم للمصطلح وميزه عن غيره.

وأرى سوق ما يـ شهد لـ صحة هذا المعنى، وهو كثير في كتب الـ صطلح، فلا بأس بإيراد ما يرفع مغمضه، ويزيل لبسه. فقد قال ابن الصلاح: "الفرق بينهما صار هو الشائع الغالب على أهل الحديث، والاحتجاج لذلك من حيث اللغة عناء وتكلف. وخير ما يقال فيه إنه ا صطلاح منهم أرادوا به التمييز بين النوعين ثم خصص النوع الأول بقول: حدثنا لقوة إشعاره بالنطق والمشافهة"[34].

وقال في مو ضع آخر بعد أن ذكر الخلاف في جواز الرواية بالإجازة، وكذا الخلاف في تعيين الراوي كل مروياته للمجاز له، واختار أنه ليس شرطا أن يعين كل مروياته تـ صريحا ونطقا، ثم أردف ذلك بقوله: "وإنما الغرض حصول الإفهام والفهم"[35].

ولا بأس أن نتبع كلام ابن الصلاح بشاهد من كلام ابن ر شد، بجامع السياق التربوي الناظم لفـ صول هذا المجموع ومباحثه؛ فقد قال بعد أن ساق جملا من وظائف وأغراض علم أ صول الفقه: "ومما تقدم يتبين غرض هذا الكتاب، ونسبته إلى سائر العلوم، ومرتبته، وما يدل عليه اسمه وأقسامه.

---

[34]– ابن الصلاح، "علوم الحديث"، 140.
[35]– نفس المصدر، 153.

وهي الجمل النافع تقديمها للمتعلم عند شروعه في الصناعة"36. وهذا ملمح تربوي في غاية النفاسة، حري أن يستصحب جنسه لينزل على آحاد العلوم؛ إذ إنه سيق في معرض التأكيد بقوله "وهي الجمل النافع"؛ فبها تنضبط مباحث العلم وتتصور في ذهن المتعلم، ومن خلالها يحيط "بالغاية المقصودة من تحصيله؛ حتى لا يكون سعيه عبثا، وما عنه البحث فيه من الأحوال التي هي مسائله لتصور طلبها"[37]، ثم لأنها المعيار الموجه في اختيار كل ما يأتيه ويذره في ثنايا مصنفه، فما كان محققا للوظائف الأصلية اعتبره، وما كان خارجا عنها طرحه، والتوسع في ذكره ضرب من "حب التكثير بما ليس يفيد شيئا"[38].

إن وظائف العلم ومقاصده ليست فائدتها قاصرة على الجوانب التربوية؛ بل إنها تتعدى ذلك لتؤثر في مناهج التفكير ودرجة إعمالها في بناء مباحث العلم ومسائله؛ إذ إن توظيفها خاضع بالأصالة إلى طبيعة العلم نفسه أولا، ثم إلى مدى إسهامه في تحقيق وظائفه الأصلية، فلا يوظف منها إلا ما كان معينا له على تحقيق وظائفه، وما كان نائيا عنها لم يتشاغل به، وإن عمد إليه فمن باب الاستئناس والمتابع ليس إلا، ولا يتوسع فيها إلا بالقدر الذي يجلي حقائقها.

إن هذه الخلفية الحاكمة تؤثر في طبيعة ترتيب المباحث داخل العلم، أو ما يصطلح عليه بمناهج التأليف، ووجه التلازم بينهما يظهر في طريقة ترتيب وتصنيف المباحث داخل العلم، فيقدم في ترتيبها ما كان مرتبطا بالوظائف الأصلية للعلم، وما كان محققا لمقصود البحث فيها، ويؤخر ما كان خادما لها، ومعينا على استتمام التصور لها، فالوظائف إذن؛ "تؤثر في طريقة تصنيف مسائله في الأبواب المختلفة، وتنويعها في مباحث متناسبة؛ بحيث تكون متكاملة فيما بينها في تأدية مقصود العلم"[39].

36– ابن رشد، "الضروري في أصول الفقه". تحقيق جمال الدين العلوي، (ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2012م)، 73.

37– الآمدي، "الإحكام في أصول الأحكام". (ط1، بيروت: دار ابن حزم، 2008م)، 8.

38– ابن رشد، "الضروري في أصول الفقه"، 52.

39– حرب، "مقاصد أصول الفقه". (ط1، عمان: دار النور المبين، 2015م)، 7.

وهذا المعنى قد وجد عند ابن دقيق، حيث قال: "إن الواجب لمن شرع في أمر أن ينظر في المقصود منه، ويجعل فضل العناية به. فإن كان مقصوده البيان والبسط اعتنى بذلك، وأوضح ومال إلى الإسهاب بحيث لا يخرجه إلى الهذر، وإن كان مقصوده الاختصار، لمح هذا المعنى واعتنى به، وترك ما يمكنه تركه، واستغنى بما يذكره عن غيره إذا كان الذي يذكره يغني عنه، إلى ما يناسب هذا"[40].

وهذا النص أضاف فائدة مهمة لها متجلياتها على مستوى التدريس؛ إذ إن المباحث المرتبطة بصلب العلم، والمحققة لوظائفه الرئيسة، تحتاج بسطا في الشرح، وتوسعا وظيفيا في الإيضاح. أما ما كان من الوظائف التابعة؛ فإنه يذكرها على وجه الاستئناس والرياضة؛ ومن عمد إلى الاختصار في التصنيف، كان مقصوده أصالة جمع شتات مسائل العلم حتى يسهل حفظه، ويتيسر على المبتدئ ضبطه، ولا يليق فيها البسط.

كما أن المجلي لوظائف علم الحديث، والكاشف عن بنيته الداخلية والخارجية، يستطيع وضع محددات معيارية، يُقوم من خلالها مسار النظر في العلم، ويصحح مآخذ الاستنباط منه، وينصب صوى ضابطة لصحة سيره في طريق طلب الحديث وعلومه، فتكتسب خصائص العلم ووظائفه بذلك صفة الحاكمية، فتصير مرجعا تميز به الوظائف الأصيلة في العلم، والوظائف العواري التي ليست من صلبه، ولا من ملحه، بل هي وظائف دخيلة عليه، هجرت من حقولها الأصلية، واستنبتت فيه بإلف التراكم التاريخي، وتعظيم المتأخر للمتقدم، فيصير اقتلاعها شديدا على النفوس.

وهذا التمييز بين الوظائف الأصيلة، والوظائف الدخيلة من أهم أصول الملكة الحديثية ولوازمها؛ لأن الجهل بهذه المحددات، يفسد منهج التعلم، ويحيد بالطالب عن جمع الهم في استجلاء ما ينبني عليه عمل في علمه، وما له صلة بتصرفه فيه، وأما ما كان عقيم الأثر، عديم الجدوى لفظه، وإن طلبه فليكن على وجه الاستئناس والرياضة.

---

[40]- ابن دقيق، "شرح الإلمام بأحاديث الأحكام". تحقيق محمد خلوف، (ط3، دمشق: دار النوادر2012م)، 1:20.

قال الطوفي: "لا شك أن كل علم من العلوم، ففي مسائله ما يجري مجرى الضرورات التي لا بد منها، وفيها ما يجري مجرى الرياضات التي يرتاض العلماء بالنظر فيها، فتكون فائدتها الرياضة النظرية لا دفع الحاجة الضرورية"[41].

ومن تأمل مناهج المحدثين في تصنيف النكت، وجد من بين مقاصدها، تصحيح وتعقب، وتوجيه، واستدراك الانزياحات الدلالية للمصطلحات الحديثية عند أوائل المصنفين، ومقومة مسار التأليف في هذا العلم، ومذكرة بوظائف علوم الحديث وخصائصه الأصيلة، ومنتقدة لكل قيد ورد في التعاريف يكون حائدا عن طبيعة العلم، مناقضا لوظائفه، لذلك نستطيع القول: إن كتب النكت كتب تقويمية، مصححة لمسار التأليف المصطلحي الحديثي، ومرجعة إياه إلى وظائفه الأصيلة التي نشأ لخدمتها وتحقيقها.

يقول ابن حجر بعد أن ساق تعريف المتواتر، وذكر أوجه الخلف في العدد الذي يفيد به العلم الضروري: "وإنما أبهمت شروط المتواتر في الأصل؛ لأنه على هذه الكيفية ليس من مباحث علم الإسناد؛ إذ علم الإسناد يبحث فيه عن صحة الحديث أو ضعفه؛ ليعمل به أو يترك من حيث صفات الرجال، وصيغ الأداء، والمتواتر لا يبحث عن رجاله، بل يجب العمل به من غير بحث"[42].

فهذا نص عزيز؛ لأنه وضع مبحث المتواتر في ميزان وظائف المحدثين، فألفاه متعارضا مع الوظيفة النقدية لعلم الحديث، فعده دخيلا على مباحث الإسناد، عديم الفائدة علما وعملا. وهذا ينبيك عن استحضار المحدثين لهذا الضابط التقويمي، المصحح للميل الحائد للمصنفات الحديثة عن رسم أئمة النقد، والتي استفاضت في ذكر المتواتر وشروطه، وعدده وحكمه، بما يرجع بالبطلان على قواعد المحدثين؛ لأن تقسيم الأخبار إلى متواتر وآحاد، وجعل المتواتر قسيما له، ليس مبحثا أصيلا عند المحدثين، بل انتزع من علم الكلام، وتأثرت به بعض كتب المصطلح، بالإلف التاريخي، وتأثر العلوم بعضها ببعض، خاصة ذلك الامتداد الذي عرفته المدونات الأصولية، واقتحامها للمباحث

41- الطوفي، "شرح مختصر الروضة"، 1:473.

42- ابن حجر، "نزهة النظر". تحقيق محمد مرابي، (ط3، دمشق: دار ابن كثير، 2017م)، 80-81.

الحديثية، ومحاولة نزعها بيد الغصب والقوة، فكان من بين آثارها هذا التأثر الذي عرفته كتب المصطلح.

وحديثي هنا عن المتواتر الذي لا يجري على الصنعة الحديثية؛ أي المتواتر بالمعنى الذي قرره الأصوليون؛ لأن المحدثين ألفوا في المتواتر، وتحدثوا عنه، وكل ذلك بنفس حديثي.

واستحضار الوظائف الأصلية لعلم الحديث، هو الذي حذا بهم إلى زيادة قيد انتفاء الشذوذ في حد الصحيح، رفضا منهم تضييقات الفقهاء في تقرير قواعدهم؛ إذ إن الفقهاء والأصوليين يقبلون زيادة الثقة مطلقا، على خلاف المحدثين، الذين اشترطوا عدم منافاتها لمن هو أوثق.

يقول ابن حجر: "واشتهر عن جمع من العلماء القول بقبول الزيادة مطلقا من غير تفصيل، ولا يتأتى ذلك على طريق المحدثين الذين يشترطون في الصحيح أن لا يكون شاذا، ثم يفسرون الشذوذ بمخالفة الثقة من هو أوثق منه"[43].

الخاتمة:

إن الكثير من القضايا التي بسطت وقررت في هذا البحث، حررت بالاستناد إلى وظائف العلم، فكانت المعيار الذي يحتكم إليه في صحة اختيار الخصائص والأصول التي تجري عليها صنعة المحدثين دون غيرهم، وأن هذا الخلط الوظيفي مظنة للتفسيرات الخاطئة، والتعميمات البعيدة عن المنهج العلمي المنضبط.

إن استنطاق وظائف علم الحديث، يعد أمرا في غاية الأهمية؛ لأنه يستعان بها على تحديث الأهداف التربوية الخاصة بمسالك تكوين الملكة الحديثية في الجامعة، وهذه الأهداف ينبغي أن تكون خادمة لمقاصد العلم، ومعينة على بلوغها؛ لأن القصد في نهاية مخرجات الدرس الحديثي، وصول الطالب إلى مقاصد العلم ووظائفه. وتجزيئ الأهداف وتنويعها القصد منه أن تكون مرقاة له على درك هذه المقاصد. و"بالوقوف على مقاصد العلم ومبانيه نعرف حدود الأصالة، وضوابط التجديد في

[43]- ابن حجر، "نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر"، 141-142.

العلم مما يحتمله وبيان ما لا يحتمله، ومن خلا لها يمكن تقييم تجارب الآخرين وفق ضوابط معيارية لا تفرق بين متقدم ومتأخر"[44].

وتأسيسا على كل ما سبق إيراده فإن الباحث يوصي بالآتي:

أ- تشجيع الطلبة على البحث في وظائف علم الحديث؛ وتعميق النظر في مسالك اكتسابه، والمهارات الخاصة به، وطرق تدريسه وتقويمه، وأن ينتظم ذلك في صورة منهاج لتدريس علوم الحديث، إما أن يختص بعلم المصطلح، أو الجرح والتعديل، أو العلل، أو مناهج المحدثين في التصنيف...إلخ.

ب- تعميق النظر في مكونات الأصول المعرفية، والمنهجية، والتربوية لعلم الحديث في علاقتها بمقاصده العالمة؛ إذ إن كل مكون يعد بحثا مستقلا؛ كتعميق النظر في مناهج التفكير عند المحدثين، والبحث في خصائص المصطلح الحديثي.

.... ❖❖❖❖❖ ....

❖ **فهرس المصادر والمراجع:**

44- حرب، "مقاصد أصول الفقه ومبانيه"، 33.

1. ابن الأثير، المبارك بن محمد، "جامع الأ صول في أحاديث الر سول ﷺ". تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، وآخرون، (ط3، دم شق: دار ابن كثير، 2016م).
2. إدريس ابن الـ ضاوية، "معالم المنهج النقدي التي اعتمدها الإمام مالك لتمييز ما يتعبد به من أنواع الأخبار". (ط1، طنجة: دار الحديثي الكتانية، 2017م).
3. الإدلبي، صلاح الدين بن أحمد، "منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي". (ط1، الأردن: دار الفتح، 2013م).
4. الآمدي، علي بن محمد، "الإحكام في أصول الأحكام". (ط1، بيروت: دار ابن حزم، 2008م).
5. البقاعي، إبراهيم بن عمر، "النكت الوفية بما في شرح الألفية". تحقيق ماهر الفحل، (ط1، الرياض، مكتبة الرشد، 2007م).
6. الجزائري، طاهر بن صالح، "توجيه النظر إلى أ صول الأثر". تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (ط1، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1416ه).
7. الحاكم، محمد بن عبد الله، "معرفة علوم الحديث وكمية أجنا سه". تحقيق أحمد الـ سلوم، (ط2، الرياض: مكتبة المعارف، 2010م).
8. ابن حجر، أحمد بن علي، "نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر". تحقيق محمد مرابي، (ط3، دمشق: دار ابن كثير، 2017م).
9. حرب، أحمد حلمي حسن، "مقاصد أصول الفقه ومبانيه". (ط1، عمان: دار النور المبين، 2015م).
10. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع". تحقيق: محمود الطحان، (الرياض: مكتبة المعارف، 1983م)
11. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، "الكفاية في معرفة أ صول علم الرواية". تحقيق ماهر الفحل، (ط2، الرياض: دار ابن الجوزي، 1435هـ).
12. ابن دقيق العيد، محمد بن علي، "شرح الإلمام بأحاديث الأحكام". تحقيق محمد خلوف، (ط3، دمشق: دار النوادر2012م).
13. الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن، "المحدث الفا صل بين الراوي والواعي". تحقيق محمد محب الدين، (ط1، القاهرة: دار الذخائر).
14. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، "شرح علل الترمذي". تحقيق: همام سعيد، (ط3، الرياض: مكتبة الرشد، 2001م).
15. ابن ر شد، محمد بن أحمد، "الـ ضروري في أ صول الفقه". تحقيق جمال الدين العلوي، (ط2، بيروت: دار الغرب الإ سلامي، 2012م).
16. الزيلعي، عبد الله بن يوسف، "نصب الراية لأحاديث الهداية". تحقيق محمد عوامة، (ط1، بيروت: مؤسسة الريان، 1997م).
17. السمعَانِي، منصور بن محمد، "قواطع الأدلة في الأصول". تحقيق محمد حسن، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418ه).
18. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، "الموافقات". (ط1، فاس: منشورات البشير بن عطية، 2017م).
19. شبير أحمد العثماني، "مبادئ علم الحديث وأ صوله". تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، (ط5، حلب: مكتب المطبوعات الإ سلامية، ودار البشائر الإسلامية، 2018م).
20. الشتري، سعد بن ناصر، "ارتياض العلوم". (ط2، مركز البيان للبحوث والدراسات، 1437هـ).
21. صادقي، مصطفى، "منهاج تدريس الفقه". (ط1، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2012م).

22. ابن صلاح، عثمان بن عبد الرحمن، "علوم الحديث". تحقيق نور الدين عتـ ـر، (ط22، دمشق: دار الفكر، بيـ ـروت: دار الفكر المعاصر، 2017م).

23. الطوفي، سليمان بن عبد القوي، "شرح مختصر الروضة". تحقيق عبد الله بن عبد المحسن، (ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987م).

24. ابن عبدالبر، يوسف بن عبد الله، "جامع بيان العلم وفضله". تحقيق أبو الأشبال الزهيري، (ط11، الرياض: دار ابن الجوزي، 2012م).

25. عتر، نور الدين بن محمد، "منهج النقد في علوم الحديث". (ط32، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2011م).

26. العطار، أبو الحسن بن إبراهيم بن داود، "تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي". تحقيق مشهور آل سلمان، (ط1، عمان: الدار الأثرية، 2007م).

27. العقيلي، محمد بن عمرو، "الضعفاء الكبير". تحقيق مازن السرساوي، (ط1، القاهرة: دار مجد الإسلام، منية سمنود: مكتبة دار ابن عباس، 2008م).

28. عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض، "الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع". تحقيق محمد البيضاوي، (ط1، المدينة المنورة: الناشر المتميز، 1438هـ).

29. ابن قطان، أبو الحسن علي الفاسي، "بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام". تحقيق الحسين أيت سعيد، (ط2، الرياض: دار طيبة، 2011م).

30. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج، "التمييز". تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، (ط3، السعودية: مكتبة الكوثر، 1410ه).

31. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". تحقيق موفق مرعي، (ط1، دمشق: دار المناهل، دار الفيحاء، 2010م).

.... ❖❖❖❖❖ ....

وضع المرأة المصرية في العصر الحديث

محمد عادل *

ملخص البحث:

لعبت المرأة في مصر دورا مؤثرا في السياسة والمجتمع المصري منذ عهد الدولة الفرعونية، ولكن يظهر جليًا تدهور وضع المرأة المصرية في الآونة الأخيرة، حيث تواجه المرأة المصرية اليوم تحديات جمة واضطهاد يشمل العديد من نواحي الحياة، فهي تعاني من التحرش والاغتصاب والزواج القسري والعنف المنزلي والقوانين التي تميز بين الجنسين، وزيادة معدلات الإتجار بالنساء. وأظهرت نتائج دراسة أجرتها مؤسسة "تومسون رويترز" أن مصر أسوأ مكان بالعالم العربي يمكن أن تعيش فيه المرأة، وذلك عكس كل الآمال في أن تكون المرأة من أكبر المستفيدين من الربيع العربي المثل في مصر بثورة 25 يناير، إلا أنها كانت من أكبر الخاسرين بعد اندلاع الصراعات وانعدام الاستقرار وموجات النزوح وظهور جماعات متطرفة في أجزاء كثيرة بالمنطقة. هذه الورقة البحثية محاولة لدراسة موضوعية لأوضاع المرأة الاجتماعية والسياسية في مصر في الفترات المختلفة من العصر الحديث.

الكلمات الرئيسة: المرأة المصرية، الحقوق، العادات، التقاليد، الوضع، المعاناة.

العصر الحديث

تطورت الحركة النسائية في العصر الحديث تطورا واسعا بفضل إسهامات الأدباء حتى أصبحت هذه الحركة حركة سياسية اجتماعية وبدت ملامحها في الإنتاجات الأدبية في هذا العصر إلى حد أوسع كما نرى في السطور التالية-

المرأة في حكم محمد علي باشا

استطاع محمد علي باشا أن يعتلي عرش مصر عام 1805 م بعد أن بايعه أعيان البلاد ليكون واليًا عليها مع بقاء مصر ولاية تابعة للدولة العثمانية. ووصف محمد علي نفسه بأنه "مؤسس مصر الحديثة" لما حققه لمصر من نهوض عسكري وتعليمي وصناعي وزراعي وتجاري

---

* أستاذ ضيف بقسم الدراسات العربية، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد، الهند

.

واجتماعي. و قد أنشأ محمد على مدرسة قابلات "مولودات" بهدف توفير سيدات متعلمات يقمن على توليد سيدات الطبقات العليا من المجتمع لتجنب تعرضهم للولادة على يد القابلات الغير متعلمات أو انكشاف أجسادهن على ذكور.

وكان لمحمد علي باشا زوجات، ومستولدات (جواري ينجب منهن أطفال فقط) وظل نظام الجواري معمول به في قصور أبناء محمد علي إلى منتصف عهد الخديوي إسماعيل. واستمرت تجارة الجواري مزدهرة في وكالات بيع الرقيق مثل "وكالة الجلابة" حتى عام 1841م، عندما تقدم العديد من الأجانب بشكاوى إلى محمد علي، معترضين على حالة الجوارى والعبيد المعروضين للبيع في تلك الوكالة السيئة السمعة، فأمر محمد علي بنقل بيع الجوارى والعبيد من وكالة الجلابة إلى منطقة تقع على أطراف القاهرة، حتى لا يرى الأجانب أسواق بيع وشراء العبيد في أزقة مصر وشوارعها [1].

المرأة تحت مظلة الخديوية المصرية

استمر نظام امتلاك الجواري ساريًا تحت حكم محمد علي وأبنائه، حتى مجيء الخديوي إسماعيل خامس حكام مصر من الأسرة العلوية عام 1863 م. والذي اضطر إلى إلغاء نظام الرق من مصر وقضى على تجار العبيد في جنوب السودان تماشيًا مع رغبته في بناء دولة عصرية تشبه دول أوروبا. فتم تحرير جميع الجواري بالقصر الخديوي، واتخذ ملوك مصر من بعده زوجات لا محظيات ولا جواري.

وقد واجهت هذه القوانين معارضة شديدة وتعنتًا من رجال الدين والمال والأثرياء وملاك الرقيق أنفسهم في مصر، وكانوا "ينظرون إلى محاولات إبطال الرق على أنها تحديًا وتعديًا على الشريعة الإسلامية والعرف السائد!" وقد اعتقد هؤلاء أنه لا يوجد أي مبرر يدعوهم إلى التخلي عن ممتلكاتهم بهذه السهولة.

وأثناء الثورة العرابية ضد الخديوي توفيق دعا عبد الله النديم الأديب والشاعر المصري إلى إلغاء البغاء العلني، وعبر عن تعاسة الخادمات اللائي كن من الجواري وحصلن على

[1] : باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عزالدين للنشر ، بيروت، ص: 50

حريتهن، حيث أصبح استخدامهن في البيوت مجرد غرض ظاهري أما الغرض الحقيقي فهو البغاء والمنفعة الجنسية.

وفي عهد الخديوي إسماعيل أيضًا صدر كتاب رفاعة الطهطاوي "المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين" الذى نادي فيه بتعليم البنات مثل البنين وأعقب ذلك إنشاء أول مدرسة لتعليم البنات في 1872 وهي (مدرسة السيوفية) التي افتتحتها "جشم آفت" ثالث زوجاته. لتصبح ملك حفني ناصف عام 1900 أول طفلة مصرية تحصل على الشهادة الابتدائية من المدرسة السيوفية بعد تغير اسمها إلى (المدرسة السنية). كما حصلت ملك حفني على شهادة في التعليم العالي لاحقًا. ونشرت كتابها بعنوان (النسائيات) والذي دار حول تربية البنات وتوجيه النساء ومشاكل الأسرة.

المرأة خلال الاحتلال البريطاني

بدأ الاحتلال الإنجليزي لمصر عام 1882، وانتهت الولاية العثمانية على مصر عام 1914 وسقطت الدولة العثمانية بأكملها تمامًا وانتهت الخلافة الإسلامية عام 1924، وخضعت مصر للحماية البريطانية وتحولت مصر من الخديوية إلى السلطانية، ومن ثم إلى الملكية. وعانت مصر آثار هزيمتها السياسية على يد الاحتلال البريطاني، إلا أنها أيضاً كانت تعيش مخاض نهضة معنوية وحركات تجديد دينية وسياسية وثقافية.

وتلقت بعض الفتيات من الطبقات الاجتماعية المثقفة والغنية بعض التعليم داخل منازل أهلهن. فتتابع ظهور الكاتبات المصريات ومنهن عائشة التيمورية التي كتبت مجموعة قصصية بعنوان "نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال" عام 1887.

وفي عام 1899 صدر كتاب "تحرير المرأة" عن كاتبه الشهير قاسم أمين. وذلك بعد 5 سنوات من صدور كتابه "المصريون" الذي هاجم فيه المدنية الغربية وأيد حَجْب المرأة ومنع الاختلاط، ليظهر التغير الواضح في أفكاره في كتبه التالية الذي أثارت ضجةً كبيرةً وقت ظهورها بين أوساط المثقفين وعَامّة الناس؛ نظرًا لتناوله موضوع المرأة بصورة غير مألوفة، حيث

حاول قاسم أمين أن يلفت النظر إلى الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تعيشها المرأة المصرية آنذاك، إذ كانت تعاني قهراً اجتماعيًا نابعًا من العادات والتقاليد الموروثة. وكان يرى "أن تربية العقل والأخلاق تصون المرأة ولا يصونها الجهل". وقد تحدث فيه عن الحجاب السائد في ذلك الوقت والذي تضمن تغطية وجه المرأة وحبسها في البيوت، حيث صاغ أمين الأدلة الشرعية على كونه ليس من الإسلام، وقال إن الدعوة إلى التحرر ليس خروجاً عن الدين، كما تحدث عن تعدد الزوجات والطلاق، وقال أن العزلة بين المرأة والرجل لم تكن من أسس الشريعة، وأن لتعدُّد الزوجات والطلاق حدودًا يجب أن يتقيد بها الرجل، ثم دعا المرأة لأن لتخرج للمجتمع وتتعلم وتعمل وتُلِم بشئون الحياة. وقد أدى هذا الكتاب إلى زلزال حقيقي في الحياة الاجتماعية المصرية وألهم الكثير من الكاتبات النسويات المصريات.[2]

وقد برز اسم نبوية موسى كأول فتاة مصرية تحصل على شهادة البكالوريا وذلك عام 1907 م، وكانت أيضًا أول ناظرة مصرية لمدرسة ابتدائية عام 1909 م . وإحدى رائدات العمل الوطني وتحرير المرأة والحركات النسائية المصرية القرن الماضي. فلم تقبل أن تأخذ المرأة نصف راتب الرجل، فقررت دخول معركة البكالوريا -الشهادة الجامعية- لتتساوى مع خريجي كلية المعلمين العليا، فأنشأت الحكومة لجنة خاصة لامتحانها ونجحت في النهاية رغم كل الصعوبات. كما ألفت نبوية كتابًا مدرسيًا بعنوان "ثمرة الحياة في تعليم الفتاة" وكتابًا آخر بعنوان "المرأة والعمل"، وساهمت في تعليم الكثير من الفتيات في الفيوم والمنصورة وطالبت بتوحيد مناهج التعليم لكل من البنين والبنات، لأن المرأة كالرجل عقلًا وذكاءً، فما يصح في تنمية عقله يصح أن ينمي عقل المرأة، واستحقت عن جدارة لقب رائدة تعليم الفتيات المصريات.

وظهرت جميلة حافظ كأول امرأة مصرية تؤسس مجلة نسائية، فأصدرت مجلة "الريحانة" عام 1907 م.

ورغم كل ما سبق من محاولات تحرير المرأة ومنع بيع الجواري داخل مصر, فإن بدايات القرن العشرين شهدت تجارة رقيق من نوع خاص من الانحلال الأخلاقي، ممثلة في قيام بعض النخاسين بخطف الفتيات القاصرات الأوربيات وبيعهن في مصر إلى القوادين والعاملين في مجال

[2] : المحامي عبد الله حسين، المرأة الحديثة وكثف نسوسها، ص: 115

العهر والدعارة وغيرها، ويُذكر أنه تم القبض على 74 تاجرًا و843 فتاة قاصرة من الأوربيات والتركيات في عام 1913م.

المرأة أثناء الثورات الثلاثة المصرية

1– ثورة 1919

عندما قامت ثورة 1919 والتي أدت إلى استقلال مصر عن بريطانيا عام 1922 وبداية عصر المملكة المصرية، عبّرت المرأة عن موقفها الوطني وقامت أول مظاهرة نسائية ضد الاحتلال البريطاني في 16 مارس 1919. وقد تظاهرت في هذا اليوم أكثر من 300 سيدة بقيادة السيدة هدى شعراوي منددات بالاحتلال البريطاني والاستعمار. فاختير هذا اليوم يومًا رسميًا للاحتفاء بالمرأة المصرية. ومن بين من شاركن كانت هيلانة سيداروس صاحبة 25 عامًا وذلك قبل أن يتم إرسالها إلى لندن لتستكمل دراستها وتصبح أول طبيبة في مصر والعالم العربي. إستر فانوس المناضلة المسيحية التي كتبت بنفسها رسالة إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية مندة بنفي سعد زغلول وزملائه. كما شاركت في المظاهرة عدد زوجات السياسيين المصريين، منهن صفية زغلول زوجة سعد باشا زغلول. وسقطت مجموعة من الشهيدات المصريات برصاص الاحتلال البريطاني هن : شفيقة محمد ذات الثمانية عشر عامًا ونعيمة عبد الحميد، وحميدة خليل، وفاطمة محمود، ونعمات محمد، وحميدة سليمان، ويمنى صبيح.

وفي 1920 تحول العمل السياسي للمرأة إلى طابع مؤسسي وأعلن عن تأليف (لجنة الوفد المركزية للسيدات) للمطالبة باستقلال مصر استقلالاً تامًا وشهد عام 1923 إنشاء الاتحاد النسائي المصري على يد هدى شعراوي، بهدف رفع مستوى المرأة الأدبي والاجتماعي للوصول به إلى حد يجعلها أهلاً للاشتراك مع الرجال في جميع الحقوق والواجبات، وقد طالبت بفتح أبواب التعليم العالي للفتيات وبإشراك النساء مع الرجال في حق الانتخاب، وبسن قانون يمنع تعدد الزوجات إلا للضرورة، وأيضاً طالبت بإلغاء قانون بيت الطاعة.

ولم تكن ثورة 1919 مقدمة لخلع الحجاب الاجتماعي المفروض على المرأة والذي يلزمها منزلها دون أية فرصة في المشاركة في الحياة العامة ومصير وطنها فقط، وإنما كانت مقدمة أيضًا لتغيير شكل الحجاب كزي سائد لنساء مصر في ذلك الوقت والذي كان يقصد به تغطية الوجه بما يسمى البرقع. ففي العام 1921 وفي أثناء استقبال المصريين لسعد زغلول بعد رجوعه من المنفى، قامت هدى شعراوي بخلع غطاء وجهها علانية أمام الناس مع زميلتها سيزا نبراوي. وتسبب كفاح هدى شعراوي الجاد في جعل الآباء يقتنعون تدريجياً برفع الحجاب عن وجه المرأة المصرية. ولم يكن ذلك الموقف النضالي الوحيد لسيزا نبراوي، فقد تولت رئاسة الاتحاد النسائي المصري من بعد هدى شعراوي، وتحققت بفضل نضالها عدة مطالب منها رفع سن الزواج للفتيات ليصبح 16 عاماً.

ولم يتوقف نضال هدى شعراوي عند هذا الحد، فقد ناضلت السيدة هدي شعراوي من أجل إتاحة فرص التعليم العالي والجامعي للفتيات، فأنشأت أول مدرسة ثانوية للبنات في مصر، بعد المدرسة السنية التي كانت تقتصر على تخريج المعلمات. كما أصدرت مجلة "المصرية" سنة 1925 باللغتين الفرنسية والعربية للتعريف بأحوال المرأة المصرية وتطورها. وفي عام 1930 م ساعدت طلعت حرب في جمع رأس المال وتبرعت بمبلغ كبير لإنشاء بنك مصر، أول بنك مصري وطني.

ولما صدر دستور 1923 دون أن يعطي المرأة حقوقها السياسية، تصاعدت الدعوة للمطالبة بحصول المرأة على هذه الحقوق، فقد علا صوت منيرة ثابت والتي كانت أول فتاة مصرية تحصل على شهادة ليسانس الحقوق وذلك عام 1924، وقُيدت أيامها في جدول المحامين أمام المحاكم المختلطة كأول محامية عربية. فكانت مقالاتها السياسية المندِدة بخلو الدستور من مواد تضمن حقوق المرأة السياسية، أول صحفية نقابية وأول كاتبة سياسية وأول رئيسة تحرير لجريدة سياسية.

إلى أن تم تأسيس أول حزب سياسي للمرأة تحت اسم الحزب "النسائي المصري" عام 1942. وطالب الاتحاد النسائي المصري في عام 1947 بضرورة تعديل قانون الانتخاب بإشراك النساء مع الرجال في حق التصويت وضرورة أن يكون للمرأة جميع الحقوق السياسية وعضوية المجالس المحلية والنيابية. كما تأسس "اتحاد بنات النيل" في القاهرة برئاسة درية شفيق عام 1949. والتي قادت عام 1951 مظاهرة برفقة 1500 امرأة اقتحمت بها مقر مجلس النواب المصري (البرلمان)، بهدف دفع المجلس ورئيسه إلى النظر بجدية في قضايا ومطالب المرأة المصرية، فواجهت درية شفيق تهمة اقتحام المجلس وأقفلت القضية. ولم تتحقق مطالب نساء مصر بحقوقهن السياسية إلا في أعقاب ثورة 23 يوليو[3].

وخلال هذه الفترة كانت قد ظهرت بعض بوادر لمشاركة المرأة في المجال الفني، فوُلِدت السينما المصرية على يد عزيزة أمير الكاتبة والمنتجة والممثلة المصرية التى أنتجت أول فيلم روائي صامت عام 1927. وكانت الفنانة بهيجة حافظ أول بطلة للشاشة في تاريخ السينما العربية عام 1930، وظهرت في فيلم زينب، كما أنها صاحبة أول اسطوانة موسيقية ظهرت في السوق عام 1926 باسم بهيجة. ولمع اسم روز اليوسف كإحدى بطلات الفرق المسرحية الشهيرة، والتي تركت المسرح وتوجهت للصحافة لتُصدر مجلتها النسائية الشهيرة حاملة اسمها عام 1925 م، جاعلة منها منبراً لصوت الجيل النسائى الذى كانت هي إحدى رائداته. وعُرفت أيضاً الرسامة إنجى أفلاطون صاحبة كتابي "80 مليون امرأة معنا" و "نحن النساء المصريات"، والتي دخلت السجن أكثر من مرة لمواقفها السياسية.

وعلى الجانب الآخر وكرد فعل لسقوط الخلافة الإسلامية عام 1924 بقيام الجمهورية التركية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، نشأت في مصر جماعة الإخوان المسلمون بهدف إعادة الحكم الإسلامي لمصر والأمة الإسلامية. وأسس حسن البنا قسم "الأخوات المسلمات" وكانت أول

[3] : عفاف عبد المعطى، المرأة والسلطة في مصر، ص: 167

رئيسة لهذا القسم هي لبيبة أحمد. وأنشأ أيضا معهد أمهات المؤمنين في مدينة الإسماعيلية. ومع ذلك فقد رأى البنا أن المجال العام والسياسي ليس مكان المرأة المناسب وأنه ينتقص من أنوثتها، وأنه لا داعي لأن تتعلم المرأة العلوم واللغات والفنون ولا لأن تدرس الحقوق والقانون فمصيرها في النهاية هو للمنزل. كما كان يرى أيضاً أنه ليس من حق المرأة الترشح في الانتخابات وأن ترشحها هذا ثورة على الإسلام. وسخر البنا بشدة من عميد كلية التجارة عندما قَبِلَ بالتحاق 4 فتيات مصريات بالكلية ووجّه له نقداً يحمل تلميحات جنسية بذيئة. وحتى اليوم فإن جماعة الإخوان المسلمون في مصر لازالت متمسكة بعدم أهلية المرأة لرئاسة الدولة ولكن لها ما دون ذلك من المناصب بما فيها رئاسة الوزراء[4].

2- ثورة يوليو 1952

ثورة 23 يوليو هي ثورة قادها مجموعة من ضباط الجيش المصري ضد الحكم الملكي في مصر لتتحول من بعدها مصر إلى جمهورية، ويُجدد الدستور المصري.

لتعود درية شفيق لنضالها من أجل حقوق المرأة السياسية، وقادت حملة احتجاج مؤثرة ضد عدم وجود تمثيل للمرأة في اللجنة التي تولّت إعداد دستور 1954، ولم تهدأ إلا بعد أن وعدها الرئيس محمد نجيب بتحقيق مطلب منح المرأة حق التصويت والترشيح في الانتخابات في الدستور الجديد، وذلك بعد أن أضربت ورفيقاتها عن الطعام لمدة عشرة أيام. وبفضلها مَنَح دستور 1956 المرأة المصرية لأول مرة حقوقها السياسية الكاملة. فقد كان حرمانها من حقوقها السياسية يتنافى مع قواعد الديمقراطية التي تجعل الحكم للشعب كله وليس لجزء منه فقط.

فكانت راوية عطية أول نائبة تدخل البرلمان المصري عن دائرة القاهرة عام 1957. فكان لراوية عطية عند دخولها البرلمان المصري مطالب عدة ناقشتها خلال الجلسات. فطلبت من وزير الشئون الاجتماعية تنفيذ المشروع الخاص بإنشاء مكاتب للتوجيه الأسري والاستشارات الزوجية، وذلك لحل مشكلات الأسرة الاقتصادية والاجتماعية والنفسية. بالإضافة إلى ذلك كانت راوية

[4] : منصور فهمي، محاضرات عن مي زيادة، ص: 78

عطية أول امرأة تعمل كضابطة في الجيش المصري، وذلك بعدما حصل العدوان الثلاثي على مصر. فقامت بتدريب 4000 امرأة على الإسعافات الأولية والتمريض لجرحى الحرب ووصلت لرتبة نقيب.

وتلا ذلك تعيين أول وزيرة للشئون الاجتماعية في مصر وهي حكمت أبو زيد عام 1962.

وقد مُثلت المرأة المصرية في كافة المجالس النيابية التي أعقبت مجلس الأمة عام 1957، وتفاوتت نسبة تمثيلها صعوداً وهبوطاً، وإن كانت بشكل عام تمثل نسبة ضئيلة لا تتناسب سواء مع حجم النساء في مصر بوصفهن نصف القوة البشرية، ولا مع الامتداد التاريخي لمشاركة المرأة المصرية في العمل العام.

3– ثورة 2011

قامت ثورة يناير 2011 ضمن حركات الربيع العربي ضد الأنظمة المستبدة في الدول العربية، وانطلقت أول مظاهرات منددة بانتهاكات وزارة الداخلية وتعذيب المواطنين داخل أقسام الشرطة وفساد حكم الرئيس محمد حسني مبارك وحاشيته يوم 25 يناير. وأدهشت المرأة المصرية العالم بدورها في ثورة يناير وما تلاها من فعاليات سياسية، وضحّت الكثيرات منهن بحياتهن وأبنائهن من أجل تحقيق تطلعات المصريين في الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية.

وشاركت الفتيات في الوقفات الاحتجاجية التي مهدت لهذه الثورة ولعبن دورا أساسيًا على مواقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك، وتويتر" المحفز الثورة ومحركها الأساسي. ورغم كفاح المصريات وسقوط عدد منهن قتيلات برصاص قوات الأمن أثناء الثورة التي دامت 18 يومًا وكانت في مقدمة صفوف الثوار ومن بعدها صفوف المحتفلين بانتصار الثورة وعزل النظام الحاكم، إلا أنه سرعان ما عاد التهميش الواضح للمرأة ومطالبها. فتعرضت المسيرة النسائية التي خرجت في مارس 2011 بمناسبة اليوم العالمي للمرأة لاعتداءات لفظية وتحرشات جسدية عنيفة، وكانت المسيرة قد رُفعت فيها مطالب المساواة بين المرأة والرجل، ومشاركة المرأة في

صياغة الدستور، بالإضافة إلى المطالبة بوضع عقوبات رادعة للحد من أشكال العنف ضد المرأة. فاستنكرت القوى السياسية المطالب واعتبرها مطالب فئوية ليس هذا الوقت الأمثل للمطالبة به.

وفي يومي 8–9 مارس 2011 نزل عدد من النساء والرجال إلى ميدان التحرير بمناسبة اليوم العالمي للمرأة للمطالبة بالاهتمام بحقوق المرأة ضمن عملية تعديل الدستور المصري. فقامت قوات الجيش بفض التظاهرات بالقوة وتم القبض على عدد من المعتصمين من بينهم 18 فتاة تم ترحيلهم إلى السجن الحربي حيث تعرضن لاعتداءات مختلفة منها إجبار 7 منهم على الأقل على إجراء فحوص عذرية وفقا لشهادتهم التي أدلوا بها لعدد من منظمات حقوق الإنسان من بينها منظمة العفو الدولية. وقد نفى عدد من القيادات العسكرية وقوع مثل هذه الكشوف إلا أن منظمة العفو الدولية أشارت في أحد تقاريرها إلى أن اللواء عبد الفتاح السيسي (مدير المخابرات العسكرية حينها) أقر لمندوب المنظمة بتوقيع هذه الكشوف باعتبارها إجراءً روتينيًا وذلك لحماية قوات الجيش من احتمالية الادعاء عليهم بتهمة الاغتصاب.

وقد قامت إحدى الفتيات وهي (سميرة إبراهيم) الناشطة في مجموعة لا للمحاكمات العسكرية برفع دعوى أمام القضاء الإداري لوقف إجراء مثل هذه الفحوص مستقبلاً، وقد تم الحكم في القضية بمنع إجراء كشوف العذرية على الفتيات مستقبلاً في أماكن الاحتجاز الخاضعة للقوات المسلحة.

وفي نوفمبر 2011 خلال أحداث محمد محمود تعرضت مجموعة من الناشطات للضرب والسحل على أيدي قوات الأمن، من بينهن الناشطة والصحفية منى الطحاوي التى تعرضت للسحل والتحرش الجنسي وهو ما أدى إلى كسور في ذراعيها، وتم احتجازها داخل وزارة الداخلية 12 ساعة دون تقديم الرعاية الطبية لها ثم تم تسليمها للمخابرات العسكرية.

وفى ديسمبر 2012 وقعت جريمة " ست البنات" التي تم فيها سحل إحدى المتظاهرات والاعتداء عليها وتعريتها من قِبل قوات الجيش المصري والتي تداولت صورتها عبر جميع الوسائط الإعلامية. وعلى إثر هذه الاعتداءات خرجت مسيرة ضخمة من النساء لرفض انتهاكات المجلس العسكري الحاكم للبلاد في ذلك الوقت، والمطالبة بإجراء تحقيق فيما حدث.

واستمر التحرش الجنسي المنهجي بالنساء والفتيات في الأماكن العامة دون أية محاولات جادة من الحكومة للتدخل ووقف هذه الممارسات أو ردع مرتكبيها. ولم تتم إحالة أية قضية تحرش بالمتظاهرات إلى المحكمة في عام 2012 وذلك طبقاً لتقرير منظمة هيومن رايتس ووتش.

وفي نفس العام جاءت مصر في المرتبة 130 من بين 134 دولة من حيث الفرص والمشاركة الاقتصادية للمرأة، ووصلت نسبة البطالة بين النساء أربعة أضعاف الرجال. وشهد عام 2012 وحده أكثر من 50 مسيرة ووقفة احتجاجية نسوية

جاء محمد مرسي بعد ثورة 25 يناير كأول رئيس مدني منتخب لمصر. وتم إعلان فوزه في 24 يونيو 2012 بنسبة 51.73 ٪ من أصوات الناخبين المشاركين وتولى منصب رئيس الجمهورية رسميا في 30 يونيو 2012 بعد أداء اليمين الجمهوري. وفي البداية فقد ضَعُفَ تمثيل المرأة في الفريق الرئاسي، والذي اقتصر على ثلاث سيدات فقط، وهن باكينام الشرقاوي، والكاتبة الصحافية سكينة فؤاد وأميمة كامل السلاموني القيادية بحزب الحرية والعدالة قبل أن تستقيل سكينة فؤاد، ويتقلص العدد لاثنتين فقط، وأتبع ذلك قصر التمثيل الوزاري للمرأة منذ تسلم مرسي للحكم على وزيرتين فقط ، وغيابها كلياً عن شغل منصب محافظ، وإقصاءها من عضوية المحكمة الدستورية العليا بعد استبعاد المستشارة تهاني الجبالي و التي كانت أول امرأة مصرية تتولى مهنة القضاء في الحقبة المعاصرة، وما زالت المرأة المصرية التي احتلت المنصب القضائي الأعلى في تاريخ مصر[5].

رئاسة عبد الفتاح السيسي

خرجت مظاهرات المندد بحكم محمد مرسي في 30 يونيو 2013 وقد شاركت المرأة المصرية فيها بأعداد ضخمة، فخرج عبد الفتاح السيسي ببيان عزل مرسي يوم 3 يوليو 2013،

[5] : د- هالة كمال، لمحات من مطالب الحركة النسوية المصرية عبر تاريخه، ص: 25/24

وقد كان السيسي وزير الدفاع في ذلك الوقت. ثم قام بتقديم استقالته والترشح لمنصب الرئيس عام 2014 ليفوز بنسبة 96.9٪ من الأصوات الصحيحة.

وقد وقعت في ميدان التحرير وقت الاحتفال بعزل مرسي وتولي السيسي مقاليد الأمور جرائم تحرش جنسي بسيدات يصل عددها إلى 623 واقعة. تعد أشهرها هي واقعة الاغتصاب الذي أدى إلى تمزق الرحم والشروع في القتل الذي تعرضت له سيدة تبلغ من العمر 41 عاماً أثناء الاحتفالات في ميدان التحرير. بالإضافة إلى 524 واقعة أخرى قامت بها قوات الأمن أثناء التظاهرات السياسية المناهضة للانقلاب أو أثناء الاعتقال والاحتجاز. كما وقعت 317 حالة كشف حمل قسراً على الفتيات والنساء المعتقلات في مصر أثناء ترحيلهن إلى السجون ومقرات الاحتجاز، وتعد الحقوقية سناء سيف إحدى أشهر المعتقلات الاتي تعرضن لهذا الإجراء. كما وقعت 30 جريمة اغتصاب ضد نساء المعارضة منذ 30 يونيو 2013 حتى نوفمبر 2014.

وقد تجمعت أعداد تصل إلى الملايين من مناصري الرئيس المعزول محمد مرسي في ميداني رابعة العدوية والنهضة للتنديد بالانقلاب والمطالبة بالإفراج عن مرسي، وشاركت النساء المنتميات لجماعة الإخوان المسلمين وغيرهن في المظاهرات والاعتصام. ووقع عدد من النساء ضحايا عملية فض الاعتصام بالقوة العسكرية. وكانت أسماء البلتاجي واحدة من أشهر الضحايا وهي ابنة القيادي الإخواني وعضو البرلمان محمد البلتاجي والبالغة من العمر 17 سنة والتي لقيت حتفها إثر إصابتها برصاص في الصدر.

وتم رصد 82 حالة اعتقال لنساء المعارضة، وأحيلت 25 امرأة مصرية للمحاكمة أمام المحاكم العسكرية، منهن 2 حضورياً. ويعتبر أول حكم عسكري حضوري على فتاة منذ 30 يونيو هو الحكم بالسجن عامين وغرامة 50 ألف جنيه على الطالبة إسراء ماهر المعتقلة من داخل جامعة المنصورة. وقد حُكِمَ على 5 سيدات بالمؤبد، أبرزهن الأختين هند ورشا المعتقلين على خلفية

أحداث رمسيس الأولى وصدر الحكم ضدهما حضوريًا. ويذكر أن زوج رشا قد مات في طابور الزيارة. وتعرضت 3 مصريات للاختفاء القسري.

خلاصة القول: كما ينقل لطيفة محمد سالم "أن نساء الطبقة العليا هي التي قادت قاطرة الارتقاء بالمرأة متمثلة الأوربية، تبعها في ذلك نساء الطبقة المتوسطة التي حاولت تقليد نساء الطبقة العليا في حدود إمكانياتها– بينما بقيت نساء الطبقة الفقيرة تئن تحت وطأة الفقر.

فهناك عديد من الأدباء الذين لعبوا دورا هاما في تطوير هذه الحركة على مر العصور منهم: قاسم أمين، نجيب محفوظ، خليل مطران و" ظهرت الكاتبة هدى شعراوي كزعيمة للحركة النسائية في مصر" وصفية زغلول، درية شفيق، واستر فهمي، سهير القلماوي، نوال السعداوي، وعائشة عبد الرحمن وغيرهن. وبفضل مجهودات هذه الشخصيات البارزة حصلت المرأة على حق التصويت والعمل في مصر في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

المراجع والمصادر

1. باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للنشر، بيروت
2. عفاف عبد المعطى، المرأة والسلطة في مصر، مؤسسة دار الهلال، مصر
3. المحامي عبد الله حسين، المرأة الحديثة وكثف نسوسها، الطبعة الثانية، العصرية، القاهرة، مصر
4. منصور فهمي، محاضرات عن مي زيادة، الطبعة الأولى، مطبعة القاهرة، القاهرة، مصر
5. د- ها لة ك مال، لمحات من مطا لب الحر كة الن سوية الم صرية عبر تار يخه، مؤسـ سة ا لمرأة وا لذاكرة السلسلة: أوراق الذاكرة

.... ❖❖❖❖❖ ....

إضاءات حول مخطوط من الغرب الإفريقي: المنة في اعتقاد اهل السنة للشيخ سيدي المختار الكنتي

حامد عبد العزيز *

الملخص:

إن هذا البحث يهدف إلى التعريف بسفر هام من تراثنا الإسلامي بالغرب الإسلامي، وهو مصنف هام ونادر والتعريف أيضا بمصنفه من العلماء الأفذاذ الذي جمع الله لهم التدريس وكثرة التصنيف.

كلمات مفتاحية: الشيخ سيدي المختار الكنتي، الإرشاد في الهداية إلى سداد الاعتقاد، المنة في اعتقاد أهل السنة، الأولياء، الكرامات، العقيدة.

المقدمة:

إن المتتبع لمصنفات علماء الصحراء الكبرى في مختلف الفنون يصاب بالدهشة من كثرة التأليف وجودته وشموله لأغلب مجالات الشريعة الإسلامية، وسنتناول في هذه الورقة البحثية عنوان من هذا المخطوطات النادرة التي تزخر بها الخزانات العلمية في الحواضر العلمية في الصحراء الكبرى وهو: المنة في اعتقاد أهل السنة، أو الإرشاد في الهداية إلى سداد الاعتقاد.

وعملنا في هذه الجهد المتواضع سيكون في استطلاع فصول الكتاب وأبرز الأفكار التي فيه، وقبل أن نبدأ سنتناول تعريف مقتضبا بمؤلف هذا السفر العجيب.

التعريف بمؤلف الكتاب: هو الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن حبيب الله بن الوافي بن سيد أعمر الشيخ بن أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي، ينتهي نسبه إلى عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقية.

عاش ما بين (1143هـ - 1730م إلى 1811م - 1226هـ) ولد بكثيب أوغال بأزواد، ماتت أمه عند الخامسة وأبيه عند العاشرة فكفله اخوه محمد (أبو حامية)، ثم أخذ في رحلة شاقة في طلب العلم إلى أن استوى على سوقه عالما متفردا في عصره، وكان أهم من أخذ عنه : آمه

---

* مهتم بالتراث وباحث بسلك الدكتوراة بجامعة محمد الخامس، المغرب.

الكلحرمي والشيخ علي النجيب، ثم أسس الزاوية التي تخرج منها العلماء من شتى أقاليم الصحراء الكبرى، وقد ألف أكثر من 300 مؤلفا في مختلف الفنون.

أقوال العلماء عنه:

يوسف بن إسماعيل النبهاني: "من أشهر أولياء المغرب وأعظمهم قدرا وأجلهم معرفة"(1).

محمد بن محمد بن مخلوف: "كان من أعلام العلماء والأئمة الفضلاء وأحد الأساتذة المشهورين والجهابذة المعروفين"(2).

د. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: "لقد نجح الشيخ سيدي المختار الكنتي بسبب تمتعه بصفات حميدة وثقافة عالية في أن يصبح قطبا للطريقة القادرية وصارت له مكانة روحية كبيرة بين قبائل الصحراء، وقد ألف الشيخ سيدي المختار الكنتي أكثر من ثلاثمائة رسالة عن الإسلام ودوره في العالم وصارت تعاليمه التي حملها تلاميذه من أبرز العلامات التي ساعدت على انتشار الإسلام بين الشعوب الزنجية في السودان الغربي والأوسط"(3).

رفاعة الطهطاوي: "وممن قال من علماء المغرب بأن الأرض مستديرة وأنها سائرة العلامة الشيخ مختار الكنتاوي (الكنتي) بأرض أزوات (أزواد) بقرب من بلاد تنمبكتو وهو مؤلف مختصر في فقه مالك ضاهى به متن خليل وضاهى أيضا ألفية ابن مالك في النحو. وله غير ذلك من المصنفات في العلوم الظاهرية والباطنية. وقد ألف كتابا وسماه: (النزهة) جمع فيه جملة علوم، فذكر بالمناسبة علم الهيئة فتكلم على كروية الأرض وعلى سيرها، وضح ذلك فتلخص من كلامه ان الأرض كرة ولا يغر اعتقاد تحركها أو سكونها"(4).

العلامة البرتلي: "القطب الرباني والغوث الصمداني الولي الصالح ذو البركات الشهيرات ... من ظهرت بركاته شرقا وغربا ومناقبه في الناس عربا وعجما ... الشيخ سيدي المختار القطب الرباني، والغوث الصمداني، الولي الصالح ذو البركات الشهيرات وشيخ الأشياخ السادات، من ظهرت بركاته شرقًا وغربًا. ومناقبه في الناس عجمًا وعربًا، ساقي المريد، وعمدة أهل التوحيد، شيخ المحققين، ومربي المساكين، أبو المواهب السنية، صاحب الأخلاق المرضية، ذو الكرامات الظاهرة، السيد الأسني، والذخيرة الحسنى، الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي ثم الوافي" (5).

ترجم له ابنه العلامة الشيخ سيدي محمد الخليفة ترجمة وافية في كتابه: "الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد" (6).

توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه :

وترجم له العلامة أحمد أبي الأعرف التكني (7) في كتابه: إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط" قال : "وله كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة، في مجلد"(8). وله اختصار بعنوان : "طريق الجنة في فوائد من كتاب المنة" للعلامة أحمد أبي الأعراف التكني"(9).

النسخ الخطية الموجود في مكتبات العالم (10):

1 - نسخة معهد الدّراسات العليا والبحوث الإسلاميّة الإمام أحمد بابا بتمبكتو – العنوان : رقم النسخة: 170 - اسم النّاسخ : الخليف بن محمد بن البخار - المنسوخ له : سيدي محمد بن طالب الغدامسي - تاريخ النّسخ : 1840 مـ 1265 هـ - لون الحبر : أكحل/أحمر - الجزء : 1 - عدد الأوراق :251 - عدد الصّفحات: 506 - عدد السّطرة : 29 - مقياس الغلاف : 21×16.5 سم - مقياس الورقة: 21×16.2 سم - مقياس النّص : 17.1×15 سم - بداية المخطوطة: بعد الصلاة والبسملة هذا وإنه عن لي أن أجيبك أيها الأخ الكريم إلى ما طلبته مني بفضل الفتاح العليم الهادي بمنه إلى الصراط المستقيم فيما نصه قولك قد ظهر احتياجنا إلى مختصر جامع القدر... – نهاية المخطوطة: وكان الفراغ منه يوم الجمعة السادس من ربيع النبوي عام خمس وستين بعد المائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبه أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين.

وهذه النسخة هي التي اعتمدناها في هذا التعريف.

2- مالي (تمبكتو) - مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية - رقم الحفظ: 170 - الأوراق:251 - الصّفحات:506 -السطور: 29.

3- المغرب – الخزانة العامة بالرباط – رقم الحفظ: 02573 – - عدد الأوراق: 275 – حالة النسخة: واضحة وجيدة – حالة النص: غير تامة.

4- المغرب (سلا) الخزانة العلمية الصبيحية – رقم: 57 - الأوراق: 144 (288صفحة) - السطور: مختلفة - حالة المخطوط: مبتور الأول والهوامش كثيرة جدا.

5- موريتانيا - مكتبة أهل عبد الرحمن ولد يحي - رقم الحفظ: 0005/0005 - الورقات: 200 - الأسطر: 18 - حالة النص: ناقص - البداية: الحمد لله جاعل قلوب العلماء مفاتيح لحل المشكلات النهاية: ثم قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أقر عيني بنصر المسلمين وذل الكافرين.

6- موريتانيا - مكتبة أهل الشيخ المصطفى بن الشيخ القاضي - رقم الحفظ : 0022/1127 - الورقات: 230 - الأسطر: 18 - حالة النص: النص تام - الناسخ : محمد عبد الجليل الملقب الغزالي ت.ن: 1406 هـ.

7- موريتانيا - مكتبة أحمد بن الكصري - رقم الحفظ: 0136/0136 - الورقات: 104 - الأسطر: 30 - حالة النص: النص تام - البداية: وهذا الكتاب أيدك الله - النهاية: فأغضبه ذلك.

8- موريتانيا - هارون بن باب بن الشيخ سيديا (أهل الشيخ سيديا) - رقم الحفظ: 0571/0571 - الورقات: 135 - الأسطر: مختلفة - حالة النص: النص تام - الناسخ: تلامذة الشيخ سيديا - البداية: الحمد لله جاعل قلوب العلماء النهاية: لو لا أن هدانا الله.

9- موريتانيا - هارون بن باب بن الشيخ سيديا (أهل الشيخ سيديا) - رقم الحفظ: 2234/2234 - العنوان: نقلة من كتاب المنة وموضوعها: الاستشفاء بكتاب الله - الورقات: 4

- الأسطر: 16 - حالة النص: النص تام - الناسخ: محمد بن سيد الفال - البداية: ومما يقرأ على الحمى اللهم أرحم جلدي - النهاية: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

10- موريتانيا - مكتبة أهل الشيخ الحسن - رقم الحفظ: 0040/0040 - الورقات: 207 - الأسطر: 30 - حالة النص: النص ناقص.

11- موريتانيا - هارون بن باب بن الشيخ سيديا (أهل الشيخ سيديا)-رقم الحفظ: 0554/0554 - العنوان: نقلة من كتاب المنة - الورقات: 9 - الأسطر: 30 - حالة النص: النص تام - الناسخ: سيد المختار بن سيديا - البداية: فصل جامع الأذكار - النهاية: تعود به على من لا جاه له.

12- السعودية (الرياض) مكتبة الملك فهد الوطنية - رقم الحفظ: 392 / أبو سليمان-الناسخ: محمد بن سيدات بن أحمد بن سيد الأمين السراوي الولاتي. - تاريخ النسخ: الجمعة 3 ذو القعدة 1278 هـ - الأوراق: 217 - الأسطر: 20-22 - الوصف: الموجود من هذه النسخة الجزء الأول، - كتبها الناسخ لأجل مفيض بن أحمد الغدامسي - بداية المخطوط: الحمد لله فاطر البريات، ومحي الأموات، ومنشئ الحطام الرفات ... هذا وأنه عنَّ لي أن أجيبك أيها الأخ الكريم إلى ما طلبته ... إلى مختصر جامع ... من توحيد الله تعالى المبلغ إلى معرفته ... نهاية المخطوط: ... ثم قال لي يا هذا إن القلوب الحية لها بما هو دون هذا المقام مقنع، ثم انصرف وتركني انتهى الجزء الأول.

13- مالي (تمبكتو) - مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية - رقم الحفظ: 1834 وعظ و إرشاد - الصفحات: (120) السطور: 22- ناقصة الطرفين - الناسخ: محمد فتح بن عروة (أبو بكر الهاملي) - تاريخ النسخ: ١٢٥٧هـ/١٨٤١م

14- مالي (تمبكتو) - مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية -رقم الحفظ: 1835 وعظ و إرشاد - الصفحات: (243) السطور: 18 - حالة المخطوط: ناقصة الآخر.

15- ساحل العاج (دار الوثائق الوطنية - مجموعة الحسن ابراهيم) - رقم الحفظ: AI.AMS/127 - عدد الأوراق: ٢٥٣ - المسطرة: ٢١ - حالة المخطوط المادية: جيدة.

16- المغرب - الخزانة العامة بالرباط - رقم الحفظ: 02573 - عدد الأوراق: 275 - حالة النسخة: واضحة وجيدة - حالة النص: غير تامة.

17- موريتانيا - زاوية الشيخ سيدي المختار الكنتي بنواكشوط - الصفحات: الناسخ: محمد عبد الجليل اللقب الغزالي -تاريخ النسخ: 12/2/1986

18- موريتانيا - زاوية الشيخ سيدي المختار الكنتي بنواكشوط - عدد الأوراق: 275 -حالة النسخة: واضحة وجيدة - حالة النص: غير تامة - الجزء الأول -ملاحظات: هي نسخة مصورة من نسخة الخزانة العامة بالرباط.

هذا ما تيسر إحصاؤه إلى الآن من النسخ الخطية لهذا الكتاب الجليل.

موضوع كتاب المنة ومنهج تأليفه:

المنة في اعتقاد أهل السنة او الإرشاد في الهداية إلى السداد وحسن الاعتقاد هو سفر عجيب بل هو مكتبة إسلامية متنوعة المواضيع أو قل: إنه موسوعة إسلامية إثرائية تستحق مباحثه أن تفرد بمصنفات مستقلة، فهو يتناول العقيدة الإسلامية بشكل عام ومباحثها يناقش أقوال المخالفين كالمعتزلة وأهل الغلو والتكفير، وأن إيمان أمر القلوب بيد الله، وأن التوحيد علم ذوق وموهبة، لا علم بحث ودراسة؛ ويتناول كذلك مسألة الإخلاص وفضل الأنبياء، ويتناول كذلك فضل الصحابة والخلفاء، والإيمان بالقدر، وطعم الإيمان، والمعجزات والكرامات وسير الأولياء والصالحين مع الاستطراد غير الملل في أغلب الأحيان.

وفيما يلي فذلكة مما اشتملت عليه نصوص الكتاب، لتحصل لدى الباحث صورة تامة عن الكتاب، وتنشأ عنه فكرة شاملة عن مضمونه وغايته ومقاصد المؤلف فيه وسبب تأليفه:

قال المصنف: الحمد لله الذي جعل الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزء من النبوءة، وذلك أنه لما فرغت من تدوين كتب الفقه وشروحها، رأيت النبي صل الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عرفت منهم أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، أبوبكر عن يمينه وعمر

عن شماله وباقيهم خلق، فسلم علي واحتضنني وبشرني بأشياء، وإذا في يده عليه الصلاة والسلام كتابا، فقال لي: أتقدر أن تصنف مثل هذا؟ فقلت له: لا أقدر أن أصنف مثل هذا! ومن يقدر أن ينصف مثل ما صنفت صل الله عليك!!، فقال لي تقدر على ذلك، فقلت: لا أقدر إلا أن يكون المدد من الله ثم منك، فقال: صنف مثل هذا، فقلت: اسمعنه، فناوله أبا بكر فجعل يقرؤه على فإذا فيه نفائس الحكمة وعلم الحقيقة والأحاديث الصحيحة والآي المحكمة، فأعجبني جدا! فلما فرغ أبوبكر من قراءته، قال لي: على مثل هذا فألف أو صنف، فتراقع الأمر حتى أتاح الله هذا التأليف من غير قصد، فإذا هو وكأنه هو والمراد بالتأليف كتابنا المسمى: بـ الإرشاد في الهداية إلى السداد وحسن الاعتقاد، ثم رأيته عليه الصلاة والسلام في أثناء هذا التأليف المبارك وليس معه إلا صاحباه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، فسألوني عن الكتاب وأمروني بإسماعه إياهما، ففعلت فلما سمعوه أعجبهم ورأيت زيادة البشرى في وجوههم عند سماعه، فقال أبوبكر رضي الله عنه: بارك الله فيك لقد أحييت بهذا الكتاب سنتنا التي اندرست، وهذا كله في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم انتهى مما ينبغي إفشاءه وصل الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، ثم شرع في مقدمة الكتاب: الحمد لله الذي جعل قلوب العلماء مفاتيح أقفال المشكلات، فاطر البريات، ومحيي الأموات، ومنشئ العظام الرفات، والصلاة والسلام على منبع الرحمات، وعلى آله وصحبه البررة المهداة، هذا وإنه عن لي أن أجيبك أيها الأخ الكريم إلى ما طلبته مني بفضل الفتاح العليم الهادي بمنه إلى الصراط المستقيم، فيما نصه قوله: قد ظهر احتياجنا إلى مختصر جامع للقدر الذي تدعو إليه الحاجة مما يشترك في الانتفاع به الحر والعبد والمرأة والصبي لسهولته وبيانه مع الإيجاز والاختصار من توحيد الله تعالى المبلغ إلى معرفته والتشبث بأذيال أنبيائه وأوليائه، عار عن الغلو والتقصير، لأن الغلو في الدين كالنقص منه، وقد قلت أنه قد كثر خوض جهلة الناس في هذا الفن الذي هو التوحيد، وشاع تكفيرهم لعوام المسلمين من أمة محمد صل الله عليه وسلم، فالجواب أنه: لا يعذر بالجهل في موجبات الكفر، وموجبات الكفر إنكار ما يعلم من الدين ضرورة، أو تكذيب نص الكتاب العزيز، أو إنكار صفة من صفات الكمال، أو تكذيب الرسل أو بغضهم أو القول بقدم العالم، ولا يكفر مؤمن بمطلق الجهل؛ لإن الجهل أصل من أصول البشرية، روى عن إمامنا مالك رضي الله عنه أنه قال الجهل ببعض الصفات لا يوجب الكفر، وإنما يوجب الكفر عناد الحق واتخاذ الشريك واختيار

الكفر على الإيمان مستدلا بالحديث الوارد في الصحاح عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال: "كان رجل ممن قبلكم مسرفا على نفسه فلما حضرته الوفاة....." (ق1).

قال المصنف: ولقد كان السلف الصالح يأخذون الأعرابي الجلف فيدعونه إلى الإسلام، فإذا أقر بالشهادتين وثقوه بها وتركوه ولم يباحثوه في دقائق التوحيد؛ لاشتمال الكلمتين على ما ينبغي من ذلك، والتوحيد علم ذوق وموهبة لا علم بحث ودراسة، كما يشهد ذلك قوله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) [الأنعام ، آية 125]، وقوله: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) [الحجرات، الآية 8]، وقوله: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [التغابن، الآية 11]، إلى غير ذلك، فعلم من هذا أن الإيمان موهبة ربانية لا يتوصل إليها ببحث ولا جدال، وإنما يتوصل إليه بفضل الله ورحمته وتوفيقه، وكونه ممن سبقت له العناية، فرب مبرهن صارت براهينه وبالا عليه!، ومتعمق أمست تعمقاته تبابا لما لديه!، كما يشهد لذلك قوله تعالى: (وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) [يونس، الآية 101]. (ق2)

قصة أهل الكهف: (ق3 -ق5)

قصة قس بن ساعدة: (ق5)

قال المصنف: وممن ألقى الله الإيمان في قلبه وسدده ووفقه حتى صار ينطق بالحكمة وتجرد للعبادة: قس بن ساعدة...."

قصة هداية زيد بن عمرو بن نفيل القرشي عم عمر بن الخطاب (ق5).

وأصل التوحيد كلمة الإخلاص وسورة الإخلاص (ق5 -ق6).

قال المصنف: وأصل التوحيد كلمة الإخلاص وسورة الإخلاص فأما كلمة الإخلاص فإنها مشتملة على ست وستين عقيدة، ومعناها الأخص: لا مستغنى عن كل ما سواه ومفتقرا إليه كلما عداه إلا الله، ومعنها الأعم: لا معبود على الحقيقة إلا الله، أو لا معبود بالحق إلا الله، ولا معطى ولا مانع ولا مضر ولا نافع إلا الله؛ لإن نفي الإلهة المعبودة بالباطل عموما يؤدي إلى تكذيب القرآن المؤدي تكذيبه إلى الكفر، قال الله تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ) [سورة يس- 74].

معنى كلمة لا إله إلا الله: (ق6).

قال المصنف: ومعنى لا إله إلا الله المطلق العام: أن تقول لا أحد يجب له الوجود والقدم والبقاء والمخالفة والقيام بالنفس والوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة والغنى المطلق والسمع والبصر والكلام، وكونه قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما قبل وجود الكائنات إلا الله، وأعلم أن الله تعالى جعل لنا وجودا مجازيا عامل فيه وجوده الحقيقي، وهذا الوجود المجاز هو المعبر عنه بالحدوث، وبقاء مجازيا عامل فيه بقاءه الحقيقي، وهو المعبر عنه بالعمر، وأمدنا بالمماثلة لغيرنا لنعلم بذلك ضعف قوتنا، وجعلنا مفتقرين إلى قيامه بمصالحنا لنعلم أنه خالقنا ومنشئنا، وركب أشخاصنا من جسد ونفس وروح لنعلم بذلك وحدانيته، وجعل لنا قدرة مجازية لنستدل بها على إرادته الحقيقية، لنعلم أن الإرادة لنا مع إرادته، قال تعالى في الحديث القدسي: " يا داود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد"، وجعل لنا علما مجازيا لنستدل به على علمه الحقيقي القديم، فالكل منه وإليه، وجعل لنا حياة مجازية لنستدل بها على حياته الحقيقة، وأمدنا بالعقل السليم لتكون له الحجة علينا، ورتب عليه التكليف ليظهر عدله وحجته علينا، وانه ليس بظلام للعبيد، والزم العقول التوفيق والخذلان، فموفق مودود ومخذول مطرود، قل كل يعمل على شاكلته، وجعل لنا سمعا مجازيا مغايرا لسمعه الحقيقي الذي لا يكون إلا بجارحة، وهو مختص بالأصوات منسوب إلى الجهات بخلاف سمعه غنه تعالى سميع بغير جارحة، سواء في سمعه السر والعلانية، والقرب والبعد، لا يقرب إليه مكان دون مكان ولا زمان دون زمان، (.....) عليه زمان، ولا يحل بمكان، فهو خالق الأزمنة والأمكنة، يسمع دبيب النمل على الصفا، ويعلم السر وأخفى، وجعل لنا بصرا مجازيا نستدل به على بصره الحقيقي القديم بقدم ذاته، لا بجارحة، ولا مواجهة، ولا شعاع كأشعة أبصار الموجودات، وجعل لنا كلاما مجازيا لا يكون إلا بجارحة، موصوف بالجهر والسر، مفتقر إلى الحروف والأصوات، مغايرا لكلامه الحقيقي القائم بذاته الذي هو ليس بحرف ولا بجارحة.

أدلة صفات الله تبارك وتعالى: (ق6).

قوله: وأما قل هو الله أحد، فهو أصل لكل الأصول بعد كلمة الإخلاص (ق7).

سبب نزول سورة الإخلاص: (ق7).

سبب ظهور الفرق الاعتقادية (ق8).

قضية الإمام مالك مع حفص القرد. (ق8).

ما لا يصح الإيمان إلا به. (ق8)

الخلاف في إيمان المقلد وعدمه: (ق8).

رؤية إبراهيم عليه السلام لملكوت السماوات: (ق9 - ق12)

العلم المكتوم: (ق13).

قال المصنف: وأما ما لا قدرة للخلف على حملة ومعرفته؛ فإنه يجب على الرسل كتمانه حيث أمروا بعدم تبليغه، كما يشهد لذلك قوله تعالى: (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) [النجم - الآية 10]، فلم يعلم الذي أوحى إلا الذي أوحى، فأبهمه تعالى، وقول أبو هريرة -رضي الله عنه- : "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ".

مسألة: رؤية الله في الآخرة (ق14).

شرح حديث: "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر لا يدخل اولهم حتى يدخل آخرهم قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: "هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون". (ق17).

قال المصنف: وليس المراد أنهم لا يرقون ولا يسترقون بل المراد انهم لا يعتمدون على الرقى بل اعتمادهم في جميع الأسباب على الله تعالى.

قوله: ومن الواجب اعتقاده كون النبي صل الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء والرسل، بل ومن جميع الملا الأعلى: (ق17).

بيان مسألة جواز تفضيل القرآن بعضه على بعض.

باب في أقسام الإيمان والمؤمنين وأركانه: (ق25 - ق26).

قال المصنف: فالموحدون ثلاثة لا رابع لهم ذائق ومبرهن ومقلد مثالهم، ثلاثة رجال أشفوا على

ماء من بعيد، فالذائق رأى وسعى ووصل وشرب، والمبرهن رأى وسعى ووصل ولم يشرب، والمقلد رأى ولم يسع ولم يصل ولم يشرب، فاسم الإيمان ينسحب على الجميع ويتفاوتون في الدرجات، فالذائق يشرب ويسقي، والمبرهن لا يشرب ولا يسقي، والمقلد يحكي ويروي ولا يبلغ.

وقال أيضا: الإيمان على أربع درجات إيمان الملائكة فهو لا يزيد ولا ينقص، وإيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص، وإيمان الأولياء فهو كإيمان الملائكة، لا يزيد ولا ينقص، قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-: لو كشف الغطاء لم ازدد يقينا؛ لأنه رضي الله عنه وقع على عين اليقين، فجاوز علم اليقين وحق اليقين.

وقال أيضا: واما أركان الإيمان: فإنها تسعة: الذلة، والتواضع، واستقلال العمل، وقصر الأمل، والزهد في الفاني، والرغبة في الباقي، والرأفة، واللجوء إلى الله، في جميع الحالات والرحمة لجميع المخلوقات.

قوله: والإيمان بالملائكة: (ق26)

قوله: ومن الواجب اعتقاده أن الله تعالى فوق عرشه قهرا وغلبة وخلقا. (ق27).

قوله: ومن الجائز الواجب اعتقاده الذي لا يتم الإيمان إلا به، كونه تعالى هو الذي يصور نوع الإنسان في أرحام الأمهات، فيبطل بذلك ملتين من ملل الكفر، وهما الطبائعية والدهرية، فإن الطبائعية يزعمون أن الطبائع الأربعة هن الاتي يصورن الجنين في الرحم كاليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة، ومذهب الدهرية القائلين: إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع ولا مخصص، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا! (ق31).

أقسام الناس في الإيمان بالبعث: (ق32).

من دلائل بعث الأجساد: (ق33).

قوله: ومن الجائز الواجب اعتقاده الذي لا يصح الإيمان إلا به اعتقاد أن الرزق بيد الله لا يزيد في وجوده سبب واجتهاد ولا ينقص منه توان، قال تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) [الذاريات - آية 22] (ق34 - ق 36).

الغيث أصل من أصول الرزق: (ق37)

قوله: ومن جوالب الرزق العفاف والعمل بالطاعة: (ق38).

قوله: ومن الواجب اعتقاده من الجائزات الذي لا يكمل الإيمان إلا به اعتقاد براءة الرسل من تعمد الكبائر والإصرار على الصغائر، ولو لم يرد نص القرآن وإنما جاء في نصوص الأصوليين حتى كاد ينعقد عليه أجماعهم. (ق40).

فصل في بيان عصمة الأنبياء وما قيل في ذلك: (ق41).

مسألة الخلاف في قت عصمة الأنبياء: (ق41).

قال المصنف: الأنبياء في وقت العصمة على ثلاثة أقوال: أحدها: قول من ذهب إلى أنهم معصومون من يوم الولادة حتى يأتيهم اليقين وهو الموت وهذا قول ثان للشيعة وذهبت طائفة إلى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة، والثالث: قول من ذهب إلى أن ذلك لا يجوز منهم بعد النبوءة وهو قول أكثر أهل السنة وعليه أبو الهذيل وأبو علي من المعتزلة.

قوله: من الجائز الواجب اعتقاده أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وقد أنعقد أجماع أهل السنة على ذلك خلاف للمعتزلة القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني حالة الزنا وهو مؤمن) أي: تام الإيمان. (ق42).

فصل في بيان الكبيرة وحدها وتميزها عن الصغيرة: (ق42).

قوله: ومن الجائز الواجب اعتقاده الذي لا يصح إيمان أحد إلا به اعتقاده والجزم به وجود الصراط والمرور عليه، وأنه على متن جهنم ألف سنة صعود وألف سنة استواء وألف سنة هبوط. (ق50).

مسألة الخلاف في الحوض والكوثر: وهل هما شيء واحد؟ أو هما متغايران؟ (ق52).

فصل في ذكر الورود على النار ووجوب اعتقاده وأن من شرائط صحة الإيمان اعتقاده والجزم به. (ق52).

قوله: ومن الجائز الواجب اعتقاده الذي لا يصح الإيمان إلا به الجزم بوقوع الحساب وهو على قسمين مناقشة وعرض (ق54).

قوله: ومن الأمور التي لا يتم الإيمان إلا بها اعتقاد صحة قدر الله والتسليم له في إمضاء قدره خيره وشره حلوه ومره. (ق55).

فصل فيما ورد في القدر وما قيل فيه. (ق56).

فصل في بيان كفر جميع الملل غير الملة الإسلامية (ق57).

فصل في فساد دين المجوسية وحقيقة عبادة النيرات كالشمس والقمر والنار (ق60)

قال المصنف: وأعلم أن الكفر على أربعة أقسام: كفر عناد ككفر إبليس، وكفر جبرية ككفر نمرود وفرعون، حتى أفضى بهم تجبرهم إلى دعوى الألوهية، وكفر ضلال ككفر فارس والروم، وكفر تقليد وتكبر ككفر العرب؛ فإنهم كانوا على دين أبيهم أبراهيم الحنيفية السمحة، حتى أتاهم عمرو بن لحي الخزاعي من بلاد العمالقة فرأهم يعبدون الأصنام... (ق61).

قال المصنف: وأصول الكفر ثمانية: العجب، والكبر، والرياء، والسمعة، والاعتماد على العوائد، وتقليد الآباء، والشك في المقدور، وطلب النفع من غير الله. (ق61).

وكذلك يجب الإيمان بتسبيح الجبال والطير مع داوود عليه السلام بإذن الله، وكذلك يجب الإيمان بعرض الأمانة على السموات والأرض والجبال، وشفقهم من حملها. (ق68).

ومن الواجب اعتقاده الذي لا يصح الإيمان إلا به اعتقاد صحة ما ورد من أشراط الساعة منصوصا عليه في كتاب الله كخروج الدابة التي تكلم الناس. (ق69).

والأشراط على قسمين كبرى وصغرى، فالصغرى: ما كان كرفع الأمانة، والحب في الله، والبركة، وكثرة النساء، وقلة الرجال، وكثرة الهرج، وظهور الأتراك، وغلبة الروم على الجزائر، وفتح رومية، وظهور الغش، والخيانة، ورفع العلم، وفشو الجهل، وأما الكبرى: فأولها: خروج الدجال وعيسى بن مريم، وفتح يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة التي تكلم الناس، أنهم كانوا بآيات الله لا يؤمنون، وطلوع الشمس من مغربها، وهدم ذي السويقيتن البيت الحرام، وعبادة الأصنام، وظهور أهل الكفر على أهل الإيمان، والخسف، والقذف. (ق69).

ومن العلامات الكبرى التي يجب الإيمان بها ويكفر منكرها: فتح يأجوج ومأجوج، وهما أمتان من ذرية يافث، خلقهما الله تعالى للنار، ليس فيهما سعيد، ولم يبعث الله منهم رسولا، وهما بالمشرف من وراء أقصى الصين. (ق71).

فصل في قيام الساعة، ووجوب الإيمان بها، وأنه لا أيمان للمكذب بالساعة، لان بتكذيبه إياها يكذب جميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة، فيكون بذلك كافرا محضا. (ق72).

باب في ذكر محاجة النبي وفد نجران: (ق83).

فصل في ذكر الأولياء وما يجب من تبجيلهم وتعظيهم والتصديق لهم، فلا يتم إيمان العبد إلا بذلك، وأنهم من الله بمكان، كما يشهد لذلك قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [يونس - آية 62] (ق85)

اختلاف العلماء في المستحق لهذا الاسم: (ق85).

قوله: فأول أولياء هذه الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه. (ق87).

من كرامات أبي بكر الصديق رضي الله عنه. (ق88)

من كرامات أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ق88 - ق89).

من كرامات ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه (ق92).

من كرامات أبي الحسن علي بن ابي طالب رضي الله عنه (ق92).

قال المصنف: وأتفق جمهور أهل السنة على ان تفاضل الخلفاء الأربعة على قدر تفاوتهم في الخلافة، فأفضلهم على الإطلاق أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، فمن فضل أبا بكر ثم عمر ثم عثمان وعرف لعلي حقه من الفضل فهو سني وكذلك من فضل الشيخين ثم عليا وأعطى عثمان حقه من الفضل فهو سني، فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلفوا، فمنهم من يفضل علي على عثمان، ومنهم من يفضل عثمان على علي، بخلاف من فضل عليا على الشيخين فإنه لم يختلف أحد من السلف الصالح على كونه بدعيا لخرقه الإجماع، وتكذيبه لما ورد عن رسول الله صل الله عليه وسلم في الأثار الصحيحة أن أبا بكر وعمر أفضل من غيرهم من الصحابة. (ق96).

ومن الواجب اعتقاده براءة عائشة -رضي الله عنها- مما رماها به اهل النفاق، فمن سبها بشيء مما برأها الله منه أو تنقصها أو أعتقده في قلبه، فقد خلع رقبة الإسلام من عنقه، وأوبق نفسه في مهام الكفر؛ لتكذيبه كتاب الله، كيف وقد وردت في براءتها عشر آيات مشتملة على التهديد

والوعيد الشديد وتقبيح حال من رماهاَ! بل الواجب حسن الظن والحب والإجلال لجميع أزواج النبي صل الله عليه وسل وجميع زوجات الأنبياء إلا ما استثنى الله منهم. (ق96).

واختلف علماء السلف في عائشة وخديجة -رضي الله عنهما- أيهما أفضل؟ فذهب الجمهور إلى أن خديجة أفضل؛ لإن منزلتها في النساء كمنزلة أبي بكر في الرجال، فكما أن أبا بكر صديق الرجال، فكذلك خديجة صديقة النساء، ويشهد لذلك قوله صل الله عليه وسلم : كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربعة، آسية بنت مزاحم ومريم أبنة عمران وخديجة بن خويلد وفاطمة بنت محمد. (ق97).

فصل في فضائل أهل بيت النبوة وكراماتهم: (ق114).

فصل في الكشف عن مثالب الدنيا وغوائلها: قال وهب بن منبه قرأت في بعض الكتب المنزلة: حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وظمأ الدنيا ري الآخرة، وري الدنيا ظمأ الآخرة وجوع الدنيا شبع الآخرة، وشبع الدنيا جوع الآخرة وحزن الدنيا فرح الآخرة وفرح الدنيا حزن الآخرة. (ق118).

فصل أذكر فيه جملا من مناقب أهل الفضل بحكاية أحوالهم تستنير القلوب ويرجى لها الفوز من لدن علام الغيوب، فكما ترتجى لمعتقد فضلهم بركاتهم، كذلك يخاف على منتقدهم سوء الخاتمة، عافانا الله من بلائه و من الوقوع في أوليائه، وقد ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صل الله عليه وسلم- : إن الله قال: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ". (ق120).

فصل في ورد عن مشايخ السلف في كرامات أبي مدين الغوث (ق122).

قال المصنف: وأعلم أن من أجل الكرامات للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة من المعاصي والمخالفات. (ق124).

فصل فيما ورد من ذلك عن الخضر عليه السلام (ق 126).

باب ما ورد عن سكان الجبال والكهوف من الأولياء استنانا بقوله صل الله عليه وسلم: "إذا مرت على أمتي خمس مائة عام فقد أبحت لها العزلة والعزبة والترهب على رؤوس الجبال" (ق127).

باب ما جاء في فضل العارفين بالله يوم القيامة (ق129).

مناقب الولي أبي عثمان سعيد بن ميمون الرجراجي. (ق130).

مناقب الولي أبي عبد الله الدقاق (ق131).

مناقب الولي أبي عبد الرحيم يعقوب بن هارون الصيني من بلاد تادل. (ق131).

مناقب الولي أبي يحي الوازياغي المعلم من مدينة سلا (ق132).

مناقب الولي أبو بكر التوجي : وهو تلميذ جدنا سيدي عمر الملقب الشيخ بن سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي (ق132).

قصة العلامة: سيداعمر الشيخ (ق133 – 268).

قال المصنف: ومن أولياء الله المشهورين في العلم والولاية شيخه وجدنا سيدنا عمر الملقب بالشيخ، تواتر عنه انه حفظ قبل الكهولية ألف مجلد في جميع فنون العلم.

قصة ابنه الولي سيدي المختار الشيخ مع أهل مراكش: (ق135).

قصة العابدة الزاهدة خديجة بن سيدي المختار الشيخ (ق136).

مناقب الولي سيدي أحمد بن المختار الشيخ (ق136).

مناقب الولي سيدي أبوبكر بن علي بن محمد بن المختار الشيخ (ق137).

مناقب الولي سيدي أحمد الملقب بالفيرم بن السيد عمر الشيخ. (ق137).

مناقب ابنه العلامة سيدي محمد الرقاد. (ق137).

مناقب ابنه العلامة السيد أحمد بن السيد محمد الرقاد: (ق137).

قال المصنف: وكان من أكابر أولياء الله تعالى علما ودنيا مع ما ظهر على يده من خوارق العادات التي لا تعد ولا تحصى، وكان كثيرا ما يقول في سجوده: رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ترثني أنك سميع الدعاء، فأجاب الله دعوته فانتشرت ذريته، فكان له سبع بنين كلهم علماء وأولياء نجباء، قد أنتشر عنهم العلم ما لم ينتشر عن بيت من بيوت الولاية مثله، إلا ما أنتشر من بيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يروى أن ثلاثة من البيوت لم ينتشر من بيت

ما انتشر عنهم من الخير : بيت يعقوب بن إسحاق، وبيت علي بن أبي طالب وكانت منه سلسلة الذهب، وبيت سيدي محمد الرقاد وكانت منه سلسلة الذهب كما كانت من بيت علي، فكان من بيت علي النفس الرضية ولي عالم، وأبوه عبد الله كذلك ولي وعالم، وجده موسى الكاظم ولي عالم، وأبوه أيضا جعفر الصادق ولي عالم، وأبوه محمد الباقر ولي عالم، و أبوه زيد كذلك ولي عالم، وأبوه علي زين العابدين ولي عالم، وأبوه الحسين سبط رسول الله صل الله عليه وسلم سيد شباب أهل الجنة، وأبوه علي بن أبي طالب مدينة العلم، وسلسلة الذهب في بني الرقاد منهم السيد المختار كان وليا عالما عابدا، وأبوه سيدي محمد الأمين كان وليا عالما عابدا، وأبوه السيد المختار الملقب بعنترة كان عالما متفننا عابدا متنسكا كثير الخوارق، وأبوه سيدي اعمر بلغ الغاية القصوى في العلم والولاية والزهد، وأبوه سيدي أحمد الرقاد وهو الذي بنى الزاوية بمدد الله وخورق العادات، وكان قد بلغ في العلم والولاية الغاية القصوى، وأبوه سيدي محمد الرقاد كذلك، وأبوه سيدي أحمد الفيرم كذلك، وأبوه سيدي أعمر الشيخ كذلك وفوق ذلك، وأبوه سيدي أحمد البكاي كذلك وفوق ذلك، وقد تواتر عنه وصح أنه لبث مائة عام لم ترق دمعته، وذلك البكاء كله من صلاة واحدة فاتته في الجماعة!.(ق137).

قصة نقل ضريح سيد احمد البكاي: (ق138):

قال المصنف: وحدثني الفقيه محمد اند عبدالله الولاتي، قال حدثه أبوه الفقيه محمد بن الفقيه أحمد، عن أبيه الفقيه احمد، عن جده سيدي عبد الرحمن المحجوبي أنه تقطب وأنه أخذ العلم والولاية عن القطب الكامل السيد أحمد البكاي، وأنه لما انتقل السودان من بلاد ولاته إلى غانة، صار موضع البلدة مسيلا للمياه، فلبث المطر عن ولاته أعواما، وذلك الوادي لم يسل حتى هموا بالجلاء، فأتى سيدي أحمد البكاي في النوم بعض الأولياء من ذرية سيدي عبد الرحمن المحجوبي، فقال له: إن أردتم ان يسيل واديكم فانقلوني من مجرى السيل فانه لا ينبغي للسيل أن يمر على قبري، ثم أتى ثانيا في نومه فقال له مثل ذلك، ثم أتى ثالثا في النوم فقال له مثل ذلك، فأخبر الثاني الناس بما رأى، ثم قال الآخر: وأنا رأيت مثل ذلك، وقال الثالث: وانا رأيت مثل ما رأيتما فاجتمعوا كلهم، وكان في ولاته يومئذ سبعون عالما متفننا، فاجتمع رأيهم على أن الأولياء لا تأكلهم التراب فذهبوا إليه ونبشوه؛ فإذا هو كالنائم لم يتغير شي من أكفانه

فضلا عن جسده، فأدخل رجل منهم يده بين وجهه والكفن فإذا عيناه تهملان بالدموع كما كانت في دار الدنيا، فنقلوه إلى موضعه الآن.

قصة قدوم الشيخ سيدي احمد البكاي لمدينة ولاته (ق138):

قال المصنف: وتواتر أنه لما قدم على ولاته فنزل بشعب من شعابها، وكانت يومئذ كثيرة السباع والنسور، فأتوه وهم لا يعرفونه، فقالوا له: أيها الشيخ إذا بت في هذا الشعب يأكلك السباع، فانهم يختطفون الناس من وسط المدينة جهارا، فقال لهم: ما كان الله ليسلطهم على لما كان الليل اجتمعت السباع كلها عليه على وجه التبرك، فلما أصبحوا تيقنوا أنه يُؤكل فذهبوا إليه، فإذا السباع مجتمعة عنده تتمسح بثيابه، فرأوا ما لم يحتسبوا، فقالوا: ما هذا إلا ولي من أولياء الله تعالى! فتهيبوا من الإقدام عليه لكثرة ما عنده من السباع، فأشار لهم ان تقدموا فإنه لا خوف عليكم، فاتوه وهم يمشون بين السباع، فقال لهم: ما تريدون من هذه السباع آمرهم به؟ فقالوا له نريد أن تأمرهم بالخروج من بلادنا هذه، فأمرهم بذلك فانصرفوا إلى أرض غانة كالبقر الصادر عن الماء يتتبع بعضهم بعضا، ثم اشتغل بالمسير، فقال لهم عالمهم: أنكم ما صنعتم شيئا يأتيكم ولي من أولياء الله مثل هذا، وتتركونه يخرج من بلادكم وقد علمتم ما هي عليه من الفساد وترك السنة، فقالوا له: لا قدرة لنا عليه كيف نقدر على رجل اطاعته السباع؟! فقال لهم: تقدرون عليه، قالوا: وبم؟ قال: تقدرون عليه بالشرع؛ فإنه لا يخالف الشرع، فاتبعوه حتى لحقوا به؛ وهو يريد المشرق على رسم السياحة، فقالوا له: نحن بالله وبالشرع معك، فلما سمع ذلك سقط لوجهه وكتف يديه وراء ظهره، وقال: السمع والطاعة لله ولرسوله، ولامتثال شرعه، ورجع معهم الى القرية فاتوا عالمهم فقالو له: نشارعك إلى هذا العالم، فقال لهم: رضيت فقال له العالم: الأمر ظاهر، وهذه المدينة فاسدة قد بلغ الفساد فيها الغاية، حتى أن الرجل لا يقدر على منع زوجته من خدن السوء! فقال لهم: بشرط أن لا تخالفوني فيما آمركم به من أمر الله تعالى وما جاء به رسوله فأطاعوه إلى ذلك فأمرهم بالحجاب ففعلوا وان لا يدخل أحد بيت أحد إلا أن يكون محرما، فاستقاموا على السنة وأخذا عليه العلوم حتى توفي رضي الله عنه، وكان من أمره ما تقدم، وأكرمهم الله من يومئذ بغزارة العلم وحدة الفهم إلى يومنا هذا، وكان لا يؤذيهم أحد من الأعراب إلا أذهب الله دولته ونفاه من أرضهم إلى غيرها، ولقد رأيت عند روضته ذات ليلة أسدا ولبوة، فلما قربا مني حادت الأنثى عني، وأتاني الذكر، فقال لي: لم

يبق من السباع الذين تبركوا بجدك هذا إلا أنا وهذه، فلا أدري أهما من نسل أولئك وبقيا حيين حتى آتياني، والله قادر على الجميع.

نظم في التوسل بالأربعين من ذرية الشيخ سيدي محمد الكنتي (ق139):

وقد نظم الولي الصالح المشهور بالحب للنبي صل الله عليه وسلم ولأولياء الله تعالى، ذو الكرامات الظاهرة والمناقب الباهرة محمد بن محمد العلوي بعض مآثرهم، فقال: يقول الفقير الى الله تعالى، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، محب الصالحين، في ذكر الأولياء من ذرية سيدي محمد الكنتي على وجه التبرك بهم، والتوسل إلى الله بجاههم، فقد شاع وذاع أن من توسل بأربعين منهم في كل أمر مهم وجد الفرج من قريب، وقضيت حاجته كائنة ما كانت، وهو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد العلوي، وقد صح أن من رأى احد منهم في نومه إن كان مريضا شفي، وإن كان في ورطة عوفي، وإن كان خائفا أمن ومطلعها:

ألا مقلتي بانت كمقلة أرمد❖❖❖ وحالي مما نابها حال مكموم

قال المصنف: ولما قدمت على ولاته إذ أهلها في ضيق وحزن، من خبر بلغهم عن قافلتهم، وكانت توجهت من تودني، فقائل يقول لهم: قد أخذت أموالهم! وقائل يقول لهم: قد قتلوا! وفي القافلة جميع أهل عقدهم وحلهم، فأتوني بجماعتهم، فقالوا: أنا نعتقد فيك ما نعتقده في جدك هذا، فإنه قد وجدنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا منها، ووجد السباع تختطفنا فأذهبهم عنا، حتى طهرت منهم بلادنا، وأن جميع رجالنا ممن نرجو أن تكون به عمارتنا قد كان في هذه الرفقة، وقد جاءنا منهم أنهم قتلوا وجاءنا أنهم نهبت أموالهم، ونريد منك أن تخبرنا بحقيقة أمرهم، لنكون على بصيرة؛ فإن جميع من ينسب إلى الصلاح في بلدتنا هذه قد سألنهم، فلم يبينوا لنا ما يشفي الغليل ولا ما يروي العليل، فقلت لهم: إذا كان الغد فأتوني، فلما صليت العشاء من تلك الليلة المستقبلة، ذهبت إلى روضة الشيخ؛ فإذا عند روضته سبعة رجال من الصالحين، فجعل كل واحد منهم يضع يده على رأسي ويدعو لي، وما عرفت منهم أحدا إلا سيد علي بن سيدي محمد بن سيدي علي بن احمد الملقب بالأحول، فأراد أن يدعو لي، فقلت: ما أريد منك ذلك، إنما أريد منك ان تخبرني بقافلة هؤلاء الناس فإنهم من الخوف عليها في كرب شديد، (,, على أبلك قبل....) فقال لي: قد مررنا عليهم قدما (......) فقل لهم: من كان له غائب فليستحضر عشاءه الليلة، فإنهم لا يبيتون إلا عندكم، وأنهم سالمون كما تحبون، ففرحوا فرحا شديدا، وذهبوا إلى

عالمهم فقالوا له: أن أولياءنا نسألهم ولا يبينوا، وهذا الصبي قد صرح بالأمر! فقال لهم: ذلك صبي قد ترك له أبويه كنزا وافرا فهو ينفق منه كيف يشاء، وأما نحن فيتامى لم يرثوا من آبائهم شيئا فهم يلتقطون مرة ثوبا ومرة درهما، فلما انصرفنا من صلاة الظهر إذ المبشر يبشر بقدومهم وسلامتهم، فقالوا له: قد علمنا قبل قدومك، فلم تغرب الشمس حتى تكاملت القافلة كلها، ومما شاهدته عند روضته -رضي الله عنه- عند الزوال من يوم جمعة إذ سمعت قارئا يقرأ وهم مقبل تحت الأرض حتى قابل الروضة، فلما قابلها اهتزت وانفتحت فلم أشهر إلا وأنا مد البصر من القرية على الجانب الشرقي، فلما أفقت ندمت على أن لا أكون ثبت حتى أراه، فرجعت طالب ذلك فلم يتفق لي.

والسبب الثاني لمجيئي الروضة أني لما فرغت من قراءة العلم، ذهبت إلى كناته غير طامع وإن وجدت شيء لم أكرهه، وكنت حينئذ لا أبيت مع الناس، إنما أبيت في البرية فينما أنا ليلة وقد صليت ما كتب الله لي، إذ سمعت وطء رجل مقبل إلى حتى جعلت الأرض تهتز من تحتي من شدة وطئه فرعبت، فذهبت قليلا ثم قلت لنفسي كيف أخرج إلى الله تعالى ثم أفر من الناس من أمر يقصدني حتى أعلم ما هو، فعزمت على أن لا أنصرف حتى أعلم ما هو؛ فإذا برجل لم أرى قبله ولا بعده مثله طولا وعرضا وحسنا وبياض ثياب، فجعل يشير على بكمه، ويقول لي: ما تريد من هؤلاء؟ إن كنت تريد علما فقد أغنيناك عن علمهم، وإن كنت تريد دنيا فقد أغنيناك عن دنياهم، وإن كنت ولابد ذاهب، فأذهب إلى سيدي أحمد البكاي؛ فإنك تجد عنده ما تريد وأشار بكمه نحو المغرب، فجعلت الأمور تتدافع بإذن الله تعلى حتى أتيت تلك الأرض فقصدته في جماعة، فلما قربنا من ولاته أنخنا ثم ذهبت إلى البرية كما كنت أفعل فإذا بعشرة رجال قد أقبلوا إلى وعلى رؤوسهم ظلة من النور، فلما دنوا مع بدرتهم فجعلوا يسلمون على واحد بعد واحد، وكل من سلم على منهم يضمني إلى صدره ويدعوا لي، فلما كان الأخير، قال لي: أتعرف هؤلاء؟ فقلت: لا، إلا أني علمت أنهم صالحون لهذه الظلة التي أرى على رؤوسهم، فقال لي: أنا جدك الأدنى وهؤلاء أجدادك الأعلون، وإنما قدمتهم تأدبا ولإنهم أفضل مني، فإياك أن تبيت عني هذه الليلة فإني مشتاق إليك، فرجعت في الحين إلى أصحابي وشددت رحلي، فقال لي أصحابي: هذا لا يمكن فإنا نخاف اللصوص في هذه الساعة، فقلت كل شيء

يمكن إلا أن أبيت الليلة عند الشيخ، فلما لم يجدوا بدا من ذلك، ركبوا معي فما أنخنا إلا ببطحاء ولاته، فذهبت إلى الشيخ فان ما كان مما لست أذكره، فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر.

مناقب الشيخ سيدي أحمد البكاي ووصاياه: (ق139).

ولما هم رضي الله عنه بالسياحة على عادة آبائه الكرام، جعل يكثر النظر في بينه ويجعل يده على رأس سيدي أعمر الشيخ وصدره، فلما رأت ذلك زوجته علمت أن يريد السياحة وأنه يريد ان يخلف أحدهم ويسأل الله قبض غيره، فذهبت إلى أبيها فأخبرته بذلك، وكان أبوها رجلا عالما صالحا، فقال لها: إن أرت بقاء بنيك فأمهليه حتى إذا توجه قبل المشرق، حين تنام العيون وتهدأ الأقدام، فخذي بطرف ثوبه واتبعيه، فإنه لا يقف حتى يشاهد رسول الله صل الله عليه وسلم، فإذا وقف فخذي بظهره وقولي له: توجهت إليك برسول الله صل الله عليه وسلم إلا ما تركت لي بني، وتسأل الله أ يجعل فيهم البركة فلما فعلت ما قال لها أبوها، قال رضي الله عنه: أتيت بشفيع لا يرد، ولو تركتنا على ما كنا عليه لم يكن فينا شقي ولا محروم، ولكن لا يزال فيهم – ذرية أحمد البكاي – ذكر وأنثى يبلغان القطبانية تعيش الأمة في بركتهم، لكني استخلفت ابني عمر على الجميع، وفي كل البركة، وأستودعكم الله واستخلفه عليكم أن لا تضيع ودائعه، فكانت تلك وجهته سائحا إلى المشرق حتى مر بولاته فكان من امره مع أهلها ما تقدم ذكره.

من وصايا الشيخ سيدي احمد البكاي (ق140).

فصل في استحضار الموت وقصر الأمل (ق144):

قال المصنف: فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له بعد الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر بباله ولا أختلج به ضميره، فلو لم يكن للعاقل هم إلا التفكر في خطر تلك الأحوال، وما ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أو سعادة أبدية، لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا!

أقسام الشرك (ص145):

قال المصنف: ولنرجع إلى ما كنا بصدده من بيان التوحيد والشرك وما يتعلق بهما، فأعلم طهر الله سري وسرك من كل شبهة أن الشرك ينقسم إلى أكبر ومتوسط وأصغر، فالشرك الأكبر اعتقاد الشريك لله أو الولد أو الصاحبة أو نسبة ما لا يليق بجلاله إليه أو تكذيب كتابه

أو رسله أو ملائكته أو الطعن في مناصبهم أو التكذيب بالقدر أو المعاد بأنواعه، ومتوسط وهو الرياء والسمعة، وأصغر وهو الالتفات إلى العوائد والأسباب والطمأنينة إليها؛ مع نسبة التأثير إلى الله تعالى وعزلها عنه، وأما إن نسب التأثير إليها بأن أشركها مع الله تعالى فهو مشرك، أو نسب التأثير إليها فهو كافر محضا، كما قيل الاعتماد على الأسباب شرك وتركها على وجه التجربة سوء أدب مع الله، والطريقة بينهما وهو بأن يفعل الأسباب من غير اعتماد عليها، وتتناول هذا الأخير رؤية الأعمال لك وأنك صانعها مع الاعتماد عليها والسرور بأشخاصها.

قال المصنف: وأعلم أن عطية الخلق لك حرمان على التحقيق، لما فيها من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك، ومنع الله لك إحسان لأنه ألزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه، وإن شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك، وتقلد منتهم في أخذ عطيتهم، والمنع من الله إحسان لأنه حبيبك وكل ما يفعله المحبوب محبوب.

رؤية الله (ق149 – 150) :

قال المصنف: ثم اختلفت أحوال الناس هاهنا، فمنهم من لم يشاهد الأكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون فهذا تائه في الظلمات محجوب بسحب آثار الكائنات، ومنهم من لم يحجب بالأكوان عن المكون، ثم هم في مشاهدتهم إياه فرق، فمنهم من شاهد المكون قبل الأكوان، فهم الذين يستدلون بالمؤثر على الأثار، ومنهم من شاهده بعد الأكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالآثار على المؤثر، ومنهم من شاهده مع الأكوان والمعية هاهنا إما معية اتصال وهو شهوده في الأكوان، وإما معية انفصال وهو شهوده عند الأكوان، وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية، لإن الزمان والمكان من جملة الأكوان، والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما، فإنهما أيضا من جملة الأكوان ومعرفة تفصيل هذه الأمور والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هي عليه موكول إلى أربابه، فلنقتصر على ما ذكرناه فهاهنا زلت أقدام كثير من الناس، فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة في الشرع، فكفروا بذلك وابتدعوا، فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه، وتمسك بقول الله عز وجل : (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) [الشورى – آية 11].

وأعلم أن هذه الرؤية ليست هي بمجرد الأبصار، وإنما هي من انعكاس البصر في البصيرة حتى تصير ذات الرائي كلها بصيرة، إذ البصر بمجرده لا يرى إلا متحيزا محصورا، وهو مستحيل في حق الله تعالى، فلما وقت الخارق الذي هو انعكاس البصر في البصيرة، وصيرورة الذات كلها بصيرة لتعلق القدرة بذلك وإرادته تعالى لما هنالك حصلت الرؤية التي لا عن كيف ولا كم ولا إلى جهة ولا مكان، فزال عند ذلك الزوال، وظهر من لا يزال إذ لا يمكن بقاء الأكوان مع تجليات المكون، ألا ترى أن موسى عليه السلام لما سمع كلام الباري جل سمعه بجميع جوارحه، لا بسمعه فقط، وسمعه من جميع الجهات لا من جهة واحدة، وسمعُه له من جميع الجهات إنما هو بالنسبة إلى موسى، لا بالنسبة إلى الله تعالى؛ فإنه كما لا يصح أن يسمع من جهة واحدة، كذلك يصح أن يسمع من جميع الجهات بل اضمحلت عند ذلك الجهات، وانعدمت الذوات، فأسمع الله موسى كلامه حيث لا موسى ولا جهة ولا مكان، فاقدره الله سبحانه على أن سمع ما لم يكن من مقدوره سماعه، إذ ليس من مقدور موسى عليه السلام أن يسمع كلاما لا بصوت ولا حرف ولا إلى جهة.

أقسام الأوصاف البشرية المتلقة بأمر الدين (ق154):

قال المصنف: وأعلم أن أوصاف البشرية المتعلقة بأمر الدين نوعان: أحدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الأعمال والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود، فأما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فإنه ينقسم إلى قسمين ما وافق الأمر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية وأما ما يتعلق بباطنه وقلبه فإنه ينقسم أيضا إلى قسمين أحدهما ما يوافق الحقيقة ويسمى إيمانا وعلما والثاني ما يخالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا فهذا الأمران هما كلية العبد وظاهره تابع لباطنه بالضرورة لإن القلب هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يأمر به وينهى عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صل الله عليه وسلم حيث قال: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.

صلاح القلب (ق154):

قال المصنف: وصلاح القلب إنما يكون بطهارته من الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه هي الصفات المناقضة للعبودية من أوصاف البشرية التي تسم صاحبها بسمة النفاق والفسوق، وهي كثيرة مثل الكبر، والعجب، والرياء، والسمعة، والحقد، والحسد، وحب الجاه، والمال، ويتفرع عن هذه الأصول، فروع خبيثة من العداوة والبغضاء، والتذلل للأغنياء، واستحقار الفقراء، وترك الثقة بمجيء الرزق، وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق، والشح والبخل، وطول الأمل، والأشر والبطر، والغل والغش، والمباهاة والتصنع، والمداهنة، والقسوة، والفظاظة، والغلظة، والغفلة، والجفاء، والطيش، والعجلة، والحدة، والحمية، وضيق الصدر، وقلة الحياء، وترك القناعة، وحب الرياسة، وطلب العلو، والانتصار للنفس، إذا نالها الذل، وذهاب ملك النفس إذا رد عليه قوله، إلى غير ذلك من النعوت الذميمة والأخلاق اللئيمة، واصل فروعها وعنصر ينابيعها: إنما هو رؤية النفس، والرضى عنها، وتعظيم قدرها، وترفيع أمرها، فهذه الأمور هي سبب كفر من كفر، ونفاق من نافق، وعصيان من عصى، وبها تنخلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز وجل.

حسن الظن بالله في كل الأمور (ق157):

قال المصنف: ومن الشرك الخفي العمل على طلب الجزاء أو لنيل الدرجات أو نيل المرتبة العلية؛ فإن جميع ذلك نقصان في الحال، وشوب في إخلاص الأعمال، قال الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)، [البينة – آية 5].

قال المصنف: ومما لا ينبغي التغافل من هذا النوع نعمة إيجاد الإيمان ومحبة الطاعة في قلبك، وإمدادهما، وكذلك كراهيتك الكفر والعصيان، فإن ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها، ولا وسيلة إليها، ولولا تولي الله تعالى له بتينك النعمتين في القسمتين لتاه في ظلمات الضلالة، وغرق في بحر الجهالة، وقد نبه الله عز وجل إلى هاتين النعمتين في كتابه العزيز، فقال عز وجل: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) [الحجرات – آية 7]، ثم أتبع ذلك بقوله: (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [الشورى – آية 8].

قال المصنف: وروي أن ثلاثة توجب الإيمان مع توفيق الله وحفظه: الشكر على الإيمان، والخوف من سلب الإيمان، والنفع لأهل الإيمان، وثلاثة أشياء توجب سلبه، عدم الشكر على الإيمان، وعدم الخوف من سلب الإيمان، والإضرار لأهل الإيمان.

شرح قول أبو العباس المرسي: الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله قال الله سبحانه: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) [الشورى - آية 13] (ق161).

قال المصنف: معنى كلام المرسي هو أن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول إليه فصار يطوي مهامه بنفسه ويبذل طبعه، حتى وصل إلى حضرة ربه، فيصدق على هذا قوله سبحانه: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت - آية 69]، ومن الناس من فاجأته عناية الله تعالى من غير طلب ولا استعداد، ويشهد لذلك قوله تعالى: (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) [آل عمران - آية 74] فالأول: حال السالكين، والثاني: حال المجذوبين، فمن كانت بدايته المعاملة فنهايته المواصلة، ومن كانت بدايته المواصلة رد إلى وجود المعاملة، ولا تظن أن المجذوب لا طريق له، بل له طريق طوتها عناية الله تعالى، فسلكها مسرعا إلى الله تعالى عاجلا.

فصل في ثمرة العلم وحقيقته: (ق163).

أقسام الأولياء: (ق171)

قال المصنف: ولما كان الأولياء المحققون لعلم الحقيقة بعد علم الشريعة ورثة الأنبياء استوجب ذلك كونهم على قسمين : مأذون له في التعبير وهو وارث رسول، وغير مأذون له في التعبير وهو وارث نبي، فالمأذون له في التعبير: هو الذي يأتي بالألفاظ الرائقة الفائقة التي تأخذ بمجامع القلوب قبل الأسماع لموافقته للإذن، ولذلك قيل كل كلام يبرز وعليه حلة من القلب الذي برز منه، فإذا برز من القلب أفضى إلى القلب بعد خرقة الحجب والكثائف، وإذا لم يخرج من القلب ولم يوافق الإذن، لم يعظ القلوب، بل يبقى متعلقا بالحجب والكثائف؛ لفقد الإذن وكسوف أنواره؛ لأن الظلمات إنما تزول بالأنوار، قال تعالى: (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [البقرة - آية 257]، لإن الظلمات متكاثرة منها: ظلمة الشك، ومنها: ظلمة الشرك، ومنها: ظلمة الغفلة،

وظلمة الجهل، وظلمة الطبع، فإذا جاء نور الحق فقذف به على الباطل أذهبه، قال تعالى: (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) [الأنبياء - آية 18]، وإنما أضيف الأنوار كلها إلى نور الإيمان لانطوائها تحته لشرفه ولجمعه بين الشرطية والعملية.

تفسير قوله تعالى: (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) (ق172).

نظم في معنى الآية لسيدي محمد الأمين بن سيدي المختار بن سيدي عمر بن سيدي أحمد بن سيدي محمد الرقاد: (ق173).

فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية اختلف أهل العلم (ق173) :

فصل في ضربه تعالى المثل عن الكافرين والمنافقين وأهل الأهواء فقال: والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة (ق175).

قال المصنف: ومن الأمثال الموهنة لجميع الملل المخالفة لملة الإسلام المبطلة لكل شيء يعتمد عليه من دون الله قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) [العنكبوت - آية 41] يرجون نفعهم ونصرهم، ويتناول ذلك عبادة الأصنام، والاعتماد على العوائد، والتصديق بدعاوى المنجمين، لقوله صل الله عليه وسلم: "من صدق كاهنا أو منجما فقد كذب بما جاء به من عند الله" وقوله: "أصبح منكم مؤمن بالله كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا فهو كافر بالله مؤمن بالكوكب" الحديث.. (ق177).

باب في مراد أمداد الإيمان: (ق183).

قال المصنف: وهي أربعة: الذكر والحياء والمروءة والعفاف، فالذكر روح الإيمان، ومصباح البصيرة، وحياة القلب ولقاح السر، كما يشهد لذلك حديث أبي هريرة عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال: "إن الإيمان ليخلق في صدور الرجال كما يخلق الثوب فجددوه بذكر الله والإكثار من قول لا إله إلا الله".

فصل جامع لأذكار ودعوات متنوعات بتنوع الأحوال والأزمان من مولد الإنسان إلى نقله لحضرة ربه (ق192 - 192):

المراد الثاني من أمداد الإيمان الحياء (ق200):

المراد الثالث المروءة: (ق202).

باب قوله صل الله عليه وسلم: صنائع المعروف تقي مصارع السوء (ق207)

باب قوله صل الله عليه وسلم: المعروف كاسمه (ق209)

باب قوله صل الله عليه وسلم: أحسنوا جوار نعم الله لا تنفروها (ق210)

باب في بيان حكمة العوائد والخوارق (ق212).

فصل في قوله تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) [الأحزاب - الآية 4]، وقوله صل الله عليه وسلم: "القلب ليست له إلا وجهة واحدة" (ق215):

قال المصنف (ق215): ومن الواجب اعتقاده إن الله تعالى فرغ من إيجاد الموجودات قبل خلق السموات والأرض بألف ألف عام، فأول منا أبدى للوجود اللوح والقلم، فأمره بالكتابة فقال: أي رب ما أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء إلى يوم القيامة، فكتب مقادير كل شيء إلى يوم القيامة، روى أن جابر سأل رسول الله –صل الله عليه وسلم- فقال: "أي شيء خلقه الله أول؟ قال: القلم"، وذلك معنى قوله صل الله عليه وسلم: "جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة"، فعلمه تعالى قديم قائم بذاته ومعلوماته كلها حادثة، فلن يؤمن الإنسان حتى يفرق بين العالم والعلم والمعلوم، فالعالم هو الله تعالى، والعلم صفته القائمة بذاته التي يجب لمن قام به الكشف والإحاطة بالمعلومات، والمعلوم جميع العالم، فالله تعالى قديم لذاته والعلم قديم لإضافته للذات لا أنه قديم لذاته، لان ذلك يؤدي إلى تعدد القدماء وذلك محال، وكونه عين الذات أيضا محال، لان صفاته تعالى ليست بعين الذات، ولا أغيار لها، إذ لو كانت صفاته عين ذاته لكانت الذات صفة وهو محال.

قال المصنف (ق217) : وذكر ابن القيم أن الأقلام اثنى عشر قلما، وانها متفاوتة في الرتب فأعلاها وأجلها قدرا، قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق، كما في سنن أبي داود عن عبادة ابن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، قال: أي رب وما أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة"، فهذا القلم أول الأقلام وأجلها، وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي

أقسم الله به، والقلم الثاني: قلم اللوح، والقلم الثالث: قلم التوقيع عن الله تعالى ورسوله، والرابع: قلم طب الأبدان التي تحفظ به صحتها، والخامس: قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم، وبه تساس المماليك، والسادس: قلم الحساب وهو الذي تضبط به الأموال فيستخرجها ومصارفها ومقاديرها، وهو قلم الأرزاق، والسابع: قلم الحكم التي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا، والثامن: قلم الشهادة التي تحفظ به الحقوق، والتاسع: قلم التعبير وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره، والعاشر: قلم تواريخ العالم ودقائقها والحادي عشر: قلم اللغة وتفاصيلها، الثاني عشر: القلم الجامع، وهو قلم الرد على المبطلين ودفع شبه المحرفين، فهذه الأقلام بها انتظام مصالح العالم ويكفي في جلاله القلم انه لم تكتب كتب الله إلا به/ وانه تعالى أقسم به في كتابه انتهى ملخصا من كتاب أقسام القران..

باب في وجوب اعتقاد اسرائه عليه الصلاة والسلام بجسمه إلى المستوى الأعلى، واعتقاد صحة انشقاق القمر له صل الله عليه وسلم لوورد النص بهما واجماع الأمة عليهما، فلا يصح إيمان مؤمن بدون اعتقاد حقيقتهما. (ق217).

قال المصنف (ق218): وقد بين الله سبحانه بقية المعارج في سورة النجم، لان القرآن يفسر بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا، وقد قال الحافظ ابن القيم في كتابه الذي أفرده في عجائب الإسراء: أن المعارج ليلة الإسراء عشرة سبع منها إلى أعلى السموات، والثامن: إلى سدرة المنتهى، والتاسع: إلى المستوى الذي سمع فيه صرير الأقلام في تصاريف الأقدار، والعاشر: إلى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة، والكشف الحقيقي.

أذكار مأثورة عن النبي صل الله عليه وسلم وأصحابه: (ق220) :

قال المصنف: وأريد أن أختم الكتاب المبارك بأذكار مأثورة عن النبي صل الله عليه وسلم وأصحابه لعل الله ينفع بها مستعملها منها: ما ورد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال "ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله"، رواه الترمذي واللفظ له وابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد، وقال عمر رضي الله عنه: "وأفضل من ذكر الله باللسان ذكره عند أمره ونهيه". (ق220).

قال المصنف: واعلم أن من علامات سعادة المرء أن يكون معتنيا بمعرفة السنة واستعمالها في جميع تصرفاته وجميع حركاته وسكناته ونومه ويقظته وتكون أعماله كلها عبادة لكونها مبنية على السنة ولذلك قال الصادق المصدوق صل الله عليه وسلم: "نوم العالم خير من عبادة الجاهل" إذ بقدر العلم بالله عز وجل يكون الخوف منه، كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر - الآية 28]، ولا أحد أعلم بالله ولا اخوف من رسله صلوات الله عليهم اجمعين، وكذلك اهل التوفيق والمعرفة بالله من اوليائه هم أشد الناس خوفا بعد الأنبياء مع ما كانوا عليه من العمل بالخيرات آناء الليل وآناء النهار، فإن أردت اللحاق بهم، فأجعل ذكر الله سبحانه هجيرك وديدنك مصحوبا بالخوف والخشية والوجل والمراقبة. (ق221).

فصل في فضل الاستغفار (ق221).

باب في فضل أذكار مخصوصة (ق221).

باب في أذكار تقال عند الصباح والمساء (221).

باب في فضل العلم النافع(ق222).

فصل في بيان حقيقة الإيمان(ق222).

قال المصنف(ق231): اختلف في اشتقاق الإيمان هل هو من الأمن؟ أو من الامتنان؟ لإنه لا أثر للمخلوق في وجوده؛ بل هو منة من الله تعالى امتن بها على عبده حتى امنه بسببه من عذابه وعقابه فامنه مثله وآمن هو مثله.

وقال المصنف (ق240): ومن علامات محبة الله إيثار طاعته ومحبة نبيه، فلا مظهر على أحد من سنا نور الإيمان إلا بالإتباع للسنة ومجانبة البدعة، وأما من أعرض عن الكتاب والسنة، ولم يتعلق من علم مشكاة الرسول بعلاقة، بسبب دعواه علما لدُنيا أتاه، فهو من لدن النفس والشيطان، وإنما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا بموافقته لما جاء به الرسول من ربه تعالى، فالعلم اللدني نوعان: رحماني ولدني شيطاني، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله صل الله عليه وسلم.

قال المصنف (ق240): والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم، وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه، كما قال علي بن أبي طالب وقد سئل، هل خصكم رسول الله صل الله عليه وسلم دون الناس؟ فقال: إلا فهما يؤتيه الله تعالى عبدا في كتابه، فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض النفوس، ولذة الأرواح، وأنس المتوحشين، ودليل المتحيرين.

فصل في طعم الإيمان وهل هو حقيقي أو مجاز؟ (ق246)

قال المصنف: وأعلم أن ما قدمته في هذا الكتاب من أوله إلى آخره من تتبع درجات الإيمان المتفاوتة من النبوءة إلى إيمان العامة، إنما هو لقصد التفنن وبلوغ الغاية في العلوم الربانية لا أنه لا يحصل الإيمان بدونه، بل الإيمان يحصل لكل جازم كان جزمه باستدلال وبراهين وبدون ذلك. (ق249).

الخاتمة: (ق250):

قال المصنف: وقد أتاح الله ما إليه قصدت حتى سهل من فضله وإلهامه ما منه أردت، فالحمد لله على ما به أنعم، وما إليه من فضله وفق فتتم، والصلاة والسلام على محمد المحمود في الكونين، المبعوث إلى الثقلين، المنتخب من خير الفريقين، وعلى آله أفضل آل وأنور، وعلى أزواجه وذريته أكرم بيت واطهر، وعلى صحابته أفضل قائم بأمر الله وأظهر، من دوخ الله بأسيافهم الأمم الكافرة، فقهر حتى أنقاد إلى ملة الإسلام الأسود والأحمر، وأسأل الله تعالى من فضله العليم أن ينفع بهذا الكتاب من قرأه، أو علمه، أو سعى في شيء منه، أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، ومنعشا لسنة نبينا ذي الخلق العظيم، حائدا عن السمعة والرياء، مجانبا للشهوات وارتكاب الأهواء، مزيلا لأمراض القلب وجميع الأدواء، محييا له من موت الجهل والغفلة، موقظا له من نوم الكسل والفترة، مزيلا لغرور الأمل بنفحات الاستبصار والعمل، منقذا للنفس من دركات الغي والهوى إلى فسيح ساحة البر والتقوى، قادها لشعاع البصيرة بنبراس اليقين، مثيرا لكامن انوارها بأشعة التمكين، وهذا الكتاب أيدك الله بأنوار الإنصاف وحقائق البر والاعتراف، لم يسمح الزمان بمثله، ولم ينسج السلف في هذا الفن على

شكله؛ لأني أجريت فيه من آي الكتاب العزيز شموسا وأقمارا، واثرت فيه من الأحاديث النبوية عيونا وأنهارا، ورصعته بالحكم الربانية والأمثال الصمدانية والآداب الفردانية؛ فصيرته بتطريزه رياضا وانهارا، وسميته كتاب المنة في اعتقاد اهل السنة، مائلا عن سبيل غلاة اهل الكلام، مجانبا لطرق المعتزلة، وجميع أصناف أهل الأهواء الغاوين، إذ ليس فيه إلا نص صريح وسند صحيح، أو أدب صالح، أو مثل للمراد متيح، أو ما يثبت به الفؤاد، ويتنور به اليقين، فيزداد من ذكر معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء التي هي نتائج معجزات الأنبياء، قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) [هود – الآية 120]، وسبيل الأنبياء سبيل الأولياء، وقد ثبت وصح أن عند ذكر الصالحين تنزل البركة، فإذا كانت أنباء الرسل وقصصهم وصبرهم على البلايا مما يثبت الله به قلب نبيه وصفيه من خلقة، فما ظنك بغيره من المتلوثين بالذنوب، المتلطخين بأدواء العيوب، سيما أهل زماننا هذا الذين قد أقبلوا على الدنيا بالكلية، وادبروا عن الآخرة بالكلية، فطال عليهم الأمل حتى قست قلوبهم، وغرتهم الآمال وسيئات الأحوال، وسوء الظن بالأولياء، والجهل بحقائق الأنبياء حتى كادوا يضلون ضلالا بعيدا، فإنا لله وإنا إليه راجعون من فساد الأمة بعد صلاحها، وزيغها عن الهدى بعد فلاحها، فسئل الله تعالى العليم رب العرش العظيم أن يرد لها الكرة، ويزيل عنها الغواية والغرة بجاه نبيه الكريم أنه عليه يسير غير عسير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله.

انتهى بحمد لله وحسن عونه وتأييده على يد الخليف بن محمد البخاري لأخيه في الله وحبيبه سيدي محمد بن طالب الغدامسي وكان الفراغ منه يوم الجمعة السادس من ربيع النبوي عام خمس وستين بعد المائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين.

مختصر هذا الكتاب:

ونظرا لأهمية كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة وتعدد المواضيع والمباحث التي يتناول، فقد ألف العلامة الشيخ أحمد أبي الأعراف التكني الوادنوني كتابه الموسوم بـ: طريق الجنة في فوائد من كتاب المنة، عام 1347هـ، وهو اختصار لهذا الكتاب المبارك يقع في 133 صفحة، يقول مصنفه في بداية الكتاب: "وبعد فيقول عبيد ربه ورهين كسبه المعترف بعجزه وتقصيره أحمد بن أبي

الأعراف هذه الأوراق سميتها: طريق الجنة في فوائد من كتاب المنة في عقائد اهل السنة للعارف بالله تعالى الشيخ سيدي المختار الكنتي، لعل الله ان ينفع بها الله كما نفع بأصلها، وما ذلك على الله بعزيز ولا حول ولا قوة الله".

ويقول في نهايته: قد انتهى والحمد لله ما أردنا التقاطه من الفوائد الكثيرة النفع فكأنها عيون من هذا السفر المبارك العديم النظير نفعنا الله والمسلمين بعلوم صاحبه وبركاته آمين ووقع ذلك أي هذا الفراغ من إبراز هذه الدرر من هذا الكتاب العجيب في الثامن من جمادى الأولى من عام 1349هـ رحم الله السلف وبارك في الخلف.، وقد أتم نسخه سيد المختار بن لحبيب العلوي لأخيه أحمد بن أبي الأعراف في التاريخ المذكور قبل يغفر الله لي ولهم ولجميع المسلمين ولوالدينا ـ آمين .

الخاتمة:

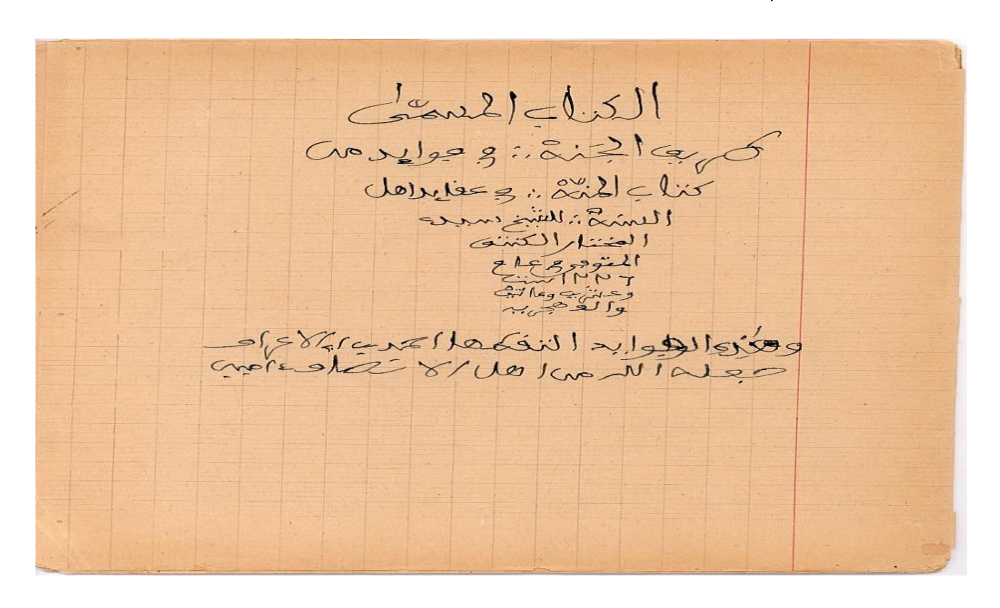
من النتائج التي تحصلنا عليها من خلال هذا الجهد المتواضع بالتعريف بهذا السفر المبارك: أهمية التعريف بكنوز المكتبات في أقاليم الصحراء الكبرى، وضرورة إنشاء مراكز علمية لإحياء التراث الإسلامي، وتحقيق المخطوطات – التي تعد بالآلاف ونشرها والتعريف بها، وأيضا أهمية التعريف بتراث المدرسة الكنتية متمثلة في الشيخ سيدي المختار الكنتي وابنه الشيخ سيدي محمد الخليفة وأحفاده وجهودهم في إثراء المكتبة الإسلامية، ونسأل الله أن يجعل هذا الإضاءات خالصة لوجهه الكريم وينفع بها، والله من وراء القصد.

الملاحق:

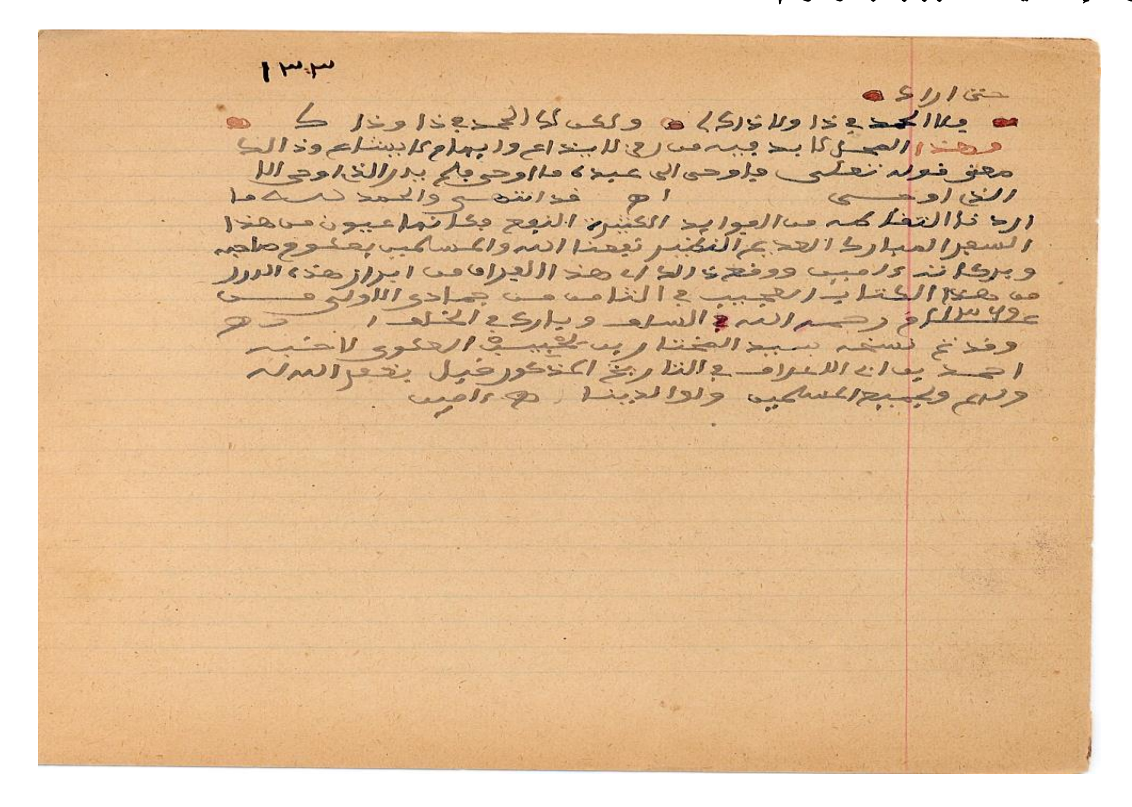
الورقة الأولى من مخطوط كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة – نسخة معهد الدّراسات العليا والبحوث الإسلاميّة الإمام أحمد بابا بتمبكتو – رقم النسخة: 170.

الورقة الأولى من نسخة الخزانة العامة بالرباط – رقم الحفظ: (02573)

الورقة الأولى من اختصار كتاب المنة الموسوم بـ: طريق الجنة في فوائد من كتاب المنة – نسخة معهد الدّراسات العليا والبحوث الإسلاميّة أحمد بابا بتمبكتو – رقم الحفظ : 397.


الكتاب المسمى
طريق الجنة في فوائد من
كتاب المنة في عقائد أهل
السنة للشيخ سيدي
المختار الكنتي

الورقة الأخيرة من اختصار كتاب المنة الموسوم بـ: طريق الجنة في فوائد من كتاب المنة – نسخة معهد الدّراسات العليا والبحوث الإسلاميّة أحمد بابا بتمبكتو – رقم الحفظ : 397.



المراجع:

1- جامع كرامات الأولياء – ليوسف بن إسماعيل النبهاني – مطبعة الحلبي بالقاهرة – (ج2/ص260).

2- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية بالقاهرة – (ص377).

3- أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، للدكتور عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مطبعة مدبولي بالقاهرة (ص 38).

4- تخليص الإبريز في تخليص باريز، رفاعة رافع الطهطاوي، مطبعة دار ابن زيدون، بيروت (ص 50).

5- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، أبي عبد الله الطالب بن محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، ت محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط 1، 1981 م (ص: 152).

6- يقع الكتاب في سبعة أجزاء ضخام ويعتبر موسوعة تاريخية وادبية وفكرية وسياسية ويعتبر أيضا مرجعا تاريخيا لتاريخ الصحراء الكبرى. وقد طبع المعهد الموريتاني للبحث العلمي منه جزئين عام 1994م من تحقيق الأستاذ عابدين حم لمين، وطبع في الجزائر منه أجزاء من تحقيق الأستاذ يحي ولد سيدي أحمد.

7- هو احمد بن امبارك بن برك بن محمد الملقب بلعراف الموسوعلي عشيرة، التكني قبيلة الجليميمي منشأ ومولدا، الودانوني ولد في عام 1864م، في اكليميم بالمغرب في أسرة عريقة عرفت بانتسابها للعلم وذات مكانة اجتماعية رفيع، حفظ القرآن صغيرا، ثم رحل في طلب العلم إلى بلاد شنقيط ، ثم استقر في تنبكت عام 1907م وأسس مكتبته بها وظهر نبوغه العلمي واهتمامه بإحياء التراث الإسلامي، فقد درس بمساجدها وكان تأتيها النوازل فيجيب بالأجوبة الشافية، ألف الكثير من الكتب تزيد على الثلاثين ما بين اختصار ونظم وشرح وفهرست نوازل العلماء الكبار، وقد جمع الله له بين التجارة والعلم فاستغل شبكة علاقته في جمع المخطوطات والكتب.. انظر ترجمته في مقدمة المحقق لكتابه الفريد: إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من اهل التكرور والصحراء وشنقيط.

8- إزالة الريب والشك والتفريك في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وشنقيط – تأليف: أحمد أبي الأعراف التكني، دراسة وتحقيق: د. الهادي المبروك الدالي، الطبعة الأولى 2001 – الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا، ص 159.

9- نسخة معهد أحمد بابا بتمكتو ، رقم الحفظ: 397 – بعنوان : طريق الجنة في فوائد من كتاب المنة – اسم النّاسخ : سيد المختار بن لحبيب العلوي – تاريخ النّسخ : 1369هـ 1949 م – عدد الصّفحات: 133 – عدد الأوراق : 67 – عدد الأسطر : 15 – مقياس الغلاف : 19.5 × 22.5 سم – مقياس الورقة : 17.2 × 21.9سم – مقياس النّص : 15 × 19.5سم – حالة المخطوط : تام.

10- اعتمدنا في جرد النسخ الخطية من المخطوط على قواعد البيانات (فهارس المخطوطات) التابعة لعدة مؤسسات ومنها: مؤسسة الفرقان بلندن : https://digitallibrary.al-furqan.com/world_library، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: https://digitallibrary.al-furqan.com/world_library، الفهرس الموحد للمخطوطات : https://eservices.kfnl.gov.sa:8060/mans/Home/Details/0a5f5c95-b0aa-4c4a-b534-81c2773db94f

.... ❖❖❖❖❖ ....

دراسة أسلوبية لكتابات الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

أ.د. مجيب الرحمن*

ملخص البحث

تعد الأسلوبية من المناهج النقدية اللغوية الحديثة التي أثرت تأثيرا بالغا في تحليل النصوص الأدبية من النواحي الأسلوبية. والأسلوبية منهج نقدي لغوي حديث يركز على تحليل النصوص الأدبية من حيث بنيتها اللغوية وأثرها الجمالي والدلالي معتبرًا الأسلوب وسيلة للتعبير الفني، ويدرس سمات الأسلوب كالمجازات والصور الشعرية والإيقاعات، ويهتم بجماليات النص وتأثيره على المتلقي. تأثرت الأسلوبية بمناهج نقدية أخرى وبتراث البلاغة العربية، وتتناول عناصر كالأمثال والأساطير، وتحلل النصوص عبر مستويات لفظية وتركيبية ودلالية لاستكشاف بناها العميقة. رغم تخصصها في نقد الأدب، لا تكون الأسلوبية مستقلة تمامًا، وقد تطورت مع سعي النقد ليصبح علمًا بقواعد معرفية خاصة. عادةً ما تحلل الأسلوبية النصوص من خلال ثلاثة مستويات رئيسية: المستوى اللفظي، والتركيبي، والدلالي، بهدف استكشاف البنى العميقة للخطاب.

يسعى هذا البحث إلى دراسة أسلوبية لكتابات الشيخ محمد واضح رشيد الندوي أحد أعلام الكتابة العربية في الهند من أجل استكشاف خصائص ومميزات أسلوبه في الكتابة العربية ومدى تأثيره في نفوس المتلقين.

الكلمات المفتاحية: واضح رشيد الحسني الندوي، دراسة أسلوبية، مناهج نقدية حديثة، الأثر الجمالي والدلالي، البلاغة العربية، البنى العميقة للخطاب، التأثير في نفس المتلقي.

تعريفات الأسلوبية عند العلماء الغربيين:

لقد تعددت تعريفات الأسلوبية عبر العصور، حيث تناولها العلماء الغربيون والعرب القدماء والمحدثون من زوايا مختلفة، فمن العلماء الغربيين من قدموا التعريفات التالية للأسلوبية:

---

* أستاذ الأدب العربي، ورئيس مركز الدراسات العربية والأفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

1. شارل بالي (Charles Bally): يرى أن الأسلوبية هي دراسة التعبير اللغوي في علاقته بالتأثير النفسي، حيث يهتم الباحثون بالوسائل التعبيرية في اللغة وتأثيرها على المتلقي.[1]

2. ليو سبيتزر (Leo Spitzer): عرّف الأسلوبية بأنها دراسة الظواهر اللغوية في علاقتها بالوظيفة الجمالية للنص الأدبي.[2]

3. رومان ياكوبسون (Roman Jakobson): رأى أن الأسلوبية ترتبط بالبنية الشكلية للنصوص، مؤكدًا أن "وظيفة الرسالة الجمالية" هي المحدد الأساسي للأسلوب.[3]

4. ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin): ركّز على تعدد الأصوات في النص الأدبي، موضحًا أن الأسلوب لا ينفصل عن السياق الاجتماعي والثقافي.[4]

تعريفات الأسلوبية عند العرب القدماء:

1. ابن خلدون: لم يستخدم مصطلح "الأسلوبية" بالمعنى الحديث، لكنه تحدث عن "أساليب الكلام" و"أنواع التعبير" في مقدمته، مؤكدًا أن الأسلوب يتحدد بالسياق الزماني والمكاني للمتكلم.[5]

2. ابن قتيبة: في كتابه أدب الكاتب، ناقش الأسلوب بوصفه عنصرًا مميزًا بين الكتاب والشعراء، وأكد على ضرورة التناسب بين المعنى والأسلوب.[6]

---

[1] شارل بالي: "في الأسلوبية"، ترجمة عربية، ترجمة محمد لطفي الزيات، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1996، ص 14

[2] Spitzer, Leo. *Linguistics and Literary History: Essays in Stylistics*. Princeton University Press, 1948.

[3] رومان ياكوبسون، ترجمة عربية في : صلاح فضل، "علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته"، القاهرة: دار الشروق، 1998، ص 8

[4] ميخائيل باختنتين، "الخطاب الروائي" ترجمة عربية لمحمد برادة، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1997، ص263

[5] ابن خلدون، *المقدمة*، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيروت: دار الفكر، 2005، ص 448

[6] ابن قتيبة، *أدب الكاتب*، تحقيق محمد الدالي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982، الجزء الأول ص 22

3. الجاحظ: يرى أن الأسلوب انعكاس لفكر الكاتب وثقافته، وأكد على وضوح التعبير ودقة انتقاء الكلمات.[7]

تعريفات الأسلوبية عند المحدثين من العرب:

1. عبد السلام المسدي: في كتابه الأسلوبية والأسلوب، يعرّف الأسلوبية بأنها "علم لغوي حديث يهدف إلى دراسة البنية اللغوية في مستوياتها المختلفة، مع التركيز على العلاقات التي تربط بين الشكل والمضمون".[8]

2. شكري عياد: يعرّف الأسلوبية بأنها "دراسة فنية للنصوص تستكشف الخصائص الجمالية واللغوية التي تمنح العمل الأدبي خصوصيته". [9]

3. صلاح فضل: يرى أن الأسلوبية هي منهج تحليلي يعتمد على دراسة العلاقات اللغوية داخل النص، واستكشاف أثرها في تشكيل المعنى.[10]

تجمع التعريفات الغربية والعربية للأسلوبية بين الجانب اللغوي والجمالي، مع اختلاف في التركيز على البنية الشكلية أو السياق الثقافي والاجتماعي. وفي العصر الحديث، تطورت الأسلوبية لتصبح مجالًا متعدد التخصصات يجمع بين اللسانيات، النقد الأدبي، وتحليل الخطاب.

تعد الدراسات الأسلوبية من المناهج الحديثة التي تعنى بتحليل النصوص الأدبية بغرض الكشف عن الخصائص اللغوية والفنية التي تميز أسلوب كاتب معين. ومن بين الأعلام الذين تميزوا بأسلوب فريد في الكتابة العربية المعاصرة في الهند يأتي الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي، الذي برز بإنتاجه الغزير في مجالات الفكر الإسلامي والأدب العربي.

---

[7] الجاحظ، *البيان والتبيين*، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1968 الجزء الأول ص 75

[8] عبد السلام المسدي، *الأسلوبية والأسلوب*، تونس: الدار العربية للكتاب، 1982، ص 37

[9] شكري عياد، *مدخل إلى علم الأسلوب*، القاهرة: دار الفكر العربي، 1985، المقدمة ص 5

[10] صلاح فضل، *علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته*، القاهرة: دار الشروق، 1998، ص 19.

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على الخصائص الأسلوبية التي تميز كتابات الأستاذ الندوي، وذلك من خلال تحليل عناصرها اللغوية والتركيبية والبلاغية، بهدف تقديم رؤية واضحة عن السمات التي جعلت أسلوبه فريدًا ومؤثرًا. تساعد الدراسة الأسلوبية لكتابات الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي في الكشف عن خصائصه اللغوية والتعبيرية التي تميزه عن غيره، مما يسهم في الحصول على فهم أعمق لنصوصه وأسلوبه في بناء الجمل واستخدام المفردات والصور البلاغية. كما تسهم في تحليل تطور أسلوب الكاتب عبر مراحل كتاباته المختلفة، مما يتيح دراسة التأثيرات الفكرية والثقافية التي انعكست على نصوصه. بالإضافة إلى ذلك، تساعد الدراسة الأسلوبية في تحديد مدى تأثير الكاتب على غيره من الأدباء وتوضيح البنية الجمالية لنصوصه، مما يعزز التقدير النقدي لنصوصه الأدبية.

نبذة عن الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي:

الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي (1935-2019) هو عالم وأديب ومفكر إسلامي هندي بارز، وأحد أعلام الدعوة الإسلامية والأدب العربي في شبه القارة الهندية في العصر الحديث. ولد عام 1935م في قرية تكية كلان بمديرية رائي بريلي في ولاية أترا براديش بالهند، في أسرة عريقة تنتسب إلى السيد الحسن بن علي رضي الله عنهما. كان ابن أخت العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي، والأخ الأصغر للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي.

ألّف أكثر من عشرين كتابًا بالعربية، بين مؤلفات أصيلة وترجمات، وتميّز بأسلوب فريد في الكتابة، لا سيما في مجال الصحافة العربية التحليلية. وقد تجلّى هذا الأسلوب بوجه خاص في عموده الثابت "صور وأوضاع" في مجلة البعث *الإسلامي*، حيث قدّم تحليلات عميقة ونافذة ومستبصرة للأوضاع العالمية الراهنة، مع تعليقات دقيقة على القضايا الساخنة. لاقت كتاباته رواجًا واسعًا، ليس في الهند فحسب، بل أيضًا في العالم العربي، وكانت بحق إحدى العلامات البارزة في مجلة *البعث الإسلامي*.

مسيرته العملية

بدأ حياته العملية عام 1953م في إذاعة عموم الهند بدلهي، حيث عمل مترجماً ومذيعًا في القسم العربي لمدة عشرين عامًا (حتى 1973م). خلال هذه الفترة، توسعت معرفته بالعلوم السياسية والاجتماعية والثقافة الغربية. بعد ذلك، رجع إلى ندوة العلماء، حيث تفرغ للتدريس والكتابة والإدارة. شغل مناصب عديدة، منها عميد كلية اللغة العربية وآدابها، ومدير المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، وفي عام 2006م تولى رئاسة الشؤون التعليمية لندوة العلماء.

كما كان رئيس تحرير صحيفة "الرائد" النصف شهرية، ورئيس تحرير مشارك لمجلة "البعث الإسلامي"، وهما من أبرز المنشورات الصادرة عن ندوة العلماء، مما جعله رائداً في الصحافة العربية الهندية.

إسهاماته الفكرية والأدبية:

تميّز الشيخ واضح رشيد الندوي بإنتاجه الغزير في مجالات الأدب العربي، والفكر الإسلامي، والتاريخ، والنقد. كتب أكثر من عشرين مؤلفا باللغة العربية، ومن أشهرها:

- "أعلام الأدب العربي في العصر الحديث": دراسة عن أبرز الأدباء المعاصرين.
- "حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج": بحث في تاريخ التعليم الإسلامي.
- "الدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند": تحليل لجهود الدعاة في الهند.
- "مختصر الشمائل النبوية": كتاب عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم.
- "من قضايا الغزو الفكري": نقد للغزو الفكري الغربي.
- لمحات من السيرة النبوية والأدب النبوي
- أدب الصحوة الإسلامية
- سيدنا محمد رسول الله وصحابته رضي الله عنهم
- أدب أهل القلوب
- الشيخ أبو الحسن الندوي قائدا حكيما
- الإمام أحمد بن عرفان الشهيد
- تاريخ الثقافة الإسلامية

- **المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي**

إن الشيخ واضح رشيد الندوي كان شخصية علمية وأدبية مميزة، كان يفهم مشاكل زماننا ويحللها بعمق، وكان دائماً ينتقد الجانب المادي في الحضارة الغربية بنظرة ثاقبة. في نفس الوقت، كان همه الأكبر أن يقوي الفكر القرآني ويزرع الهوية الإسلامية في النفوس. كان يحارب الأفكار التي تهدد الثوابت الإسلامية، ويساعد في تكوين جيل واع يواجه تحديات العصر بثقة.

أما أسلوبه في الكتابة، الذي هو موضوع بحثنا في هذا المقال، فكان يتغير حسب الموضوع الذي يكتب فيه، أي، حين يكتب المقال في الجريدة، فأسلوبه يتميز بالرصانة الصحفية، غير الأسلوب الذي يتبعه في كتاباته عن الدعوة أو الفكر الإسلامي، أو المواضيع العلمية. لكن بشكل عام، كتاباته بالعربية كان لها طابع خاص، يجعلك تحس أنه قريب منك وفي نفس الوقت هوعميق ومؤثر. فيما يلي بعض أهم وأبرز خصائص أسلوبه التي استخلصتها بمتابعة متأنية لجميع كتاباته.

1. **الوضوح والسهولة في التعبير**

يتسم أسلوب الأستاذ الندوي بالوضوح والسهولة، فهو يعتمد على جمل قصيرة ومباشرة تخدم الفكرة الرئيسية دون تكلف أو إطناب مفرط. ويعود ذلك إلى حرصه على إيصال المعاني بأكبر قدر من الدقة والبساطة، مما يجعل كتاباته في متناول القارئ العام والمتخصص على حد سواء. ويظهر ذلك في اختيار الألفاظ المألوفة والأساليب السردية التي تتجنب الغموض والتعقيد.

2. **التوازن بين الفصاحة والحداثة**

يجمع أسلوب الندوي بين الفصاحة العربية المستمدة من التراث والحداثة التي تواكب العصر. فهو يستخدم التراكيب التقليدية دون أن يبتعد عن التعبيرات المعاصرة، مما يعطي كتاباته طابعاً متجدداً يحافظ على أصالة اللغة مع الاستفادة من التطورات اللغوية الحديثة. كما أن استخدامه للمصطلحات الحديثة يبرز وعيه بمتطلبات الكتابة في العصر الحديث دون الإخلال بجماليات العربية الفصيحة.

3. **الإيقاع الموسيقي في اللغة**

يميل أسلوب الندوي إلى توظيف الإيقاع الموسيقي داخل الجملة، حيث نجد العناية بالسجع أحيانًا، والازدواجية في العبارات، مما يضفي على نصوصه طابعًا أدبيًا محببًا للقارئ. هذا الإيقاع يظهر جليًا في استخدامه للجمل المتوازنة، والتراكيب المتناغمة التي تضفي إيقاعًا محببًا يسهل حفظه واستيعابه.

4. العمق الفكري مع بساطة العرض

رغم سهولة التعبير، فإن كتاباته تتميز بعمق فكري كبير، حيث يتناول القضايا بطرح منطقي وتحليل دقيق، مستعينًا بالأدلة النصية والعقلية. وهذا الأسلوب يجعله قادرًا على مخاطبة مختلف الفئات بأسلوب يجمع بين الإقناع العقلي والجاذبية الأدبية. فهو لا يكتفي بالسرد الوصفي بل يحلل الأفكار ويضعها في سياقها التاريخي والفكري، مما يمنح كتاباته قيمة فكرية وأكاديمية عالية.

5. توظيف الاستشهادات والنصوص الدينية

يكثر الندوي من توظيف الاستشهادات القرآنية والحديثية، إضافة إلى الاقتباسات الأدبية، لتعزيز أفكاره. هذه الاستشهادات لا تأتي في نصوصه على سبيل الزخرفة، وإنما تؤدي دورًا وظيفيًا في دعم الأفكار وتقويتها. كما أن استخدامه للنصوص الدينية يعكس تمكنه العميق من العلوم الشرعية، ويضفي على كتاباته طابعًا علميًا يربط بين الأدب والفكر الإسلامي.

تحليل نماذج من كتاباته:

فيما يلي أسرد بعض نماذج من كتاباته التي ترشد إلى الخصائص الأسلوبية المذكورة في كتاباته. يقول الشيخ الندوي في كتابه "مصادر الأدب الإسلامي" وهو يقدم خصائص أسلوب الجاحظ: "وتظهر في كتابات الجاحظ شخصيته ظهورا تاما، وقد تحرر من قيود كثيرة تقيد بها علماء عصره- التحرر من التزام الجد، وثقل الغموض، ويخلط الجد بالهزل، ويسيغك اللقمة الجافة بكثير من الحلوى"[11]، وتمعنوا معي نموذجا آخر لأسلوبه في الكتابة العربية وهو يتحدث عن الحضارة الغربية "رفعت الحضارة الحديثة من قوة الارتباط والوفاق، فيتمتع الفرد في المجتمع بشرف وكرامة وطمأنينة وضمانات في ظل نظم وقوانين لحقوق الإنسان، وأنشأ وكالات تراقب عليها وتنظمها، وتدرس إمكانات

---

[11] واضح رشيد الندوي، مصادر الأدب العربي، ص 34

رفعها، وتدين كل مخالفة لها"[12]....ويستمر في ذكر صفات الحضارة الغربية من محاسنها وعيوبها، فيقول في بيان عيوبها " كل ذلك وأمثال ذلك كثيرة يدل على ازدواج الحضارة الأوربية أي مقاييس للداخل، ومقاييس للخارج، أو مقاييس لطبقة، ومقاييس أخرى لطبقة أخرى. لقد ظهرت هذه الازدواجية في عهد الاستعمار وبعد انحسار الاستعمار، فقامت أوربا بالبناء من جهة، وبالهدم من جهة أخرى، وبالتحقيق وبالبحث من جهة، وبإبادة ثمار التحقيق والبحث من جهة أخرى، وبرفع مستوى المعيشة من جهة، وبإحداث المعاناة والمقاساة من جهة أخرى....إنها حلت مشاكل الحياة، والصراعات، وخلقت مشاكل وصراعات تُسفك فيها دماء الناس".[13] وفي معرض بيان أسلوب الأستاذ محمد كرد علي في كتاب أعلام الأدب العربي الحديث كتب " كان كرد علي صحفيا ومنشئا مترلا، يمتاز أسلوه بالرقة في التعبير من غير تفخيم، وسهولة في التعبير من غير تكلف، ويرسل النفس على سجيتها، يتخير الألفاظ، ويسعى لاستعمال الكلمة البليغة، واقرب الألفاظ عنده ما خف على اللسان، وراق السمع"[14]، في معرض التعريف للغزو الفكري يقول الشيخ محمد واضح رشيد الندوي " الغزو الفكري تعبير حديث يستخدم مقابل الغزو العسكري، والفارق بينهما يكمن في الوسائل، لا في الهدف، الهدف هو الاستيلاء، والهيمنة، والسيطرة، ولأجل ذلك يجري عمل الغزو. في الغزو العسكري يستخدم الجيش، والسلاح، للاستيلاء على الأراضي، وعلى سكان الأراضي، وفي الغزو الفكري يستهدف الغازي الاستيلاء على الأذهان، وتفكير سكان بلد من البلدان، الغزو العسكري ينتهي بجلاء القوات الغزية، الغزو الفكري يبقى، سواء بقيت القوات الغازية، أم رحلت، فإذا تم غزو الفكر لشعب من الشعوب، فإن هذا الشعب يبقى مواليا ومتبعا مقلدا للغازي، وإن انحسر ظله، فهو يحكمه ويسطر عليه من وراء البحار، ومن وراء الستار، والغزو الثقافي محدود ومحصور على الجوانب الثقافية، وهو نتيجة للغزو الفكري، فإذا تغير الفكر، تغيرت الثقافة طبعا، والثقافة هي أناط اللباس، والأكل، والشرب، والبناء، والسلوك، والمعاملة، والأخلاق، أما الفكر، فهو الموجه الرئيسي والمحول لاتجاه الإنسان، واختيار سبل

---

[12] واضح رشيد الندوي، من قضايا الفكر الإسلامي- الغزو الفكري، ص 64

[13] المصدر السابق، ص 65

[14] واضح رشيد الندوي، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، ص 203.

الحياة، والسلوك"[15]، وإذا قمنا بتفكيك البنية الأسلوبية للعبارة هذه وجدنا أن أسلوب الأستاذ واضح رشيد الندوي في هذه العبارة يتميز بالوضوح، والتنظيم المنطقي، والتوازن البلاغي، مع مزيج من الإيجاز والتوسع حسب الحاجة. يعتمد على التقابل والتكرار لتعزيز الفكرة، ويستخدم لغة تحليلية ذات طابع فلسفي تحمل صورًا تعبيرية خفيفة، مما يجعل النص مؤثرًا ومقنعًا في الوقت ذاته. وإذا بسطنا قليلا هذه النقاط وجدنا السمات الأسلوبية في عدد من المحاور، وهي:

التوازن والتقابل: يبرز الأسلوب في المقارنة بين "الغزو الفكري" و"الغزو العسكري" باستخدام تقابل واضح في الوسائل والهدف. على سبيل المثال: "الفارق بينهما يكمن في الوسائل، لا في الهدف"، وهذه الجملة تعكس إيجازًا بليغًا يجمع بين الدقة والتكثيف. كما أن تكرار كلمة "الاستيلاء" في سياقات مختلفة (الأراضي، الأذهان) يعزز من فكرة التوازن بين المفهومين.

التكرار المقصود: استخدام تكرار كلمات مثل "الاستيلاء" و"الهيمنة" و"السيطرة" يعمل على ترسيخ الفكرة الأساسية في ذهن القارئ، مما يضفي قوة تعبيرية ويبرز الهدف المشترك بين الغزوين. هذا التكرار ليس عشوائيًا، بل يخدم غرضًا بلاغيًا في توجيه الانتباه.

الإيجاز والتوسع: العبارة تبدأ بتعريف موجز "الغزو الفكري تعبير حديث يستخدم مقابل الغزو العسكري"، ثم تنتقل إلى التوسع في الشرح بأسلوب تحليلي يمزج بين التبسيط والعمق. فمثلاً، عندما يقول "في الغزو العسكري يستخدم الجيش، والسلاح"، يقابلها "وفي الغزو الفكري يستهدف الغازي الاستيلاء على الأذهان"، مما يظهر تناسقًا في البناء مع انتقال سلس بين الأفكار.

الصور البلاغية: يستخدم الكاتب صورًا تعبيرية مثل "من وراء البحار، ومن وراء الستار" للدلالة على السيطرة الخفية والبعيدة، مما يضفي طابعًا شعريًا خفيفًا على النص ويعزز من قوته التصويرية. هذه الصور تجعل الفكرة أكثر حيوية وتأثيرًا.

---

[15] من قضايا الفكر الإسلامي الغزو الفكري، مقالات محمد واشح رشيد الندوي، جمع ومراجعة الأستاذ محمد وثيق الندوي، دار الرشيد للطباعة والنشر والتزريع، لكناؤ، الطبعة الأولى 2016.

التدرج في الأفكار: هناك تدرج منطقي في العرض، حيث ينتقل من تعريف الغزو الفكري إلى مقارنته بالغزو العسكري، ثم إلى آثاره طويلة الأمد، وأخيراً إلى العلاقة بين الفكر والثقافة. هذا التدرج يجعل النص سهل المتابعة ومنظماً.

اللغة التحليلية والفلسفية: يعتمد الأستاذ على لغة تحليلية تحمل طابعاً فلسفياً، كما في "فإذا تم غزو الفكر لشعب من الشعوب، فإن هذا الشعب يبقى موالياً ومتبعاً مقلداً للغازي". هذا الأسلوب يعكس عمق التفكير ويحث القارئ على التأمل.

التعداد والتفصيل: في الجزء المتعلق بالثقافة "أنماط اللباس، والأكل، والشرب، والبناء، والسلوك، والمعاملة، والأخلاق"، يستخدم التعداد لإبراز شمولية تأثير الفكر على جوانب الحياة المختلفة، مما يعطي النص بعداً شاملاً ويعزز الحجة.

الإغلاق القوي: يختتم النص بجملة قوية "والفكر، فهو الموجه الرئيسي والمحول لاتجاه الإنسان"، وهي تعمل كخلاصة جامعة تؤكد على مركزية الفكر في العملية برمتها، مع استخدام الفاصلة بعد "والفكر" لإضفاء وقع درامي يلفت الانتباه.

دور الأسلوب في تأثير كتاباته:

إن تميز أسلوب الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي لم يكن مجرد أمر جمالي، بل كان له دور كبير في انتشار أفكاره وتأثيرها في القراء. فوضوح المعنى وسهولة العرض جعلت كتاباته تحظى بقبول واسع، سواء بين الباحثين أو القراء العاديين. كما أن عمق الطرح وقوة الحجة أسهما في تعزيز تأثيره الفكري، مما جعله أحد أهم الكتاب الذين ساهموا في إثراء الفكر الإسلامي المعاصر.

الخاتمة

تشكل كتابات الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي نموذجاً بارزاً للأسلوب العربي الحديث الذي يجمع بين الأصالة والتجديد. ومن خلال الدراسة الأسلوبية، يتضح أن أسلوبه يتميز بالوضوح، والعمق، والتوازن بين الفصاحة والحداثة، مما يجعله أحد الكتاب الذين يمكن الاستفادة من منهجهم في تطوير الكتابة العربية المعاصرة. إن تحليل كتاباته يظهر لنا مدى قدرته على الجمع بين الفكر والأدب، مما يجعل إنتاجه نموذجاً يُحتذى به في الكتابة العربية الحديثة.

المصادر العربية:

1. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، من قضايا الفكر الإسلامي – الغزو الفكري، دار الرشيد لكناؤ، الهند 2016
2. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، مصادر الأدب الإسلامي دار الرشيد لكناؤ، الهند 2012
3. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، دار الرشيد لكناؤ، الهند 2009
4. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، من قضايا الفكر الإسلامي - الغزو الفكري، دار الرشيد لكناؤ، الهند 2016
5. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، المجمع الإسلامي العلمي، 2005
6. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، الشيخ أبو الحسن الندوي قائدا حكيما، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، 2012
7. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، أبو الحسن علي الحسني الندوي منابع فكره ومنهجه، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، 2017
8. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، أدب أهل القلوب، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، 2007
9. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، سيدنا محمد رسول الله صلى الله عله وسلم وصحابته رضي الله عنهم، المجمع الإسلامي العلمي، 2016
10. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، أدب الصحوة الإسلامية، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، 2009
11. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، لمحات من السيرة النبوية والأدب النبوي، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، 2010
12. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الهند، 2006
13. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتبة اليحيوية سهارنفور، الهند، 2013
14. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، مكتب رابطة الادب الإسلامي العالمية، لكناؤ، الهند، 2004
15. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، الدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، 2009
16. محمد واضح رشيد الحسني الندوي، تاريخ الثقافة الإسلامية ومناهجها في الهند، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، 2009

المراجع الغربية:

1. Bally, Charles. *Traité de stylistique française*. Genève: Droz, 1909.
ترجمة عربية :شارل بالي، "في الأسلوبية"، ترجمة محمد لطفي الزيات، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1996.

2. Spitzer, Leo. *Linguistics and Literary History: Essays in Stylistics*. Princeton University Press, 1948.

يمكن الرجوع إلى دراسات نقدية عربية تناولت نظريته، مثل:عبد السلام المسدي، "الأسلوبية والأسلوب"، تونس: الدار العربية للكتاب، 1982.

3. Jakobson, Roman. *Linguistics and Poetics*, in *Style in Language*, ed. by Thomas Sebeok, MIT Press, 1960.

ترجمة عربية في :صلاح فضل، "علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته"، القاهرة: دار الشروق، 1998.

4. Bakhtin, Mikhail. *The Dialogic Imagination: Four Essays*, University of Texas Press, 1981.

ترجمة عربية :ميخائيل باختين، "الخطاب الروائي"، ترجمة محمد برادة، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1997.

المراجع العربية القديمة:

5. ابن خلدون، *المقدمة*، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيروت: دار الفكر، 2005.
6. ابن قتيبة، أدب *الكاتب*، تحقيق محمد الدالي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982.
7. الجاحظ، *البيان والتبيين*، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1968.

المراجع العربية الحديثة:

8. عبد السلام المسدي، *الأسلوبية والأسلوب*، تونس: الدار العربية للكتاب، 1982.
9. شكري عياد، *مدخل إلى علم الأسلوب*، القاهرة: دار الفكر العربي، 1985.

الرسائل الجامعية

10. رسالة الدكتوراة التي تقدم بها الباحث محبوب عالم عن حياة وأعمال الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي إلى مركز الدراسات العربية والأفريقية بجامعة جواهر جواهر لال نهرو، نيو دلهي، في عام 2021

.... ❖❖❖❖❖ ....

الأدب في عصر الثورة الرقمية

د. جاويد نديم الندوي*

موجز البحث

لقد خسر المجتمع كثيرًا بخسارة الأدب، ذلك الأدب الذي كانت غايته إحداث ثورة فكرية تقود الشعب نحو خلق بيئة قوية تتسم بالوعي والإحساس بالتعاضد والتضامن، وتتسم تصرفاته بالاستقامة والإخلاص والإيثار والتودد. لكن مع تغير وجهات النظر عقب الثورة الصناعية، طغت الأهداف المادية، واستولت الطبقة الرأسمالية والمؤسسات المالية العالمية على الأدب، ملقحة إياه بمعانٍ تخدم مصالحها الاقتصادية، لتفرض هيمنتها على مفهومه بالكامل، حتى خضع الأدب لسيطرة الرأسمالية. ثم تلاعبت به عبر التكنولوجيا ووسائل الإعلام والاتصالات، فتلاشى منه مفهوم القيم والمبادئ الأخلاقية، وحلّت محله مفاهيم الحب والتشويق والإغراء والإثارة والإباحية تحت شعار الإبداع والابتكار. وهكذا، سيطرت الاتجاهات السلبية على عقول الناس، عززتها التكنولوجيا، فراجت موضوعات مثيرة عبر الفضاء الإلكتروني.

ابتعدت الجماهير عن الكتب الأدبية والنصوص التربوية، وانجذبت القلوب إلى المواد المعروضة على شاشات التلفاز، ثم الحواسيب. ولم تكتفِ منصات التواصل الاجتماعي بذلك، بل صبّت مزيداً من الزيت على النار، فاتجه المراهقون إليها بغرض الترفيه التافه، ولحقت الخسارة بالجيل الناشئ، إذ ضلّ الناس الطريق وتاهوا في دروب الحياة اللماعة الخادعة. ولإعادتهم إلى المسار الصحيح، يجب الترويج لأدب يزكي النفوس ويصفي القلوب، ويهذب العقول، وينفخ فيها روح السماحة والاستقامة والأمانة وضبط النفس، ويعلي قيم احترام الإنسان، والحياء، والعفة، والكرامة.

كلمات مفتاحية: الأدب، التكنولوجيا، القلق، الاضطراب، التربية، الانبساط الروحي

تمهيد:

مما لا شك فيه أن الأدب كلما ارتبط بالقيم والمبادئ الأخلاقية كلما تعززت به الثقافة بنفس القدر. فمن أجل غرس ثقافة مؤثرة في قلوب الناس من اللازم أن يحتوي الأدب على محتويات تصفي

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، جامعة مولانا آزاد الأردوية الوطنية، حيدرآباد

النفوس وتنقّي الأرواح إلى جانب قيامه بتعزيز الذكاء والقدرة على الفهم والاستنتاج والتحليل والتمييز.

وفي ظل الثورة الرقمية لقد تعرّض الأدب لتحديات متنوعة. إذ كان من المفترض أنه يلعب دورًا قياديًّا في ترشيد الشعب إلى تحقيق النمو الفكري والنضج الثقافي، ليمكن التقدم إلى مستقبل أفضل، وأكثر إشراقًا وأمانًا. ولكن تجلّى للباحثين أن الوضع مختلف تماماً.

مع الطفرة التكنولوجية، تغيرت الظروف وسلكت مسارًا مغايرًا لما كان مأمولًا. فالأدب، رغم توافره بين أيدينا في أكمل صورة وأفضل حال، عجز عن تهذيب النفوس وصقل الأذهان، لاسيّما في عصرنا الحالي. وتشير التحليلات العلمية إلى أن الغزو الرقمي لعب دورًا بارزًا في استفحال هذه الأزمة، إذ يسهم الجهاز الرقمي بشكل ملحوظ في تشتيت الانتباه من الأمور الجوهرية إلى التفاهات، إلا إذا كان المستخدم ناضج الفكر، واعي الذهن، وقادرًا على التمييز بين النافع والضار. فبينما يتم تبادل الأفكار والأشعار عبر الشبكة، نادرًا ما نجد ما يعزز العقول أو ينير القلوب.

لهذا السبب، اندفع حاكم كاليفورنيا، جافين نيوسوم، إلى إصدار قرار بحظر استخدام الهواتف الذكية داخل الفصول الدراسية، سعيًا لتهيئة بيئة مواتية للأغراض الأكاديمية. وأُرسلت خطابات إلى مديري المدارس تحمل توجيهات تؤكد ضرورة منع الشباب من استخدام الهواتف الذكية في السياق الحالي، لما في ذلك من ضرر على تركيزهم في الشؤون التعليمية نتيجة الاستخدام المفرط. وليس الأمر مقتصرًا على معاناة التعليم فحسب، بل برزت قضايا أخرى، كالأضرار الصحية والنفسية. فقد لوحظ أن القلوب أصبحت أكثر قسوة وظلامًا بسبب الإفراط في استخدام هذه الأجهزة، ويرجع ذلك إلى الابتعاد عن الأدب ونصوص التربية. فانجذبت القلوب إلى الآلات الرقمية، وأصبحت تهتم بالانغماس في منصات التواصل الاجتماعي، وهو أمر مخزٍ للإنسانية، مدمر للشعب والمجتمع، لا نقاش فيه[1]. كما اتخذت السويد خطوات مهمة للحد من استخدام الأجهزة الإلكترونية في المدارس والعودة إلى أساليب التعلم التقليدية كالقلم والورق والكتب الورقية. يُعد هذا التحول جزءًا من سياسة أوسع نطاقًا "للتخفيف من حدة التصعيد الرقمي" مدفوعةً بمخاوف بشأن تراجع

[1] تقرير صحفي في جريدة أردوية "اسکولوں میں اسمارٹ فون کے استعمال پر پابندی" روزنامه منصف، حیدرآباد، اگست 15، 2024

أداء الطلاب، لا سيما في مهارات القراءة والكتابة، والآثار السلبية المحتملة للإفراط في استخدام الشاشات.

ظهور التكنولوجيا:

في عصر ظهور التلفزيون، روّج له على أنه أداة نافعة جداً في مجال التربية والتعليم، فحظي بانتشار واسع بدعوى أنه أكثر فعالية وفائدة لتعزيز العملية التربوية. وحلّ بشكل مباشر محل النظام التقليدي الذي كان يعتمد على قدوم الأستاذ حضوريا لإلقاء الدروس. ساد الاعتقاد بأن التكنولوجيا تفوق المنهج التقليدي نفعًا، وأنها ستعود بالفائدة الأكبر على الجيل الناشئ مقارنة بالنظام الموروث، لقدرتها على إيصال الرسالة إلى جموع هائلة من الناس في وقت قصير. لكن، وعلى الرغم من ذلك، أثبتت التجربة أن التلفزيون أضرّ بالناس ضررًا كبيرًا، وأضلّهم ضلالًا بعيدًا.

فقد تأثر المشاهدون، سواء أطفالًا كانوا أم شبابًا، تأثرًا عميقًا ببرامج التسلية والترفيه التي بُثت عبر الأثير. إذ كانوا يمضون أمام الشاشة أوقاتًا ثمينة كانت مخصصة أصلًا للدراسة، فانعكس أثر تلك البرامج على سلوكياتهم وتعاملاتهم. وقد لاحظ بعض العلماء أن الأطفال، عند مشاهدتهم برامج تحمل طابعًا عدوانيًا، يميلون إلى اعتماد سلوك عدواني مباشرة بعدها. وربما لم تظهر بعض التأثيرات في الحال، لكنها بدت تتجلى لاحقًا عندما يبلغ الطفل سن الوعي، حيث تتفاعل العوامل الداخلية مع الظواهر الخارجية لتكشف عن نتائجها[2].

إلى جانب الخسارة في الدروس، أحدث التلفزيون تأثيرًا بالغًا وحيويًا في تعزيز السلوك العدواني لدى الناشئين .أما الجوانب المعرفية، والتعليم الاجتماعي، والتنشئة الاجتماعية، فلا تترك أثرًا في النفوس إلا إذا كان الأفراد مزودين بالاستعداد النفسي اللازم .وينبع هذا الاستعداد من المحيط الذي تشكله التفاعلات بين أفراد المجتمع، وهنا يبرز دور الأدب الهام في تهيئة هذا المحيط .وقد لاحظ الباحث الاجتماعي التربوي ويلبر شرام أن الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية لا يعتمدون على التلفزيون في شؤونهم الدراسية، بل ينظرون إليه كوسيلة تسلية وترفيه، مقتصرين مفهوم التربية والتعليم

---

[2] د. جمانة رشيد شومان، "**التلفزيون**"، مجلة العربي الشهرية، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، العدد 428، يوليو 1994، ص. 165

على المدرسة في المقام الأول[3]. فاتضح من هذا الموقف أن بيئة التربية والتعليم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدروس التي تُستمد من الكتب. أما التلفزيون، فهو بلا شك وسيلة تسلية، وتأثيراته سلبية بشكل عام. ذلك أن الناشئين نادراً ما يتحمسون لمتابعة برامج جادة تدعم الأغراض التربوية، مفضلين عليها برامج التسلية والترفيه.

الهدف المنشود بالتكنولوجيا:

ينبغي لنا أن ندرك السر الكامن وراء الترويج للتكنولوجيا، سواء أكانت تكنولوجيا الاتصالات، أو المعلومات، أو الذكاء الاصطناعي. فقد انبثقت جميعها من الرأسماليين والمستثمرين الذين يخدمون مصالح القوى الاقتصادية الكبرى. ولكي نفهم حقيقة "الإمبراطورية الإلكترونية" التي ترسخت في قاموسنا كمفهوم وبنية دلالية، مع استخدام الحرف "e" بالإنجليزية، علينا أن نعي أن هذا الحرف يرمز إلى عالم الاتصالات الجديد الجريء الذي يعتمد الوسائط الكهربائية. وهذا النظام ليس كياناً منعزلاً، بل يشمل شبكات الاتصالات، وأنظمة التجارة المتشابكة عبر الوسائل الإلكترونية، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بأنماط الإنتاج والأسواق المالية العالمية. فهناك علاقة عميقة بين التكنولوجيا والرأسمالية، ونعيش الآن في عصر "الرأسمالية المعلوماتية".

لقد تبين أن البرامج المدعومة مالياً عبر الإعلانات التجارية تُبث بعناية وهدف محدد، إذ تبذل شركات الإعلام جهوداً حثيثة لعرضها في أوقات ذروة المشاهدة. وبهذا، تنتشر أهداف القوى الرأسمالية بين الناس. فالتكنولوجيا، والمعلومات، والرأسمالية العالمية مترابطة بإحكام، مما يعزز فكرة "القرن الأمريكي" التي عبر عنها هنري لوس في بيانه، حيث دعا إلى إدراك حقوق أمريكا ومسؤولياتها كقوة عالمية صاعدة[4].

التكنولوجيا والعولمة:

ساهمت التكنولوجيا، كأداة قوية، في تحقيق أهداف العولمة وطموحاتها. فقد بدأت أفكار

[3] نفس المصدر، ص. 166

[4] Rita Raley, **Technology and Cyber-cultures**, Chapter 23, *Literature and Globalization; A Reader*, Ed. Liam Connell and Nicky Marsh, Routledge Literature Readers, 2011, p. 231

العولمة، بأشكالها المتنوعة، تؤثر في تفكير الأدباء والباحثين، تاركة أثرًا عميقًا في اتجاهات النقد الأدبي. حتى بلغ الأمر بالباحثين والأدباء أن وضعوا منهجًا خاصًا يدعم نظرية العولمة لتعزيز الرأسمالية. ونشطت المؤسسات وسعت لإثراء دراسة الأدب وفق هذا النهج، وهو دليل واضح على مدى تأثير الرأسمالية في توجيه مسار الأدب[5].

تطور التكنولوجيا في وسائل الإعلام والاتصالات، ثم دخولها إلى الأسواق، استهدف الوصول إلى الجماهير لإقناعهم بالأولويات التي رسمتها الخطة الرأسمالية. فقد أتاح التقدم السريع لوسائل الاتصال حول العالم، وتوسع انتشار أشكال الاتصال الجماهيري - خاصة المرئي والمسموع - إلى جانب تعميم المعلومات، فتح آفاق جديدة ومتنوعة للعلاقة بين الاتصال الجماهيري والتربية. فامتد نفوذه إلى مجال التربية والتعليم، مدعيًا نشر أعراف عالمية تهدف إلى ضم الشعوب إلى تيار موحد. ومن خلال بث قيم تربوية متزايدة، خلق التلفزيون محيطًا تربويًا، لكنه تحول بدوره إلى هدف تربوي بحد ذاته، بينما خسرت المدارس دورها كجهاز تربوي أساسي.

التربية أداة جوهرية تعلم الناس فن الاتصال البيني لاستخلاص أفضل فائدة من التفاعل الاجتماعي، وهناك علاقة متبادلة بين الاتصال والتربية تتطور وتزداد باستمرار. غير أن القيمة التربوية لدى شركات الإعلام والاتصالات تعتمد على المنافع التي تضمن بقاءها واستمراريتها. أما المدارس، فتبقى ذات أثر عميق في إعداد العقول وصقلها، وتهذيب النفوس البشرية، وتحتل أهمية أولية ورئيسية في نظر الأدباء والمفكرين والباحثين في شتى أنحاء العالم.

لا يمكن إغفال التأثير التربوي لوسائل الاتصال الجماهيري عمومًا، والتلفزيون خصوصًا، لكن مضمون الرسائل الإعلامية المبثوثة غالبًا ما يبتعد عن الطابع التربوي. فالتزايد المستمر في حجم المواد الإعلامية الموجهة يوميًا إلى شرائح اجتماعية جديدة وفي أماكن متفرقة، أوحى بأن الوصول إلى المعرفة أصبح حرًا، غير مقيد بالثوابت التربوية أو المبادئ الأخلاقية.

إن المعرفة التي تقدمها وسائل الإعلام، والتي تتراكم يوميًا، تأتي في صورة طاغية الألوان، لكن كثافة هذه الألوان تجعل تحديد معالم الصورة أمرًا عسيرًا. كذلك، فإن البرامج التلفزيونية لا تتناغم البتة

---

[5] **Literature in the Discipline**, Part 2, *Literature and Globalization; A Reader*, Ed. Liam Connell and Nicky Marsh, Routledge Literature Readers, 2011, p. 93

مع مواقف الطبقات الفكرية التقليدية. وبغض النظر عن القيمة الظاهرة للمعارف التي يقدمها التلفزيون وغيره من وسائل الاتصال الجماهيري، لا بد من الإقرار بحقيقة أن الأولوية غالبًا تُعطى للإعلام المثير أو السطحي، القادر على إثارة الضجة، ولو على حساب الرسالة الحقيقية للإعلام.

مع ذلك، لا يمكن إنكار أن محطات تلفزيونية في العديد من البلدان قد أنتجت برامج تربوية هامة ومفيدة، بهدف تكميل الدروس المدرسية والجامعية وتعميقها، كالبرامج الموجهة إلى المزارعين وأصحاب الأعمال الذين يحتاجون إلى معارف تقنية. لكن هذه البرامج لا تتعدى حدود النفع المادي في المجالات المهنية والتقنية المتعلقة بالأغراض الاقتصادية، ولا تساهم بشيء يذكر في تهذيب النفوس أو تصفية القلوب. وعندما تتلاشى هذه المعلومات التقنية من البرامج، تنعكس النتائج سلبًا على سلوك المشاهدين وطباعهم[6].

يسود لدى البعض تصور يرى أن وسائل الإعلام والاتصال تتحمل مسؤولية نقل المعارف المعاصرة فقط، بينما يعود حفظ التراث ونقله إلى المدارس. في المقابل، يعتقد آخرون أن على المدرسة أن تتولى توفير المعرفة الاجتماعية الفعّالة التي تؤهل الطالب للوصول إلى أعلى المراتب العلمية، أما وسائل الإعلام فتقتصر مهمتها على التسلية والترفيه، وتضع نفسها في خدمة التبادل والتفاهم الدولي. وباختصار، دون جدال، فإن التربية في جوهرها سعي لتزويد الفرد عامة، والأطفال والناشئة خاصة، بالفضائل والقيم التي يستند إليها الناس في سلوكياتهم داخل المجتمع. وهي تأتي عبر أنماط التعليم وأنظمة التفكير الحر، مع التركيز على تنمية قدراتهم وإيقاد جذوة الإبداع فيهم، لتتشكل بذلك شخصية مواطن صالح، منسجم مع العالم والمجتمع، ومع ذاته في آن واحد.

الحاسوب ودوره في الاتصالات:

دخل جهاز الحاسوب إلى سوق الاستهلاك محملاً بفكرة تعزيز الاتصالات التجارية والدبلوماسية والمعلوماتية، فكثّفت الجهود لإقناع المستهلكين باقتنائه. رُكز الضوء على جوانبه الإيجابية في مجالات الرعاية الصحية، والتعليم، والخدمات اليومية. ففي ميدان الصحة، أُوحي للمستهلكين بإمكانية التواصل مع طبيب مختص يفحص المريض عبر شاشة الجهاز دون الحاجة إلى نقله إلى العيادة. وفي

[6] المصدر السابق، الدكتورة جمانة رشيد، ص. 167

مجال التعليم، أُشير إلى إمكانية عقد الفصول الدراسية عن بُعد، حيث يظهر الأستاذ على الشاشة أمام طلاب من شتى أنحاء العالم. والأبرز أن الطلاب يستطيعون طرح أسئلتهم مباشرة على الأستاذ عبر أداة بسيطة متصلة بالحاسوب، كما يمكن للأستاذ توجيه أسئلة لكل طالب خلال الدرس. وبقدر فعالية هذا التفاعل، يتحقق نجاح تجربة التعليم عن بُعد. يتميز هذا الجهاز بقدرته على ربط النصوص المكتوبة بالأرقام والأصوات والصور والأفلام، مجمعًا في آن واحد وظائف التلفزيون والحاسوب والهاتف، ليتيح للمستخدم التعامل معه وفق إرادته[7].

لقد شهدنا هذه التفاعلات في أبهى صورها خلال جائحة كوفيد-19، حيث تواصل الطلاب، باختلاف أعمارهم واهتماماتهم، عبر هذا الجهاز، فتابعوا الدروس وتلقوا المحاضرات. لكن ما كانت النتيجة؟ فقد أقر خبراء تكنولوجيا المعلومات بأن التعليم عبر الشبكة لن يعادل أبدًا التعليم بالحضور الجسدي أمام الأستاذ. ورغم ذلك، ازداد الاعتماد على الآلات الرقمية في تلك الفترة المضطربة، وتعلق بها الشباب والناشئة على وجه الخصوص. ولم يستفد أحد في خضم هذه الأمواج الهائجة بقدر ما استفاد الرأسماليون الذين استثمروا بقوة في حقول تكنولوجيا المعلومات. كانت لهم أهداف مركزية، خفية أحيانًا وجلية أحيانًا أخرى، كما تناول مارشال ماكلوهان (Marshall McLuhan) هذه الأغراض في كتابه "القرية العالمية"، حيث تخيل أن العالم، بفضل هذا الاتصال الاجتماعي، سيصير قرية صغيرة يصبح فيها كل شيء في متناول اليد دون عناء أو مشقة. وقد تحقق ذلك فعلاً، إذ ارتبط العالم ارتباطًا وثيقًا عبر شبكة الاتصالات المعتمدة على الحاسوب، التي عُرفت بـ"الإنترنت". ثم برزت مواقع ومنصات للتواصل واللقاء بين الناس، أُطلق عليها اسم "منصات التواصل الاجتماعي".

سلبيات التواصل الاجتماعي:

بينما سهّلت الشبكة الاتصالات، وابتهج الناس بالتيسيرات التي قدمتها لهم، لوحظ من جانب آخر أن انتشار الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي ترك أثرًا سلبيًا بعيد المدى على عقول المستخدمين وسلوكياتهم. وعلى وجه الخصوص، أصبح الجيل الناشئ والمراهقون فريسة لهذا الهجوم الرقمي.

---

[7] الدكتور مصطفى الصمودي ، "**جهاز إعلامي شامل**" ، مجلة العربي الشهرية، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 428، يوليو 1994، ص. 94

فقد أظهرت أبحاث حديثة أن قضاء أوقات طويلة على الأجهزة والاتصال بالشبكة يولد تأثيرات سلبية. ومن الملاحظ ظهور ميل غريب ونزعة جديدة بينهم، تُعرف بـ"الثقافة السيبرانية"، وتتجلى مظاهرها بوضوح بين الشباب عمومًا.

تُعد شبكة الإنترنت مصدرًا فعّالاً في توفير هذه الفرص، مساهمة في اكتشاف جوانب متنوعة وعجيبة من التواصل، وتطوير علاقات حميمة عبر الفضاء الرقمي. وفي هذا السياق، برزت الهواتف الذكية والإنترنت بدور محوري، حيث غيّرتا أسلوب التواصل بين الناس. فتزايدت المساعي لبناء علاقات اجتماعية وعاطفية ذات أهداف غامضة وغير محددة على نطاق واسع. وليس ذلك بمستغرب، إذ فتحت المنصات نوافذ على العالم، فانطلقت طباع إنسانية كامنة تتطلع إلى مواقع تمنحها الراحة النفسية. فالرغبة في العلاقات الحميمة تظل جوهر التبادلات الاجتماعية الإنسانية[8].

لقد أسهمت تقنيات العصر الحديث، كالذكاء الاصطناعي والواقع الافتراضي، في خلق تفاعلات إلكترونية متنوعة، تعبر بوضوح عن الرومانسية أحيانًا. واليوم، باتت هذه التجارب على المنصات الإلكترونية أكثر عمقاً، إذ توفر إحساسًا بالتقارب الجسدي بين الناس، وتمكن المستخدم من عيش تجارب ملموسة تشبه الواقع. لكن يبرز سؤال يتبادر إلى الذهن: هل تقربنا هذه الألفة أم تبعدنا؟ في الحقيقة، إنها تبعدنا. فقد أحدثت تطبيقات المواعدة ثورة هائلة في عالم الرومانسية، إذ يشعر المستخدم براحة أكبر ولذة غريزية في استكشاف علاقات دون نية الارتباط الجدي بشريكه على الشاشة.

هذا التحول الاجتماعي والثقافي العميق حفّز الجيل الرقمي على خوض التجربة، وفتح قنوات متعددة توفر فرصًا لمحادثات الألفة عبر الإنترنت. لكن هذه الفرص قد تؤدي إلى تعرض المستخدم لتحرش مزعج يشوه سمعته، فيجد نفسه أمام كشف مشاعره وأحاسيسه، والتلاعب بها، بل والاعتداء الجنسي غير المقبول. كما قد يواجه كشفاً لهويته وصورته بطريقة غير مرغوبة. وفي بعض الأحيان، تحدث تسريبات للبيانات الشخصية، مصحوبة بتهديدات وابتزاز وتصيد إلكتروني، وغير ذلك. وتترك هذه التجارب أثرًا بالغًا في حياة الفرد وصحته النفسية.

---

[8] Geetika Sachdev, "**Sex, Love and Metaverse**", The Hindu, Sunday, Magazine, Hyderabad, April 17,2022, p. 03

تشكل الهواتف الذكية ومنصات التواصل الاجتماعي مصدر قلق رئيسي في الوقت الراهن. فبالإضافة إلى المخاطر الصحية، أدى الاستخدام المفرط للهواتف الذكية إلى تراجع المستوى الأكاديمي، حيث يعاني الشباب بشدة من ضعف في التفكير النقدي.

لا يمكن تجاهل النقاش حول فوائد الثورة الرقمية. فالذكاء الاصطناعي، الذي نشأ من هذه الثورة، يشهد استخداماً متزايداً في الفصول الدراسية حول العالم. فقد أظهر استطلاع رأي في بريطانيا أن جميع طلاب مرحلة البكالوريوس تقريباً يعتمدون على أدوات الذكاء الاصطناعي في دراستهم. وفي العام الماضي، كشفت دراسة أجرتها شركة EdTech TeamLease أن أكثر من 61٪ من المعلمين في الهند يستخدمون هذه الأدوات أيضاً[9].

تثير هذه البيانات مخاوف من أن يميل الطلاب إلى تقبل المعلومات كما تظهر على الشاشة دون تحليل نقدي. وهنا يبرز تساؤل: هل يعزز الذكاء الاصطناعي مهارة التفكير النقدي ويسهم في إثراء التعليم؟ تتباين الآراء حول ذلك، لكنها تجمع على أهمية التمسك بالقيم الأخلاقية في هذا السياق، إذ بات استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي واسع الانتشار بحيث يصعب تجنبه.

تحتوي الأدوات الرقمية على مواد وفيرة قادرة على تشتيت انتباه المستخدم بسهولة بالغة. فقد يسعى المستخدم للبحث عن شيء معين، لكنه يجد نفسه منحرفاً إلى مسار آخر في دهشة. ويعود ذلك إلى كم المعلومات المزودة على المنصات، التي تكفي لتضليل المستخدم دون جهد يُذكر. ومن ثم، تبرز حاجة ملحة إلى العناية واليقظة، لا سيما في ظل الظاهرة العالمية المعاصرة، حيث يتنافس العالم في ميدان الأمن الإقليمي والحفاظ على الهوية الثقافية.

تتباين المصالح وتؤثر تأثيراً كبيراً على النتائج. فالقيم الأخلاقية تختلف تصوراتها باختلاف الأقاليم؛ إذ يتبنى المجتمع الغربي قيماً أخلاقية قد لا تتفق إلى حد بعيد مع تلك التي يتمسك بها المجتمع الشرقي. فالدول الغربية تركز على المصالح الاقتصادية والمادية أكثر من الشرق فيما يتعلق بالمبادئ الأخلاقية. ومن هنا، برزت فكرة التطور كنقطة تخدم الأغراض السياسية.

---

[9] Sai Charan, "**Is Artificial Intelligence effecting Critical Thinking Skills**", The Hindu Daily, Hyderabad, March 2. 2025, p. 13

بعد الاطلاع على الإنجازات خلال السنوات الأخيرة كما وردت في تقرير التنمية البشرية، يتضح أن المهمة الإصلاحية في الأيام القادمة تتطلب استراتيجية واضحة لخوض رحلة طويلة. فنشهد مستوى منخفضًا للتنمية البشرية، وارتفاعًا في عدم المساواة، وتراجعًا في ادخار الأموال، مع تصاعد الديون. لذا، قد آن الأوان للتفكير في استراتيجية متوازنة تربط بين مفهومي النمو والتنمية البشرية[10].

تأثيرات سلبية :

تهمين الدول الغربية على فضاء الإعلام، وبالتالي فكل ما يتم بثه في إعلامها ينتشر في العالم بسرعة فائقة، فيستخدم الغرب هذا الفضاء الواسع لنشر عقائده وثقافته في العالم وخاصة في الدول النامية. ويمكن تبيين ذلك مثلا من المنشورات على منصات التواصل الاجتماعي خلال فترة الحملة الانتخابية الأخيرة في الولايات المتحدة. وعلى سبيل المثال، فبعد انسحاب الرئيس الأمريكي جو بايدن من التنافس الرئاسي الأمريكي لعام 2024، وتأييده لنائبته كامالا هاريس كمرشحة للحزب الديمقراطي، حظيت هاريس بدعم سريع من شخصيات سياسية بارزة، من بينها الرئيس السابق باراك أوباما. إلا أن ترشيحها أثار جدلا سياسيا على نطاق واسع. كما شاب حملتها تضليل إعلامي ومعلومات مضللة من إنتاجات الذكاء الاصطناعي[11].

حتى قبل إعلان ترشيحها كانت المرشحة هاريس هدفا لصور ساخرة ومحتوى فيديو ركز على تصرفاتها التي أظهرتها بشكل عام في صورة سيئة. تصاعدت هذه الهجمات بعد إعلان ترشيحها. وهي كانت شخصية بالأساس، ركزت على ميلادها وشخصيتها ونزاهتها كأمريكية، على سبيل المثال، نشر فيديو معدّل بصوتها المستنسخ، مع النصوص التالية، وشارك ذلك الفيديو إيلون مسك بنفسه وهو مؤسس إحدى منصات التواصل الاجتماعي، فشوهدت كمالا هاريس فيه وهي تقول إن الرئيس

---

[10] M. Suresh Babu, "**Giving Primacy to Human Development**", The Hindu, Hyderabad, Opinion, May, 9, 2024

[11] Manish Tiwari, "**Big Tech's fail unsafe online spaces for women**", The Hindu, Editorial, November 5, 2024

بايدن مصاب بالخرف، وإنها لاتعرف شيئا عن إدارة البلاد، وإنها بصفتها امرأة وشخصا ملونا، المرشح الأمثل للتنوع[12].

بالإضافة إلى هذه الاعتداءات الرقمية واجهت المرشحة هاريس حملات تصعيد لاهوادة فيها، لاسيما من شخصيات يمينية، وكثيرا ما سخرالرئيس الأمريكي السابق دونالد ترمب من أسلوب ضحكها، ووصفها بالجنون. وكان الإعلاميان ميغان كيلي وبن شابيرو صريحين في منشوراتهما حول كيفية وصول المرشحة إلى القمة. وزخرت منصات التواصل الاجتماعي بنكات مهينة وصور جنسية وتعليقات عنصرية وجنسية موجهة ضدها. وقد ظهر مؤخرا مقطع فيديو مولد بواسطة الذكاء الاصطناعي ، يصور المرشحة هاريس ودونالد ترمب في علاقة رومانسية كاذبة، لاتنتهك هذه المقاطع المولدة بواسطة الذكاء الاصطناعي الخصوصية فحسب، بل تقوّض كرامة المرأة بشدة، ورغم علم المستخدمين بأن هذا المحتوى مزيّف، إلا أن انتشاره الواسع يشير إلى تفاعل كبير من المستخدمين.

ليست حالة معزولة

محنة المرشحة هاريس ليست حالة فردية، فالنساء في مراكز السلطة أو الطامحات إلى مناصب عليا يواجهن مضايقات إلكترونية مماثلة. فعلى سبيل المثال، تعرضت السياسية الأمريكية نيكي هيلي، خلال ترشحها للانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري، لانتشار صور فاضحة مزيفة تم اختلاقها وافتراؤها على الإنترنت. كما كانت رئيسة الوزراء الإيطالية جورجيا ميلوني هدفاً لهذا النوع من المضايقات، حيث ظهرت في فيديو ملفق ومسيء.

لم تنجح شركات التكنولوجيا الكبرى في كبح جماح سيل المحتوى المهين ضد النساء، بل أثقلت كاهلهن بأعباء لا تتناسب معهن، مما ينعكس سلبًا على هويتهن وكرامتهن وسلامتهن النفسية. وتختلف طبيعة الإساءة الإلكترونية التي تتعرض لها النساء اختلافًا جوهريًا عن التصيد أو الإهانات التي يواجهها الرجال. فبينما قد يتعرض الرجال لمعلومات مضللة تتعلق بأعمالهم أو مهامهم، تواجه النساء نشر محتوى جنسي صريح والسخرية من أجسادهن. وغالبًا ما تتهرب شركات التكنولوجيا

[12] Manish Tiwari, “**Big Tech’s fail unsafe online spaces for women**”, The Hindu, Editorial, November 5, 2024

الكبرى من المسؤولية، مدعية أن منصاتها مجرد مرآة لمشاعر المستخدمين، وأنها عاجزة عن التحكم الدقيق بها، مستندة إلى حصانة "الملاذ الآمن" التي تحميها من المساءلة.

أكثر من مجرد وهم بتمكين المرأة

رغم الإشادة بالتكنولوجيا كأداة لتمكين المرأة، فإن الذكاء الاصطناعي والتقنيات الرقمية تبدو بعيدة كل البعد عن الحياد الجنسي. بل إنها تعكس التحيزات المجتمعية والصور النمطية المتأصلة، فبدلاً من أن تحرر المرأة، قد يعمل الذكاء الاصطناعي على تضخيم هذه التحيزات، ليصبح أداة جديدة للإساءة إليها ومضايقتها. ومع التطور المتسارع للذكاء الاصطناعي، تتزايد مخاطر الإساءة الرقمية والعنف والتهديدات التي تواجهها النساء. غالبًا ما تفتقر هذه الأنظمة، التي تشكلت من بيانات مشبعة بالتحيزات المجتمعية وطورتها فرق يغلب عليها الرجال، إلى الشمولية الكافية لمواجهة التمييز بفعالية. كما يظل تمثيل النساء في مجال تطوير التكنولوجيا ضئيلاً في شركات مثل ميتا وجوجل وأوبن إيه آي.

ومع انتشار المحتوى الجنسي الصريح، يترتب ضرر جسيم من المشاركة والمشاهدة. والأكثر إثارة للقلق أن أصحاب شركات التكنولوجيا الكبرى أنفسهم يساهمون في نشر معلومات مضللة ومقاطع فيديو ملفقة.

مشاكل اجتماعية:

لقد شكلت التكنولوجيا الرقمية تهديدات من زوايا مختلفة بما في ذلك جهة الاخلاقيات. أعرب الكاتب بهوان ريبو[13] عن قلقه في سياق حكم تاريخي ضد الاعتداء الجنسي على الأطفال عبر الإنترنت. أصدرته المحكمة العليا الهندية في التماس قدمه تحالف "الحقوق العادلة للأطفال"، وقال إنّ هذا الحكم سيكون له تأثير عالمي طويل الأمد على المجتمع والجريمة وحقوق الأطفال.

في يناير 2022، أصدرت محكمة مدراس العليا حكمًا يقضي بأن مجرد تنزيل مواد إباحية تتعلق بالأطفال لا يشكل جريمة، وقامت بإلغاء دعوى جنائية ضد رجل يبلغ من العمر 28 عامًا. يتساءل ريبو

[13] Bhuwan Ribhu "**A blueprint for safeguarding children**", Opinion, The Hindu, Hyderabad, October 15, 2024

باستغراب: كيف يمكن لشخص يبحث عن محتوى يتعلق باغتصاب طفل، ويشاهد مقاطع فيديو حول ذلك، مما يزيد الطلب على مثل هذه المواد، أن يفلت من العقاب؟ إن هذا الحكم لا يتعارض فقط مع روح قانون حماية الأطفال من الجرائم الجنسية لعام 2012، بل يثير أيضًا مخاطر تطبيع استغلال الأطفال. لكن المحكمة العليا الهندية تدخلت لتصحيح هذا الخطأ الجسيم في 23 سبتمبر 2023.

لم يكتفِ حكم المحكمة العليا بتوسيع نطاق تعريف الجريمة ليشمل تنزيل وتخزين هذه المواد كفعل مجرم، بل وضع أيضًا إطارًا شاملاً لمكافحة مواد الاستغلال والاعتداء الجنسي على الأطفال، مفروضًا مسؤوليات صارمة على وسطاء منصات التواصل الاجتماعي للامتثال للقانون الهندي. وقد أعاد الحكم صياغة مفهوم الجريمة، رافضًا اعتبار هذه المواد مجرد وسيلة لتسلية البالغين، ليؤكد خطورتها وتأثيرها على سلامة الأطفال.

يبرهن هذا الحادث أن الأفراد الذين يبحثون عن مثل هذه المواد أو ينزلونها يشكلون في الواقع حلقة في سلسلة العرض. هذا الطلب يؤجج استغلال الأطفال واغتصابهم، واستمرار هذه الجريمة يثير القلق والاختناق. فلا تزال هذه الصور تتداول على الإنترنت، معرضة الأطفال وعائلاتهم لأضرار متواصلة، إذ يعاد استغلالهم لفترات طويلة بعد وقوع الحادثة. والأمر الأكثر إثارة للقلق أن كثيراً من الأطفال لا يدركون أنهم ضحايا، بينما تُنشر صورهم سرًا عبر الشبكة.

يتعرّض الناس اليوم لضغوط اجتماعية ورقمية هائلة تؤثر سلبًا على جودة حياتهم، فهم بحاجة إلى صحة شاملة تجمع بين السلامة البدنية والعاطفية والعقلية والاجتماعية ليعيشوا حياة متوازنة. ولتحقيق ذلك، يتطلب الأمر اهتمامًا كافيًا بالحوارات التي تركز على القيم الإنسانية وتحفز على النمو المثالي للأطفال. كما تظل مشاركة الوالدين جوهرية، مثل قراءة قصة للأطفال قبل النوم، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن اتباع نمط حياة منظم يعزز جودة النوم، مما يساهم في نمو أفضل. لكن في الوقت الحالي، عطّلت اضطرابات أنماط الحياة فرص التمتع بصحة جيدة، ما أدى إلى تفشي أمراض مثل السكري وارتفاع ضغط الدم والسمنة.

عودة إلى الأدب الروحي:

الصحة النفسية والعاطفية لا تقل أهمية عن الصحة البدنية، فهي تدعم الاستقرار العاطفي. فالمنزل الذي يتيح لأفراده التعبير بحرية عن مشاعرهم وعواطفهم، ويوفر فرصة للتجمع مع أفراد الأسرة لمناقشة القيم -التي تُعد أداة فعّالة لتخفيف القلق- يسهم فعلاً في تحقيق نمو شامل. لذا، يتعيّن على الوالدين تشجيع النقاشات الصريحة لمساعدة الأطفال على التعامل مع مشاعرهم. فمن تلقى تربية سليمة تقوم على قيم صحيحة ومعيارية، يصبح قادرًا على مواجهة المواقف الصعبة بكفاءة أكبر.

لقد ضعفت العاطفة في قلوب الناس، وضعفت الصلة الروحية بالدين وبتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم وهو خطر كبير، يمهد الطريق لكل اضطراب ولكل ضعف، ولكل نوع من أنواع الفوضى، وقد اجتمعت عوامل كثيرة ودعوات عديدة على تجفيف منابع هذا الحب، وإضعافه على الأقل، وأصيبت النفوس بجفاف في الشعور، وفي التفكير، سرت تلك المناقص في الأدب والشعر، وتعدى إلى الدين ومظاهره[14].

خلاصة الحديث:

تبيّن من العرض أعلاه أن المجتمع قد أصابه ضرر كبير، إذ يواجه صعوبات وفوضى على جبهات شتى، ويبرز دور الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في هذا السياق جليًا. وبما أن هذه المواقع صارت جزءًا لا ينفك عن الحياة المعاصرة، فإن من الواجب تدريب الناشئة والمراهقين في ظل هذه الظروف عبر الكتب الأدبية والنصوص التربوية، ليتمكنوا من التفريق بين الخير والشر، والنافع والضار. فالكتب التي تقدم القيم والمبادئ تؤدي دورًا محوريًا في صياغة شخصية مثالية، ناشرة فيها روح التعاضد والتضامن والإيثار والاحترام والتقدير، وهي قادرة على انتشال الجيل الحالي من ويلات الاضطراب والقلق والكرب والاكتئاب وشعور الخذلان.

ورغم ما يراه المجتمع من فوائد في الوصول السريع إلى المعلومات، فإن هذه التقنيات تحمل في طياتها أضرارًا صحية وأخلاقية تنجم عن الاستخدام المفرط للإنترنت، قد تؤثر سلبًا على بنية الدماغ. لذا، نبّه الخبراء إلى مخاطر الإفراط في الاعتماد على وفرة المعلومات التي توفرها التكنولوجيا الحديثة.

---

14 أبو الحسن على الحسني الندوي "الطريق إلى المدينة"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الطبعة الخامسة 1987/1407 ، ص. 3

فكثرة المعرفة وتجميعها لا تعني بالضرورة بلوغ ذروة العلم أو اكتساب مكانة مرموقة في المجتمع، بل المعرفة الحقة هي تلك التي تقترن بالانضباط وقوة الفهم والتفكير العميق، مدعومة بالنقد العلمي والمنهج الفكري البناء.

مراجع البحث:

- تقرير صحفي في جريدة أردوية "اسكولوں میں اسمارٹ فون کے استعمال پرپابندی" روزنامه منصف، حیدرآباد، اگست 15، 2024
- الدكتورة جمانة رشيد شومان، "**التلفزيون**"، مجلة العربي الشهرية، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 428، يوليو 1994، ص. 165
- الدكتورة جمانة رشيد شومان، "**التلفزيون**"، مجلة العربي الشهرية، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 428، يوليو 1994، ص. 166
- الدكتورة جمانة رشيد شومان، "**التلفزيون**"، مجلة العربي الشهرية، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 428، يوليو 1994، ص. 167
- الدكتور مصطفى الصمودي ، "**جهاز إعلامي شامل**" ، مجلة العربي الشهرية، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، العدد 428، يوليو 1994، ص 94
- أبو الحسن على الحسني الندوي "الطريق إلى المدينة" ، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناؤ ، الطبعة الخامسة 1987/1407م، ص. 3

- Rita Raley, **Technology and Cyber-cultures**, Chapter 23, *Literature and Globalization; A Reader*, Ed. Liam Connell and Nicky Marsh, Routledge Literature Readers, 2011, p. 231
- **Literature in the Discipline**, Part 2, *Literature and Globalization; A Reader*, Ed. Liam Connell and Nicky Marsh, Routledge Literature Readers, 2011, p. 93
- Geetika Sachdev," Sex**, Love and Metaverse**", The Hindu, Sunday, Magazine, Hyderabad, April 17,2022, p. 03

- Sai Charan, "**Is Artificial Intelligence effecting Critical Thinking Skills**", The Hindu Daily, Hyderabad, March 2. 2025, p. 13
- M. Suresh Babu, "**Giving Primacy to Human Development**", The Hindu, Hyderabad, Opinion, May, 9, 2024
- Manish Tiwari, "**Big Tech's fail unsafe online spaces for women**", The Hindu, Editorial, November 5, 2024
- Manish Tiwari, "**Big Tech's fail unsafe online spaces for women**", The Hindu, Editorial, November 5, 2024
- Bhuwan Ribhu "**A blueprint for safeguarding children**", Opinion, The Hindu, Hyderabad, October 15, 2024

.... ❖❖❖❖❖ ....

طمس الخطوط بين العجائبي والواقع: تحليل نقدي للإنتاج الثقافي العربي المعاصر

محمد قاسم *

ملخص البحث:
تهدف هذه الورقة إلى دراسة ومناقشة التماهي بين العجائبي والواقع في سياق الإنتاج الثقافي العربي المعاصر، مع التركيز على أنواع الفانتازيا والخيال التأملي والخيال العلمي. ومن خلال تحليل معاصر للعناصر الجمالية والثقافية في الأشكال الحديثة، مثل وسائل التواصل الاجتماعي والكتب الإلكترونية والألعاب الرقمية، تُبرز الورقة أن العجائبي والخيال العلمي يندرجان ضمن إطار بناء العوالم الذي يستند إلى تجارب الواقع. كما تُظهر كيف تجد التكنولوجيا الحديثة، من خلال تفاعلات البشر وتجاربهم اليومية، تعبيرات عن الهوية الثقافية ضمن الفضاء الرقمي العالمي. وفي هذا السياق، بدأت المؤسسات الثقافية تلعب دورًا مهمًا في تقديم وحفظ السمات البارزة للثقافة واللغة العربية، من خلال دمج خيارات جمالية في وسائل النقل الثقافي، مما يجعل المحتوى التعليمي أكثر جاذبية وسهولة في الوصول، مع تقديم رؤية أصيلة للثقافة العربية التي كثيرًا ما تُشوهها وسائل الإعلام الغربية ومنتجاتها الثقافية.

الكلمات المفتاحية: العجائبي، والواقع، الذكاء الاصطناعي، الإعلام، الألعاب، الثقافة، الجماليات

تمهيد

من الصعوبة بمكان تحديد العوامل التي تُميّز بين العجائبي والواقع دون تعريف دقيق من حيث علاقة بعضه ببعض، ينبع جزء كبير من الخيال والفكر الكامن وراء العجائبي التأملي من التفكير العلمي الواقعي، والذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالابتكار التكنولوجي. يخفي تحديد العوامل التي تُميّز أحيانًا بين التأمل في عالم التفكير المحض وإبراز الابتكار في الحياة العملية. لذا، فإن تجربة الواقع

---

* الباحث في الدكتوراه، بجامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي. الإيميل: qasimdargahi4@gmail.com

شرط أساسي للعجائبي التأملي الذي يوجد في كلٍّ من أدب العجائبي والخيال العلمي[1].الأدب العجائبي أو الأدب الفنتازي غالبا ما يتقدم أمامنا كسلف مناسب وضروري وملح للخيال العلمي ولكن التمييز أمر ضروري لأن الخيال العلمي هو غير الفنتازيا ولكل منها خصائصه التي يتميز بها، فهما بالطبع ينتميان إلى أدب الخيال، ولكن لكل قوانينه التي تسيره، الخيال العلمي هو أدب الممكن فيما يبدو أن العجائبي هو أدب المستحيل أو المستعصي، يتميز الخيال العلمي بأنه يقترح علينا صور العوالم التي يبتكرها خيال الكاتب ارتكازا على المنطق، وبالرجوع الثري إلى الواقعي والمعروف والممكن والوارد و المتاح التفكير فيه، أو استشرافه كما يقول روجي بوزينتو، فالعلاقات مع الحياة المكنة لا تنقطع تماما، والكاتب والقارئ - على عكس ما يحدث في الأدب العجائبي لا يبتعدان عن "معقولية عالية" ترتكز على منطقة قوية للمواد المتخيلة، وقد اقترح روجي بوزيطو تسمية جميلة حينما فرق بين العجائبي والخيال العلمي بتكنية هذا الأخير بكنية "أدب المبادرات" أدب العوالم الموجودة ولكنها معلقة، عوالم ممكنة وغير مستحيلة، ولكنها تنتظر إمكانية التحقيق وهي بهذا ربما تتحقق وربما لا تفعل[2].

إن التأثير الجمالي للعجائبي والخيال العلمي على إدراك النوعين بوصفهما مختلفين يحدد مجال وجود النوعين مستقلين[3]. وعلى غرار العناصر العجائبية في الأساطير الدينية مثل المعجزات والتضرع والابتهال والولاء وما إلى ذلك، فإن عناصر الإدراك الجمالي في نوعي العجائبي والخيال العلمي هي أيضاً تابعة ومتوقفة على الترتيب الكوني لأنظمة القيم المختلفة إلى جانب الممارسات الثقافية التي تؤكدها في عملية السرد لبناء العالم4. تصبح الجماليات - لفهم طبيعة التحول في منظور القارئ أثناء انجذابه إلى هذا العالم - علامة أساسية لتأكيد وإبراز ملامح التجربة التي تقوضت بالفعل في التحليل الأدبي والنصي بالكامل. وبما أن تركيز هذه الورقة البحثية ينصب أيضًا

---

[1]- MARTHA J. NANDORFY, "Fantastic Literature and the Representation of Reality" in Revista Canadiense de Estudios Hispánicos, Vol. 16, No. 1 (Otoño 1991), pp. 99-112.

[3]- Roger Schlobin, ed. The Aesthetics of Fantasy Literature and Art. Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1982. 288 pp

[4]- T. E. Apter. Fantasy Literature: An Approach to Reality. Bloomington: Indiana University Press, 1982. 161 pp.

على جماليات طمس الخطوط الفاصلة بين العجائبي والواقع، فلا بد من إيلاء الاعتبار الواجب أيضًا للأشكال الجديدة من المشاركة العامة، التي خلقت مجتمعات جمالية في حد ذاتها.

تعريف العجائبي والواقع:

يجب الإدراك أولا – قبل الخوض في استكشاف عمق الإمكانيات يجلبها العجائبي في تهذيب النفوس وتثقيف العقول- عن الواقع وهدفه في الأدب العالمي وهو "إن الواقعية تعني المعرفة العقلانية للحياة، أو هي طموح العقل الإنساني وتطلعه لاكتشاف حقيقة الحياة ومعرفة خفايا العالم، وإدراك قوانين تطور المجتمعات واتجاهاتها والآلية التي يعيشها المجتمع الإنساني."[5]

قد يتأتى الطريق إلى الحقيقة من خلال رواية وأقاصيص مرتبة حسب استراتيجيات عاقلة عالمة، كما تتأتى من خلال العرض الفلسفي المعهود المعتمد على التحليل والبرهان والاستقصاء، والتمثيل المجرد والصيغ العقلية التجريبية[6]. و أما العجائبي فهو" شكل من أشكال القص، تعترض فيه الشخصيات بقوانين جديدة تعارض قوانين الواقع التجريبي وتقر الشخصيات في هذا النوع العجائبي ببقاء قوانين الواقع كما هي" فهذا النوع من السرد يكون بعيدا عن الواقع بطريقة تسمح نوعا ما للاقتراب من حدود اللامعقول.[7] على الرغم من أن لفظ "العجائبي مصدر صناعي لا أثر له في المعاجم اللغوية القديمة" يدل على المذاهب والاتجاهات و التخصصات، كما هو حال كل المصطلحات المترجمة عن اللغات الأجنبية، وهذه الأمور لم تكن مطروحة قديما، كما هو مطروحة الآن، لعل أولى المشاكل المعقدة التي تثير في النقاش، هي مسألة ماهية الجنس وقاعدة اشتغال الجنس العجائبي، [8]والعجب ميزة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن معرفته كيفية تأثيره فيه.

9. العجائبي يهدف إلى توفير مساحة لاستكشاف تجربة جديدة حول التراث والثقافة والإمكانيات الاجتماعية والعلمية اللامحدودة، والحفاظ على التراث الإنساني مع توليد الإحساسات العميقة بالحيرة والتوجس والتردد في نفسية المتلقي الذي يحثه على تجربة شيء ما، استثنائي ومستحيل، مما

---

5 – الرشيد بوشعير (1996)، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية (الطبعة 1)، دمشق:دار الأهالي، صفحة 7.

6 – فيصل، لحمر. سرد الخيال العلمي والخطاب الفلسفي. الناص. 2016 Jun 30;11(1):185-92.

7 – عزة عبد الفتاح عبد الحكيم (1999) المصدر الصناعي في الصحافة العربية، 1996-1998، دراسة صرفية دلالية، علوم اللغة ص 248-252

8 – تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، الصديق بوعلام- الترجمة العربية، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى 1993، ص 16.

9 – د. سناء شعلان، السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة من 1970 إلى 2002، نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي، ص16.

يوسع نطاق التفكير والإبداع خارج القيود العقلية المحددة من خلال الهروب من الواقع. ومن أهم أهدافه "التمكين والإلهام" أيضا الذي يبعث القارئ على إنجاز المستحيل والثقة على القوة الذاتية التي يتميز بها أبطال العجائبي المستضعفون من الرجال والنساء الذين يرتفعون فوق الظروف الصعبة، ويمكن تتبع البناء المختلف بين أنواع الخيال العلمي العجائبي والأساطير والقصص الخارقة من خلال الشخصيات النموذجية والمجازات وأنواع الشخصية والموقف والعرض، وما إلى ذلك....10

وكثيرا ما يستلهم العجائبي من القصص والفولكلور والأساطير مع الحفاظ على التراث الثقافي والتقاليد التاريخية وإعادة تفسيرها، ثم يقدم أمام المجتمع المعاصر شيئا مثيرا للاهتمام من خلال دمج الجوانب في قصص وأنشطة جديدة مثل الألعاب العجائبية الالكترونية و وسائل الإعلام والتداخل المتزايد بين الذكاء الاصطناعي والعجائبي. وقد تأتي هذه القصص بنتائج مثمرة هي أن القارئ يبدأ يفكر في الكشف عن ذاته والنمو الشخصي الذي يساعده في مواجهة الشدائد ومرور العقبات بكل صرامة واصطدام بسبب تجربته في رحلة البطل التي تعمل له كنور يهتدى به في الظلمات.

تزداد اللغة العربية بفضل العجائبي أهمية في العصر الرقمي، الذي يساهم بقدرته على غمر المشاهدين والمشاركين في بيئات خيالية، تاركا على اللغة والثقافة العربية تأثيرا كبيرا بترويجها على المستوى العالمي من خلال المحتوى والترفيه الرقمي، والأفلام وألعاب الفيديو، على الرغم من الثقافة العربية وتمثيلها في أشكال الوسائل المتعددة الجديدة والتفاعلية نالت استقبالا عالميا، إلا أنها أدت أيضًا إلى بناء وتشويه الشخصية العربية وجعلها شخصية إرهابية في الألعاب التي طورتها الشركات الأوروبية-الأمريكية أومتعددة الجنسيات، مثل أكتيفيسون "Activison " وفي ألعاب مثل نداء الواجب (call of duty). تاريخيًا، يمكن تتبع هذا النمط من أنماط مفهوم هيجل الذي يربط التوسع الإسلامي والعربي بالتعصب.[11]

التداخل بين العجائبي والواقع في الإعلام والترفيه:

[10] بوبعيو، بوجمعة. الأدب العجائبي: الوظيفة والمفهوم. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. 01.05.2008، ص 11 - 17.

[11] Dill-Shackleford, Karen. *How fantasy becomes reality: Information and entertainment media in everyday life*. Oxford University Press, 2016.

بسبب إدراك الجمهور، والتكنولوجيا، واستراتيجيات سرد القصص، يزداد الخلط بين العجائبي والواقع في وسائل الإعلام المعاصرة. إليكم بعض الأمثلة المهمة على كيفية حدوث ذلك... يتزايد الخلط والتداخل بين العجائبي والواقع في وسائل الإعلام الحديثة بسبب التكنولوجيا، تقنيات السرد الحديثة، والأفلام والبرامج التلفزيونية، والقصص الرقمية، بينما يثري هذا التداخل بين المصطلحين المشهد الأدبي والإبداعي، ويفتح أمام الجمهور طرقا جديدة لاستكشاف أفكار معقدة، فإنه في نفس الوقت يشكل تحديا في التعامل مع العالم الحقيقي الذي يزداد غموضا وترددا،[12] وهذا التداخل من دون أدنى شك يساهم في تطوير القصص وتفسيرها والتفاعل بها في أهم أنواع وسائل الإعلام، بما يلي.. منها:

الإعلام المرئي: البرامج التلفزيونية، والأفلام، الرسوم المتحركة، والمسلسلات الدرامية، وما إلى ذلك من وسيلة نقل المعلومات عبر الصور ومقاطع الفيديو، والكثير...،

الإعلام التفاعلي: ألعاب الفيديو، وتجارب الواقع الافتراضي (مثل: رواية القصص الغامرة، المحاكاة التعليمية والتدريبية، الفن والتعبير الإبداعي، تطبيقات العلاج والعافية)

الإعلام المسموع: البودكاست، الراديو والموسيقى، والكتب الصوتية، وما إلى ذلك من وسيلة نقل المعلومات عبر الصوت.

الإعلام المطبوع: الكتب والروايات والرسوم الهزلية، وما إلى ذلك.

ألعاب العجائبي الرقمية مع طمس الخطوط:

تتعدد الفائدة للألعاب ليس كوسيلة للترفيه فحسب، بل كأداة للتعلم أيضا. وفي حين أن معظم الألعاب الشعبية تدعم اللغة العربية، فقد تجاوز العدد عن أكثر من 70 مليون مستخدم يلعبون ألعاباً باللغة العربية الأم13. ومن ثم، فلا عجب أن هناك العديد من الألعاب التي تستخدم كأداة لتعلم اللغة وتدمج عناصر وأجهزة حبكة من هذا النوع من العجائبي العلمي لإثارة الفضول والمشاركة، لا سيما في أقسام اليافعين على سبيل المثال لا الحصر. وكما نوقش أعلاه، في حين أن تركيز بارز على إبراز الكونية العربية باستخدام اللغة العربية الفصحى كوسيط لغوي، هناك أيضًا ألعاب مستقلة تضفي نكهة عامية أكثر على جمهورها باستخدام اللهجات العامية والدارجة مثل المصرية والشامية

---

[12] – **محمد** حيرش بغداد ,« حاج ملياني، (الإشراف)، الانتاجات الثقافية استقبالاتها : الأدب، الموسيقى والسينما » / Insaniyat, *إنسانيات* :26.03.2025) 12.19 AM) 75-76 | 2017, 53-56.

[13] – قائمة الألعاب الي تدعم للغة العربية https://hdr247.com/games-list-support-arabic/

وغيرها[14] .وكما أن الورقة تستعرض أهمية الألعاب الرقمية واستخدامها كوسيلة للتعليم في المستقبل، لذا، حاولت في هذه الدراسة تسليط الضوء على بعض الألعاب المصممة في اللغة العربية من أجل تثقيف الجيل الجديد حول الثقافة والتاريخ في طريقة مبتكرة علمية غير مألوفة، وعلى الرغم من أن غالبية الألعاب العربية تقتصر محتواها على الحروف الأبجدية، وتخلو من الجودة وتفتقر إلى الابتكار الكامل من حيث الرسوم المتحركة والألوان والتعليق الصوتي. استنادا إلى هذا التطور الرقمي في المجتمع العربي وشعبيته في الجيل الجديد يمكننا القول أن هذه الألعاب تحمل في محتوياتها الثقافية والتاريخية والعلمية إمكانية كبيرة أمام المجتمع المعاصر...[15] فلنذكر بعضها في البحث ما يلي:

فرسان الأقصى:

أثارت هذه اللعبة جدلا واسعا في المنصات العالمية بعد ظهور اللقطات التي بدت تظهر كأنها تحاكي نضالا عنيفا واقعيا يستمر بين أعضاء حماس والقوات الإسرائيلية لأنها تتيح للاعبيها فرصة للخوض في المعارك بنفسها، وتسلحهم بالمصطلحات والاستراتيجيات الحربية في منطقة جغرافية قد قلبها الحرب إلى الجحيم الأرضي، واللطيف في اللعبة هو أنها تشبه مشاهدها ببداية عملية طوفان الأقصى التي تسللت بها المقاومة إلى مواقع القوات الإسرائيلية واخترقت الحواجز العسكرية الإسرائيلية باستخدام الطائرات الشراعية وأجرت عمليتها القتالية، وتعمل اللعبة في نفس الوقت على تعزيز اللغة من خلال استخدام المصطلحات الحربية والعسكرية بين الجيل الجديد، وتحول اللغة الحربية إلى اللغة المدنية التي تعكس واقع الحياة اليومية في مناطق الصراع، مثل المصطلحات شائعة الاستعمال: القصف والانفجار، الأمن والهدنة، والشهادة، والتطهير العرقي، العبوات الناسفة ، عملية من الأنفاق،

---

[14] - Arabic Localization in Gaming: Trends, Challenges, and Best Practices,
(25.03.2025: 08.50 PM) https://www.localizedirect.com/posts/arabic-game-localization

[15] Prof. Dr. Muhammad Muhammad Ali Shaheen، Assist.Prof. Dr. Marwan Abdullah Hussein، Assist.lect./ Ahmed Sami Ismail، The impact of using artificial intelligence in developing the design of 3D characters in electronic video games between freedom of creativity and intellectual property rights، *'athar aistikhdam aldhaka' al'iistinaeii fi tatwir tasmim alshakhsiaat thulathiat al'abead fi aleab alfidyu al'iiliktruniat bayn huriyat al'iibdae wahuquq almilkiat alfikria*، *majalat alfani waltasmim*، vol.2no.4، July2024
(17.03.2024: 03.10 AM) article_355363_ad3f45f7e21d0184004f21c800d92364.pdf

والحاجز، رصد العدو، القناص وكمائن القنص، واقتحام المنازل، الاتفاقيات، صفقة التبادل، فرق الإنقاذ. انسحاب الجيش، وبالتساوي من المصطلحات العسكرية العامية في اللغة العبرية، وما إلى ذلك... [16]



فرسان الأقصى: لقطة الشاشة من داخل اللعبة، المصدر:
https://store.steampowered.com/app/1714420/Fursan_alAqsa_The_Knights_of_the_AlAqsa_Mosque/
(25.03.2025: 07.45 PM)

بادية: البقاء في الصحراء (Badiya: Desert Survival) من تصنيع سيمافور- السعودية

تدور أحداث اللعبة في الصحراء خلال حقبة الحرب العالمية الأولى، وتتحدى اللاعبين للنجاة من ظروف قاسية أثناء استكشاف عالم واسع مفتوح، لذا، يجب على اللاعبين العثور على المؤن اللازمة والبحث عن القرى والمخيمات والآثار القديمة، والأدوات والأسلحة، والطعام للبقاء على قيد الحياة، والتعامل مع السكان المحليين والطبيعة والثقافة الصحراوية لأنهم يتبادلون الاحترام وفقا لسلوك الآخرين معهم بكونهم رحماء بينهم وأشداء على الأعداء. يمكن المشاركة في أنشطة مثل البحث عن الكنوز عن النفط أو الغاز الطبيعي، والحرف اليدوية، صناعة الأدوات التقليدية، أو صناعة الفخار، أو نسج السجاد، وحتى المشاركة في الحروب. تتميز اللعبة بنظام طقس ديناميكي، وتخصيص الشخصيات، ومجموعة متنوعة من المهام والمغامرات مثل مقاومة البدو للقوات الاستعمارية وصمود الحصان أمام الدبابات في الحرب العالمية الأولى. تقوم اللعبة البادية: والبقاء في الصحراء على ثلاثة ركائز، وهي الاستكشاف والأنشطة والقتال. تتعالج اللعبة التحديات والمغامرات اليومية الواقعية،

[16] Piece of Hebrew: Understanding IDF Slang: From the Military to Everyday Life.
(25.03.2025:7.36 PM) https://youtu.be/0x-OZfFTuxI?si=aCSIsSglY1cGbNOo

وهي ما تجعلها بمثابة العجائبي الواقعي الذي طمست فيها الحدود بين الواقعي والعجائبي، وفي نفس الوقت المفردات المتعلقة بالصحراء والبقاء فيها، والأحداث والمهرجات العربية الحقيقية واللغة التفاعلية والحوار والمحتوى الثقافي داخلها تجعلها تجربة تعليمية ممتعة مثيرة وأكثر عجائبية واقعية[17].



بادية: البقاء في الصحراء لقطة الشاشة من داخل، المصدر:
https://store.steampowered.com/app/545050/Badiya_Desert_Survival/(25.03.2025:05.40 PM)

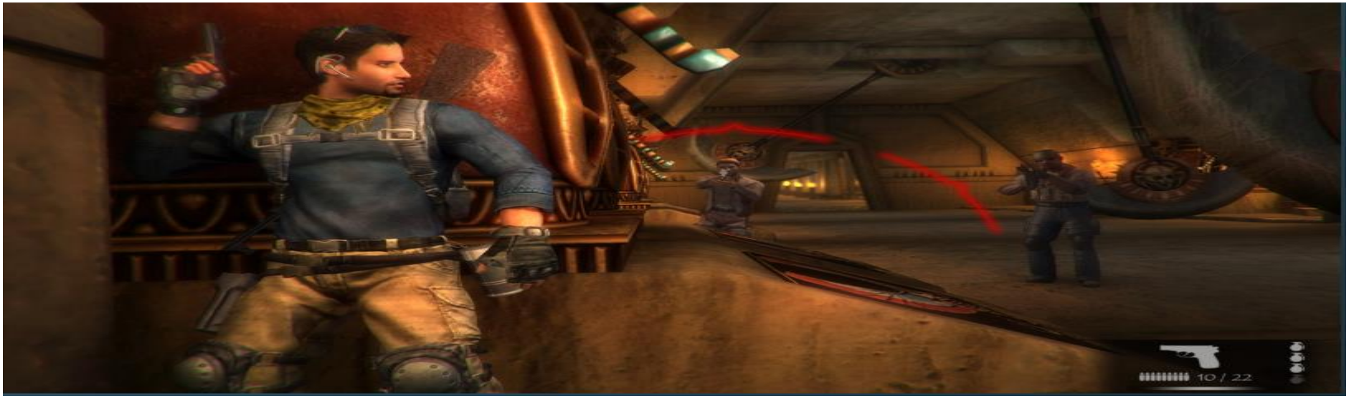
اللعبة: ان آرث: أثر ابن بطوطة (Unearthed: Trail of Ibn Battuta)

كما أن إعادة تخيّل التاريخ كمحاكاة تُسقط خيالًا على الرؤى التاريخية. وفي حالة الألعاب التي طورتها شركة سيمافور(Semaphore) التي تتخذ من السعودية مقرًا لها تتخيل أيضًا حاضرة كونية عربية كانت حاضرة بقوة في التاريخ العالمي. لذا، فمن خلال هذه اللعبة محاولة للعب الأدوار في التاريخ المترابط للقارة الآسيوية التي تركز على تدفق الروابط الثقافية مع النظرة الإنسانية الأدبية للعالم التي تبناها مفكر مثل ابن بطوطة. وقد بُذلت محاولات لتمثيل الثقافة العربية وثقافة غرب آسيا الأوسع دون فهم دقيق للتعقيدات بين المجتمعات التي تقع بين قوسين وتغطيتها من قبل المنظورات الاستشراقية والأوروبية المركزية، كما يتضح في لعبة مثل عقيدة القاتل " assassin's creed ". ومع ذلك، تقدم هذه اللعبة سردًا تاريخيًا مترابطًا بين أوروبا وغرب آسيا، ونظريات المؤامرة

---

[17] Steam, Badiya: Desert Survival
https://store.steampowered.com/ (25.03.2025: 07:20 AM)

المتعلقة بفرسان الهيكل "Templar knights " والماسونيين "Freemasons " والحشيشيين من خلال تاريخ مشوه للحروب الصليبية. ومن خلال تحليل مثل هذه الألعاب، يمكن أيضًا من خلال تحليل هذه الألعاب تحديد موقع تعبئة السرد التاريخي المضاد وتقديم تواريخ بديلة تصب في معظمها في صالح الهيمنة الاستعمارية المتمركزة في أوروبا.



لقطة الشاشة من داخل اللعبة، المصدر:
https://store.steampowered.com/app/263680/Unearthed_Trail_of_Ibn_Battuta__Episode_1__Gold_Edition/
(26.03.2025: 6.45 PM)

العجائبي والذكاء الاصطناعي والواقع في العصر الحديث:

لقد أصبح إدراج عمليات غير منطقية وغير واقعية لجلب المعنى من أجل الخلط بين الإحداثيات الحالية لتجربتنا للواقع ممكنًا بفضل المقاربة العجائبية للخيال العلمي إلى جانب التقدم في مجال الأشكال الحاسوبية لأشكال الذكاء الاصطناعي. ويرتبط علاقة التجربة المباشرة بأشكال الوسائط بالتحول من التناظرية إلى الرقمية، وبالتالي مساواة العالم الواقعي للمادة بعالم مثالي مع إمكانية تصميم الواقع من خلال التصميم الذكي. يمكن ربط فكرة التصميم الذكي بكل من الذكاء الاصطناعي والإله، وهو كما يلاحظ هيغل، الوعي المثالي والمطلق والموضوعي الذي نتخيل كبشر أن نحققه من خلال الخروج من مفاهيمنا الذاتية. وفي المنعطف المعاصر، لم تتحقق وظيفة الذكاء الاصطناعي وحداثته إلا بعد التقدم في مجال الواقع الافتراضي والواقع المعزز وتلاشي الخطوط الفاصلة بين الواقعي الذي هو كائن والواقعي الذي يمكن أن يكون، مثلا: العجائبي من خلال خلق محاكاة قائمة على عملية التجاوز، أو إدماج عناصر غير واقعية في تكوين عملية واقعية سواء كانت تاريخية أو ثقافية . وينشر استخدام روبوتات الدردشة الخيالية للذكاء الاصطناعي نموذج التعلم

اللغوي للذكاء الاصطناعي لإنشاء نص تفاعلي للعب الأدوار بين المستخدم وروبوت الدردشة. من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن مستقبل الروبوتات وعلم التحكم الآلي وكذلك تصميم الأنظمة والآلات يمكن أن يعود أصله إلى الثقافة العربية في كتابات الجزري. كما أن انغماس المستخدمين في محادثتهم مع روبوت الدردشة الآلية يُظهر مدى فعالية نماذج لغة الذكاء الاصطناعي في استخدام تعابير من العجائبي، كما يقترح فيتغنشتاين، لعبة لغوية لصناعة المعنى حيث تستخدم مجموعة المعارف الموجودة للتوصل إلى أشكال جديدة من التفاعل عبر المنصات الإعلامية من خلال إعادة صياغتها بما يتجاوز حدود الصدق والأصالة18. إن هذا التحول نحو نظرية معرفية للواقع المعزز الذي ينشأ عن الفيضان المعلوماتي والإنتاج المتواصل لمحتوى الذكاء الاصطناعي وبثه وتداوله يتجاوز النماذج المكانية والتجريبية للممكن سواء من حيث القدرة البشرية أو حدود المكان. من خلال أشكال الحضور الهجين بالوساطة الهجينة، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي المدمجة بالذكاء الاصطناعي في كل مكان، والآلات الحاسوبية، فإن هيمنة ما هو غير بشري تحرض بشكل متزايد على تخيل الذكاء الاصطناعي كمضاد للتجربة البشرية، بينما تستند هذه الأخيرة بشكل فعال إلى هذه التجربة.[19]

يتوفر الوجود المستمر للكتابات الدالة على النوع العجائبي في اللغة العربية في أشكال مختلفة من النوع الخيالي. أولاً، هناك روايات عجائبية لأحمد خالد توفيق ونجيب محفوظ وأسامة المسلم تشهد على استخدام المصطلح العجائبي في وسائل الإعلام المطبوعة. وبخلاف وسائل الإعلام المطبوعة، تقدم منصات السرد القصصي على الإنترنت مثل رواق (Riwaq) ، وأبجد(Abjjad) ، وستوريتل (Storytel) مثل هذه الروايات في شكل كتاب إلكتروني متاح لجمهور القراء على الإنترنت.

[18] - **العالم الافتراضي العملاق (ميتافيرس) هو فكرة كون ثلاثي الأبعاد عبر الإنترنت يجمع بين عوالم افتراضية متعددة ومختلفة، ويمكن أن تعتبره النسخة| المستقبلية من الإنترنت. وسيتيح هذا العالم الافتراضي العملاق للمستخدمين العمل واللقاء واللعب وإقامة العلاقات الاجتماعية معاً في هذه المساحات ثلاثية الأبعاد. ولم يصبح عالم ميتافيرس حقيقة واقعة بكل أبعاده بعد، ولكن بعض المنصات تتضمن عناصر تشبه هذا العالم، حيث تقدم ألعاب الفيديو اليوم التجربة الأقرب لهذا العالم. وقد ارتقى المطورون بالألعاب إلى آفاق جديدة من خلال استضافة أحداث داخل الألعاب وخلق منظومات اقتصادية افتراضية" في كتاب "د. مجيب الرحمن، الترجمة الإنجليزية العربية المتقدمة: نصوص مختارة" 158.**

[19] - Dirik, Mahmut. "Al-jazari: The ingenious inventor of cybernetics and robotics." *Journal of Soft Computing and Artificial Intelligence* 1.1 (2020): 47-58.

وبالانتقال من المحتوى المكتوب إلى منصات البث، تقوم مواقع مثل نتفليكس (Netflix) وشاهد (Shahid)وستارز بلاي (StarzPlay) بإنتاج ودبلجة مسلسلات عجائبية باللغة العربية، مما يجعل اللغة أكثر جاذبية للمشاهدين الأصغر سنًا، وبالتالي يجعل نقل اللغة العربية أسهل وأكثر تشويقاً لنطاق أوسع من الجمهور. وقد قدمت أفلام العجائبي العربية مثل " الفارس والأميرة" و"بلال: سلالة بطل جديد" قصصاً عربية عالية الجودة للجمهور العالمي. وتشهد هذه الإنتاجات الثقافية العربية عبر وسائل الإعلام في مجال الثقافة العربية على حيوية النوع العجائبي في الإنتاج الأدبي للتعبير الثقافي العربي الذي يتماشى مع المشهد الإعلامي المتحول والمتغير للبنية الاجتماعية والسياسية في المرحلة المعاصرة.

يمكن العثور على وفرة الجماهيرية بين متابعي كل من الخيال العلمي والعجائبي في منصات التواصل الاجتماعي مثل يوتيوب وتيك توك وإنستغرام وفيسبوك وريديت على سبيل المثال، لا حصريا، كما أن هذه المجتمعات والمنصات موجودة في حالة مقبولة في الثقافة العربية. تبتعد هذه المجتمعات عن الفهم الشائع للعب الأدوار على أنه تحدٍ للمعيارية الغيرية ولكن في المقابل يُستخدم لعب الأدوار المستمد من النوع العجائبي لتعزيز الهوية الثقافية والتضامن الاجتماعي داخل الثقافة العربية بدلاً من التشكيك في الممارسات والسلوكيات المعيارية التقليدية. كما تُظهر قاعدة المعجبين من هواة العجائبية العربية على وسائل التواصل الاجتماعي مجموعة متنوعة من المحتوى المستوحى من مؤلفات العجائبي العربية التي تتضمن سردًا وشعرًا وقصصًا قصيرة ومحتوى مصورًا ورسومًا متحركة مما يشير إلى وجود حياة حيوية في تداول تعبيرات أدب العجائبي العربية[20].

الهيئة السعودية للذكاء الاصطناعي وسوق البيانات:

في ظل التطور التكنولوجي الذي تشهده المملكة العربية السعودية في الآونة الأخيرة مع توجهها نحو الذكاء الاصطناعي، فقد أجبر الكثيرون على استثمار قدر كبير من الموارد في الاستخدام القانوني والأخلاقي لبيانات المستهلكين وفي الوقت نفسه حماية معلومات المواطنين من خلال حماية مراقبة مجموعات البيانات. وقد أعلنت الحكومة السعودية في رؤيتها لعام 2030 عن تحولها الاقتصادي من

[20] - Jenkins, Henry, and Mark Deuze. "Convergence culture." *Convergence* 14.1 (2008): 5-12.

إنتاج النفط وتكريره إلى قطاعات أخرى من الإنتاج التكنولوجي والعلمي والثقافي والبنائي أيضاً. وفي حين أن استخدام مواطني دولة معينة للذكاء الاصطناعي هو شأن عالمي، إلا أنه يجب أن نضع في اعتبارنا أيضًا أن إنتاج السرديات وكذلك الإنتاج الثقافي مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بعملية العولمة بشكل أكبر في المنعطف المعاصر، ومع قيادة المملكة العربية السعودية لاتحاد الدول العربية من خلال مبادرات مثل مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية الذي يكرس استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي لتعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها في محتواه الأدبية اللغوية، وبالتالي استكشاف إمكانية عولمة جماليات الثقافة العربية التي شوهت تاريخيًا، وإضفاء الطابع الغرائبي عليها بطريقة غير لائقة وصحيحة سياسيًا. هذا الموقف الذي اتخذته مثل هذه المبادرات ينتج فكرة مستنيرة ومثيرة للاهتمام حول تعلم الثقافة واللغة العربية باستخدام المجازات والاصطلاحات التي كانت تستخدم في الغالب في الشمال العالمي لدوافع ربحية لبيع المزيد من الألعاب العجائبية من المحتوى التعليمي الفعلي. وهذا انعكاس مطلوب بشدة لعلاقات "الشرق الأوسط" مع الغرب التي كانت موجودة من قبل حيث كان الأول موضع تعجب وفضول واستغراب وسيطرة وغزو وبالتالي استعمار من قبل الأخير[21].

المراجع والمصادر:

- د. سناء شعلان، السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة من 1970 إلى 2002، نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي.
- تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، الصديق بوعلام- الترجمة العربية، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى 1993، نشر هذا الكتاب بدعم من البعثة الثقافية الفرنسية بالمغرب.
- سعد داحس ناصر، البطل الروائي بين العجائبية والواقعية- قراءة في رواية (فرانكشتاين في بغداد) لأحمد سعداوي. لارك. 2016.
- عبد اللطيف بن علي العريشي، تلقّي مفهوم الأدب العجائبي عند الباحثين العرب المعاصرين،العدد العاشر، مجلة الآداب 01-03-2019.
- د. بدراوي، عبد المجيد، الأدب العجائبي، الملتقى الوطني: اللغة الخاصة في البحث العلمي وحقول المعرفة المحتلفة، 9 مايو 2018.
- أشواق فهد الرقيب، تجليات العجائبي في أدب الرحلات، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، العدد الأول- المجلد الخامس، مارس 2019.

[21] - An Overview of AI Data Protection in the Context of Saudi Arabia, International Journal for Scientific Research, Valume (3) No. (3) March 2024

- د. عادل ايت العسري، العجائبي في الأدب الجغرافي العربي: الأنماط والمقاصد، مجلة الذاكرة، مجلد 09، العدد، 01، السنة 2021.
- م.د. علا حسين قرني سعد، تأثير الواقع الافتراضي علي التصميم الداخلي، مجلة التراث والتصميم – المجلد الرابع – عدد خاص (1) نوفمبر 2024.
- على سردوك، استخدام الروبوتات الذكية في المكتبات الجامعية: التجارب العالمية، والواقع الراهن في بلدان المغرب العربي، مجلة دراسات المعلومات والتكنولوجيا، جمعية المكتبات المتخصصة فرع الخليج العربي، 30.09.2020.
- ياسر سليمان معالي. اللغة العربية في ساحات الوغى: دراسة في الأيديولوجيا والقلق والإرهاب. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات؛ 2023.
- أ. إسماعيل محمد الميمني و أمين على الحزنوي، واقع استخدام تقنية الواقع المعزز في تدريب الطلبة ذوي اضطرابات التواصل.مجلة كلية التربية (أسيوط) المجلد 33، العدد -3، مارس 2022.
- محمود طارق هارون، فاعلية عناصر الألعاب (Gamification) وتوظيفها في مجال المكتبات والمعلومات، مكتبات.نت مجلد 20 عدد 4 (أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر) 2019.
- أحمد سامي اسماعيل عبده، أثر استخدام الذكاء الإصطناعي في تطوير تصميم الشخصيات ثلاثية الأبعاد في العاب الفيديو الإلكترونية بين حرية الإبداع وحقوق الملكية الفكرية، مجلة الفن و التصميم، المجلد الثاني- العدد الرابع، يوليو 2024.
- فهد خالد ناصر العتيبي، أ.د. حسن محمد حويل، أ.م.د. أحلام دسوقي عارف، تصميم بيئة تعلم إلكترونية قائمة على محفزات الألعاب الرقمية لتنمية مهارات برنامج بلندر لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة بدولة الكويت، مجلة كلية التربية، جامعة اسيوط، المجلد 39، العدد 10، 2023ص 274-300.
- أ. هند فيصل محمد العصيمي، دور استخدام المدونات الإلكترونية على تنمية مهارات التعلم الذاتي لدى طالبات المرحلة الثانوية، جامعة اسيوط، المجلد 39، العدد 1.2، 2023ص 166-205.
- هدى منصور، رؤية 2030 والتحول نحو الاقتصاد المعرفي في المملكة العربية السعودية، مجلة التجارة والتمويل، كلية التجارة- جامعة طنطا، 4 ديسمبر 2021 ص 425-456.
- مروة مصطفى السيد أمين، وظائف المعجم الإلكتروني: دراسة تطبيقية على معجمي "دليل المعاني" و"الرياض" مجلة كلية الآداب بقنا، المجلد 33، العدد 65، أكتوبر 2024، ص 98-148.
- مجيب الرحمن، الترجمة الإنجليزية العربية المتقدمة: نصوص مختارة، مركزي ببليكيشنز، نيو دلهي، 2023.

.... ❖❖❖❖❖ ....

قصة قصيرة

مسيرة إيمان وإرادة

صبحة بغورة *

قصة قصيرة

لطالما شعرت بأنها طفلة مختلفة. تبدو واثقة أكثر من باقي أترابها في ثبات خطواتها، كبرت عزيزة النفس لا تحب التأخر أو الغياب في المواقف الجادة، غدها ليس ضبابا ولا صورة من هباء، هي الأيام تعاندها حينا وتقسو عليها أحيانا أخرى، ويوقظها الطيف إن ضلت الطريق إلى أحلامها الطفولية البريئة، ويرسم لها الليل الطويل صورا تداعبها على عتبات ذلك المجهول القادم إليها تراه يحط رحاله على قدرها، وهي الأنثى المفعمة بالنشاط والأمل الممزوج بالألم، لكن ذلك الحلم بعد الرحيل الطويل أكيد سيستقر لتفتح له الأبواب لبداية الانطلاق إلى عالم مازالت تراه حلما، بين تلافيف الذاكرة أحلام محلقة بعيون الصباح في المدى المزين بأكاليل الورود، التي يذوب في كف مساءاتها التي تعدها بغد جميل تعانق فيه وجه القمر، وسط تلك المزارع النائية فتمتلئ من ضيائه وتبتسم مغنية لطيور الفجر.

كان تفكير إيمان الطفولي مليئا بالأسئلة، التي غالبا ما تعجز عن إيجاد إجابتها، فتطفئ حيرتها بدمع لامع، تثري بصمتها كلام يتكسر بين مرايا وقع الفقر والحاجة، ولا تزال ترقب ذلك القادم المجهول لربما يمسح عنها غبار الشقاء، كعصفورة حائرة، حاملة قلقها من برد المساءات التي تمضي ولا تأتي بجديد. يمتد السكون كأن غيمة حطت على حبل الوريد، ترسم حكاياتها بالكلمات لهيبا في المدار، وصمت البيوت التي تقمع حلم كل أنثى تطمح للعلا، ولكن كلما ارتقى حلمها وارتفع على واقعها يسحبها إلى رصيف مرصع بالأمنيات المجمدة، لكن بإيمانها تراه يأتي في الربيع ويذيب ما علا أحلامها من ثلوج عنيدة، وهي تنطلق معها نحو حلمها الأبدي.

كانت إيمان تنتمي إلى عائلة كثيرة الأفراد، ولم يكن والدها قادرا على إعالتها لصعوبة الحياة الريفية وانعدام الأمل فلم يكن يمتلك عملا دائما، وكانت إيمان الابنة الكبرى لهذه العائلة، فشحذت همتها لتساعد والدها، وأخذت مرة تبيع المواد البلاستيكية التي تجمعها من

* كاتبة وصحفية جزائرية

الحاويات لإعادة تدويرها، وتارة أخرى تبيع خبز الدار على قارعة الطريق الرئيسي للسيارات، ولم تكشف مسيرة حياتها التفاصيل مثل بائعة الخبز للكاتب الفرنسي كزافيه دومونتبان، ولا بائعة الكبريت للأديب الدانماركي هانس كرستيان أندرسن، فهي طفلة مثابرة، تفرح بفستان جميل يحضره والدها لأيام العيد بألوانه الزاهية، هي لا تبحث عن الموضة ولا تتابع أحدث بيوت الأزياء، المهم فستان تعكس ألوانه أحلامها الوردية.

كل صباح. اعتادت إيمان الذهاب إلى مدرستها البعيدة سيرا على الأقدام، وفي الطرق الطينية يثقل حذاءها البالي بالوحل، والأمطار تبلل قدميها الصغيرتين، والصقيع يجرح وجهها حتى تكاد لا تقوى على مسك قلمها بيدها، دون أن تنفخ فيها كي تتدفأ بحرارة زفيرها، عاشت تعاند قسوة برد الشتاء ولهيب الصيف الذي أحرق وجهها، ولم يهمها هذا الأمر قدر رغبتها في مساعدة والديها في حمل شيء من عبء مسؤولية البيت وتخفيف المعاناة ولو بقدر ضئيل، فالفقر والحاجة جعلت منها أنثى صلبة، قوية قوة الرجال وكقوة الطبيعة وقسوتها، محاولة كسر رتابة الأشياء المحيطة بها ومحو غصة تستوطن أحلامها، ولما كبرت صار أكثر ضيقا وأفظع مما كان متوقعا، من الصعب أن يجد الإنسان الاختيار الذي يبحث عنه وإن يجتهد من أجله، ويركض قبل أن تتسلل الخيبة إلى قبله وتحاصره كي لا يصل إلى غده المنتظر، يهرب لكن الحصار يعود ويضيق عليه فتعود إليه مجبرة وقلبها، يتراجع من الظلام إلى الظلام، وقلبها لم يعد يقبل الحطام كبقية البنات في سنها، فقد أصبحت ترى درب الدراسة ما زال طويلا ولا يحل مشكلتها ولا مشاكل عائلتها أو يوفر لهم الحياة الكريمة، ولن تحقق ما تحلم به، كمن يدور في حلقة فارغة، تتبعت نداء قلبها وعقلها معا وهي مقتنعة بهذا الاختيار الذي وجدته حلا مناسبا في غياب كل الحلول الأخرى، وهو ما يعني خلاصها من رمادية الحياة التي عاشتها، والتي كانت ستقضي على ألوان دنياها الجميلة، لو أنها فقدت أملها الذي هو سر صمودها، فبعض الأمور تتطلب التضحية والاجتهاد والصبر حتى يبزغ بصيص الأمل .

كانت إيمان تحب ممارسة الرياضة خلال تواجدها بالمدرسة الإعدادية، وتنال فيها العلامة الكاملة، مما أثار انتباه استاذ التربية الرياضية نشاطها وخفتها وسرعة حركاتها، حيث أصبحت حديث القاعات الرياضية في تلك المدينة البعيدة جدا عن قريتها، ويوما ما نقل إليها أحد زملائها في الدراسة عرضا من أحد مدربي الملاكمة للانضمام إلى فريق الملاكمة بالقاعة وستنال مقابلا

ماليا كل حصة تدريبية، كان العرض مغريا وأخبرت به والدها فضحك اشفاقا عليها من أن يتهشم أنفها! . . لكنه لم يمانع، وفي الغد ذهبت والتقت بهذا المدرب فسلمها مبلغا من المال لتحضر نفسها وتقدم ملفا كاملا لإدارة القاعة، وفرحت إيمان بالمبلغ وعلى قلته رأته كبيرا يكفي لشراء مقلمة لأدواتها المدرسية التي كانت تضيعها في كل مرة.

كل ما أرادته إيمان، هو الظهور بشكل لائق أمام زميلاتها، دون أن تكلف والدها أعباء إضافية، ووالدها يشجعها على مواصلة الدراسة والنجاح لنيل شهادة البكالوريا، أما والدتها فكانت تريدها ناجحة في أي مجال دراسي أو رياضي، المهم أن تكون ابنتها ناجحة في حياتها، لكن والدها بقي ممتعضا من غيابها عن البيت للتدريب وعودتها المتأخرة إلى المنزل ليلا، فأهل القرية محافظون جدا والألسنة الطويلة لا ترحم. وبعد أن استلمت النقود من مدربها تغيبت مرة أخرى، وأمام إصرار مدربها على عودتها التقاها وأعطاها بدلة رياضية وأصر أن تبدأ التدريب معه، وتنبأ لها بأنها ستكون يوما ما بطلة أوليمبية، لم تفهم إيمان ما المقصود ببطلة أوليمبية، ولما كان من الصعب أن تستمر إيمان في التدريب بالقاعة البعيدة التي تنتقل إليها سيرا عادت إلى بيع خبز الدار على الطريق لتوفر المال اللازم لتذكرة الحافلة والتكفل بمصاريفها، فوالدها لا يعمل عملا منتظما ودخله غير ثابت، وكانت تعاني الحرمان الكبير، يعلم أهل قريتها أنها تمارس أعمالا ليست مناسبة لعمرها، وكانت محاربة قوية يثني عليها الجميع إذ ما تحملته يفوق بكثير ما يتحمله الرجال، وأصبحت الأنثى التي يضرب بها المثل في التحدي والإصرار.

أخيرا تركت إيمان مقاعد الدراسة مضطرة لإعالة أسرتها، ومعها وجدت فرصة للتفرغ للرياضة وقتا أطول، وبعد مرور بضعة أشهر من التدريب، خاضت أول تجربة أول منازلة رسمية لها وهي واثقة من نجاحها، كانت ابتسامتها تجعل الخريف ربيعا، والليل المظلم صباحا مشرقا، تدرك أن الأيام لسعت الجميع وأن ابتسامتها دواء لكل داء، تحيا دون أن تلحق أو تتسبب بالضرر لأي إنسان ولا حتى بكلمة أو فعل أو سوء الظن، تعي جيدا قيمة أن تقدم يد العون لمن هم بحاجتها، متسلحة بالهدوء والتعقل الذي لا يعكر سكينتها، كما تجيد احتواء مشاعرها التعيسة وابتلاع أحزانها واستبدالها بالمشاعر السعيدة.

في غمار تدريباتها، أخبرها المدرب بأنه تم ترشيحها، لخوض منافسات البطولة الوطنية للملاكمة صنف أواسط والتي ستنظم في مدينة أخرى، كانت أول مرة تسافر خارج مدينتها

بدون أسرتها، وهناك التقت لأول مرة مع إحدى المشاركات التي خاضت من قبل بطولة العالم، الجميع كانوا يشككون في إمكانية فوزها في المنازلة، وكانت المفاجأة حين فازت إيمان على منافستها بفارق كبير في النقاط، حينها أدركت إيمان أنها على أبواب المجد وأصبحت بطلة وطنية بجدارة، بالرغم من الظروف التي ما انفكت تعاندها مرة أخرى، لأن نجاحها العفوي بفضل موهبتها الشخصية، لم يشفع لها كي تتجنب ظروفا ترتبت منذ ولادتها في عائلة فقيرة، ونشأتها في محيط منغلق على نفسه، لكنها لم تستسلم للألم والفشل، ولم تضيع الوقت الثمين ولم تفقد ثقتها بنفسها، فهي تعي أن بضع سنوات قليلة من العمل الدؤوب والسعي المستمر كفيل بتغيير الحظ، إنها تؤمن كل الإيمان بأن كل من يعمل بجد وثبات ولا يجعل للتشاؤم سبيلا إلى نفسه سينجح، إرادتها تولد في نفسها مزيدا من دفق الثقة التي لا تعني بالضرورة عندها الاعتقاد بامتلاك الموهبة فحسب، بل تؤمن بأن يتقبل المرء حالته الحاضرة كما هي ويحاول تحسينها ورفع مستواها، وما من شك إنه سينجح إذا وضع هدف تحقيق النجاح نصب عينيه، وبذلك كان نجاحها الأول كبطلة وطنية صغيرة رغم جهلها لأمور كثيرة في الحياة.

أخيرا بدا لها طيف النجاح، الذي حفزها على الاستمرار فضاعفت التدريبات حتى في ساعات الليل، ورحبت بها عمتها ببيتها القريب من قاعة الملاكمة، وصار زوج عمتها سندها في المدينة البعيدة عن قريتها النائية، قررت إيمان الاستقرار عندها ومواصلة دراستها بالثانوية، عاشت مكتفية بالمبلغ الذي تتقاضاه بما جنته بعد فوزها بالبطولة الوطنية وقسمته بين لوازم دراستها وتدريبها الرياضي، كانت هذه الظروف مرحلة انتقالية بعدما صار لها راتب شهري إذ تمكنت من تقليص فارق المستوى الاجتماعي بينها وبين زميلاتها، ثم انطلقت بكل جد واجتهاد، في رحلة حياتها تستمد لحظات الفرح الجميلة، لتدفعها إلى الأمام مودعة واقع ماضيها المرير وذكرياتها الحزينة، التي ظلت هاجسا يؤرقها بالليل ويزعجها بالنهار، تلك الذكريات المتقلبة كانت تشعرها دوما بعدم الاطمئنان، حين عاشت الأجواء التعيسة والأنواء والشقاء، فتعلمت منذ صغرها من تجاربها في الحياة أن لا الفرح يبقى ولا الحزن يدوم، وما عليها إلاّ اتخاذ قراراتها بنفسها دون أن يؤدي بها إلى الندم، تستمد حكمتها في التصرف من ذكرياتها الحزينة حتى وإن لم ترجح كفة الذكريات السعيدة، وموقنة أن الجمال والأمل والغنى والصحة كلها مسائل نسبية تتفاوت فيها الأحكام من حال إلى حال، وقد يبلغ بها الحال إلى الضحك حد البكاء أو البكاء حد الضحك.

توالت بطولات إيمان بأدائها المميز والقوي داخل الوطن، تسع بطولات متتالية جعلتها تنتقل إلى التحضير للبطولة الإفريقية، تمكنت من نيل الميدالية الذهبية، ظلت في تطور مستمر معتمدة على نفسها حتى نظمت لها الدولة الدورات التدريبية خارج الوطن التي مثلت لها قفزة عملاقة نقلتها من قريتها الصغيرة إلى أسفار عبر دول العالم الذي بدا لها أوسع مما كانت تتخيله. كانت أحلامها من قبل مرهونة بعدد الخبز الذي تبيعه، والآن تشعر أن الحياة تبتسم لها بكل الألوان التي تمنتها واشتهتها لتلوين قلبها الحزين، فالبقاء على ساحة الحلم روعة وجمال، وحسها النقي و إصرارها على النجاح هو حلاوة الروح وبراءة البياض عندما تسافر بحلمها إلى أقاصي النجوم المتوهجة بالحنين والشوق، و في كل مرة إلى ارتفاع راية وطنها خفاقة في الأعالي مكتملة بكل عناصر الحب والوفاء للأرض التي ولدت بها إنه وطنها الجزائر، لونها ومزاجها وطقوسها على أرضه هو الشعور الدافئ الذي يراودها وهي تتأمل الوان الراية التي تعلو بالشعور المتجدد كالمطر والضوء والعطر، إنه يحفزها ويذلل أمامها الصعاب، ويخفف المواجع ويلوّن مساحات الهيام ومعه تنتشي الخلايا، إنه وطنها الجزائر الشيء الوحيد الثابت فيها فهو حاجتها وجنونها، تحتضنه بوجهها المطل كنهار رائع فتشتعل عندها لحظة الحماس المنسجمة التي تعبر بها بكل التعابير وهي فوق حلبة الملاكمة فهناك تبرز فصول ونقاط الحصاد .

بعد سلسلة انجازاتها المبهرة والمتواصلة، تأهلت إيمان إلى الألعاب الأوليمبية بطوكيو، كان حلما لم تتصور يوما أنها ستبلغه، لكن إيمانها بقدرتها الفنية وثقتها الكبيرة في امكانياتها البدنية جعلها تحققه، لكن المفارقة أن الحلم تحقق في فترة عانى فيها العالم من وباء كوفيد 19 الذي فرض قيودا على التحضيرات وحصرها في أماكن معينة، وكان السفر خارج الوطن مقننا وهذا ما جعلها تحتل الرتبة الخامسة في البطولة لم يفشلها هذا الظرف الطارئ والحساس بل زادها خبرة ورفع معنوياتها أكثر حيث ازدادت الرغبة فيها للتأهل ثانية والمشاركة في الألعاب الأوليمبية بعدما لمست الحماسة و روح التنافسية عند كل رياضي ورياضية، قررت أن تعمل أكثر لضمان التأهل للألعاب الأوليمبية بباريس 2024 ممثلة للجزائر في رياضة الملاكمة، ويحل اليوم الموعود وتلتقي فوق الحلبة بمنافسة الأولى أنجيلا كريني الإيطالية، التي انسحبت باكية بعد 46 ثانية إثر تلقيها لكمة قوية، حسمت إيمان النزال ولكنها لم تحسم الجدل المثار حولها أخذت ترقب منافستها وهي تبكي مرددة ما سمعته من إشاعات مغرضة فقط لتبرر

هزيمتها وما زاد الأمر سوءا دخول رئيسة الوزراء الإيطالية جورجيا ميلوني على الخط في حملة التشكيك في الملاكمة إيمان.

كان حدثا غير مألوف في الدورات للرياضية العالمية، ادعاءات سخيفة وأكاذيب غير مؤسسة جاءت في إطار حملة تنمر شعواء انضم إليها المرشح للرئاسة الأمريكية دونالد ترامب خلال كلمته في تجمع شعبي لحملته الانتخابية، وكاتبة سلسلة هاري بوتر جوان كاثلين روينج لتحطيم الملاكمة إيمان، ولكن وقفة الشعب الجزائري والعربي كان خير سند لها، بعدما اتضح أن ما تعرضت له يدخل في خانة الحسابات السياسية، حين أرادت بعض الأطراف الدولية إدماجها بالرياضة لإفراغ شحنة حقدهم بعد إخفاقاتهم السابقة في العديد من القضايا الدولية، عرفت إيمان أنها حرب شرسة، مما زادها قوة وإيمانا لأن الحرب الإعلامية ليست ضدها فقط، بل ضد بلدها، وما منحها الشجاعة هي تلك الوقفة التضامنية من أهلها وشعبها وهبة وطنها على كل المستويات إلى جانبها في هذا المحفل العالمي، أيقنت من أنها ليست وحدها وأن القضية أكبر من شخصها، شاهدت دفاع والدها بالأوراق الثبوتية عارضا شهادة ميلادها مولودة كأنثى، وفرحة أمها بها هدية الله تعالى لها غفت في أحضانها كعصفورة آمنة، كالورد والريحان يعبق منها رحيق الأنوثة في عينيها تزهر كل الألوان، تسطع عيناها كقنديل على أبواب الشقاء لتخفف تعبها، لقد أسعدت أيامها، كان يوم ميلادها سراجا أضاء فوانيس العمر المظلمة، ابتهجت إيمان بسماع كلمات والدها، وانتشت روحها بتشجيع رئيس دولتها عبد المجيد تبون، وبكل من أحبها داخل الوطن، كفكفت دموعها وألقت أحزانها وراء ظهرها غير مبالية، اليوم هي تمثل الوطن والعلم بالصبر والروح الرياضية في الاحتواء الهادئ والاستيعاب الواعي للأحداث، من خلال ما سجلته الصورة وعكسته المواقف.

وواصلت تحديها في مقابلتها الثانية، أمام الملاكمة المجرية لوكاهاموري بكل عزم وإيمان بالفوز، تغاضت عن إساءتها لها عندما صورتها كالوحش على صفحتها الرسمية، وكانت نهايتها هزيمة مذلة على الحلبة وليس في مواقع التواصل الاجتماعي، وبالفعل ردت إيمان على كل من حاول احتقارها أو التنمر عليها بالبذاءات والكلام المسيء، وبالغت مختلف وسائل الإعلام الغربية والصحافة العالمية والأوساط الحقوقية والدبلوماسية الغربية في الإساءة إليها، ومحاولة النيل السافر من كرامتها، لامست المواقف حدود العنصرية القميئة، وتداولت أروقة منظمة الأمم

المتحدة طبيعة الاتهامات المتبادلة، بعد أن اتهم نائب مندوب روسيا لدى الأمم المتحدة بوليانسكي الجزائر بإشراك رجل بمنافسة الملاكمة في أولمبياد باريس 2024 في الدورة النسائية ! . . كان الرد الجزائري على لسان الدبلوماسي توفيق كودري الذي عبر بشدة عن رفضه لهذه التصريحات مؤكدا أن الملاكمة إيمان خليف ولدت وعاشت أنثى، إنها رياضية وبطلة مارست الرياضة بكل المقاييس وأنه لا يوجد أدني شك من ذلك، إلا من له أجندة سياسية مجهولة المقاصد، وعليه تم إحالة الأمر إلى اللجنة الأوليمبية الدولية التي أعلنت بكل وضوح شهادتها التي أخرصت الجميع، نظرت إيمان بكل شجاعة إلى كل من حولها متسائلة في عجب!.. إن كانت هي القروية القادمة من منطقة نائية قد قلبت العالم رأسا على عقب، وهي بائعة الخبز على الطريق من تقف أمريكا وروسيا وأوروبا في وجهها.

خلال لحظات الراحة، جلست منزوية في منآى عن أعين الصحفيين والرياضيين، وهي تتفحص متعجبة عبر هاتفها أخبارها التي ملأت العالم، وكأن كل أخبار العالم توقفت وكل القضايا الدولية انتهت والحروب هدأت، ولم يبق فوق الكرة الأرضية إلا قضيتها، أغلقت هاتفها وأخذت ترقب من حولها وتتبع خلسة حركاتهم وسكناتهم وتعابيرهم المريبة، صادفها مدربها المخلص وبادرها ناصحا أن لا تبحث في السلبيات حولها، الناس تبحث في أي شيء وبحثهم مرضي عنصري، تشكيكي، تراهم يتحدثون عن النجاح والإبداع والجو الرائع الذي يعيشونه، وبعد ذلك تنبري أقلامهم السوداء على بياض الأوراق الجميلة تنثر السموم لتلطخ البياض، لذلك علينا أن نجدد الأمل بكل إيجابية ونتحكم في الانفعالات، على وقع هذه الكلمات استجمعت إيمان إرادة التحدي، واستجمعت زمام نفسها مجددة العزم لتملك السيطرة على مجرى حياتها.

في كل مقابلة على حلبة الملاكمة يتلاقى الخصمان، وكل منهما يثخن الآخر بالضربات واللكمات ما أرادت قوله، ماضيه وحاضره وربما مستقبله دون تردد أو التفت لتفاهاتهم، لديها نهجها كعربية ومسلمة ولها واقع تعيشه، فقط عندما تنظر لكل من أحبها من كل أنحاء العالم وإلى من ألّف الأشعار من أجلها وأطرب بالأغاني مسامعها، وإلى كل من تتبعها مهتما بأخبارها، عليها أن تتهيأ جيدا فلاتزال هناك منازلات أخرى تنتظرها على الحلبة، وهناك يكون الانتقام. أجرت إيمان مقابلتها الثالثة مع الملاكمة التايلاندية وفازت فوزا عظيما، ومنها تأهلت للمباراة النهائية. كان كلما اقترب موعد المنازلة زادت حدة حملة التنمر ضدها، فما زادها إلا عزيمة

وإصرارا أكبر، فقد أصبحت على بعد خطوة من تحقيق هدفها، وتعلم أنهم يحاولون النيل من معنوياتها بتشويه صورتها والحقائق بكل الطرق المشبوهة حتى تلك التي تنال من شرفها وتسيء إلى كرامتها بغرض تحطيمها.

أدركت وفهمت أنها لعبة سياسية قذرة لدول توصف بالعظمى، يتلونون ويغيرون جلدهم كالثعابين وقتما شاءوا وكيفما أرادوا، قوة خفية تحرك الحماسة في نفسها وتجدد إرادة التحدي في قلبها، ودمائها الحارة المتدفقة تأبى عليها أن تكون فريسة، لن ينفعهم ما خططوا له، لن يمنعوها من الوصول إلى هدفها، إنها من أمة راضية بما قسمه الله تعالى لها، تؤمن بأن أخلاقها تسطر درب حياتها حتى لو مشته حافية فوق الأشواك، أمة لا تفرط في مبادئها، عزمت أن يكون ردها الوحيد فوق الحلبة، وكان لها ما أرادت، انتصار مشرف على منافستها الصينية، وحققت حلمها بالفوز بسموها على الصغائر وترفعها عن البذاءات، وبوعيها وحبها وولائها لوطنها الجزائر الحبيبة.

إن ما حققته كان ردا لجميل بلدها، الذي ألبسها ثوب العز وكساها بالكرامة وحباها بالعافية والخير والأمان، لقد صوبت بوصلة العطاء نحو الوطن والهوية والعرق الإنساني، وأنشد النشيد الوطني " قسما "وعيناها لا تفارقان علم بلادها يرتفع أمامها، لقد ردت الاعتبار لنفسها ولبلدها بالعمل، وبالإيمان والإرادة..

.... ❖❖❖❖❖ ....

فلسطين الحبيبة: بين الدماء والدموع

مهدي أحسن *

أصحاب الرياسة والرئاسة...حكام العرب وأحكامه... أعميت أبصاركم عن الرشاد والسداد... فلسطين الحبيبة جريحة بدماءها ودموعها ثائرة...

أصحاب الجلالة أين جلالك عندما لا تنصر المستضعفين، وأين شأنك عندما أخوك يموت، وأين إيمانك عندما تستشهد المساجد والجثث تمزق إلى أشلاء يوما فيوما. وقد أصبحت الدولة الإسلامية غير مسؤولة والمساجد خالية والنساء عارية وأحكام الله لاغية وأرض الله محتلة والفقراء تحت المطر بلا مظلة.

فما زالت فلسطين تحت احتلال اليهود المعتدين، فلسطين هي الأرض المقدسة، فلسطين هي أرض الأنبياء والمرسلين، فنحن أحق بهم أن نتبع، ونحن أحق بهم وأن تنتهى هذه المعركة لأن الأمر من رب العالمين، لأن البطل في قيود المسلمين. ولكن اليوم فلسطين تدمي جرحها ونحن نشاهدها، فلسطين تموت من الجوع ونحن نشبع بوجبات لذيذة، فلسطين تجاهد في سبيل الله ونحن نحب لأنفسنا وذواتنا.

وهذا غيض من فيض، إنما هذا ميراث الأجداد، ومسؤولية الأحفاد، وموقع معراج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعهد الخليفة الثاني عُمَر رضي الله عنه، فتحها المسلمون بعد وفاة النبي.

وحديثنا اليوم أنها تدمي جرحها ولم نقدم لها أي مساعدات؟ أو قدمنا لها أي تضحيات؟

قال الله عزوجل في كتابه الحكيم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)، والله؛ إن ننصر ديننا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيزكي الله قلوبنا ويحفظنا من كلّ المصائب والمكاره، والله إن ننصر إخواننا فينصر الله إخواننا ويحفظهم.

تبا لك وسحقا يا أهل العزّ والسؤدد، الأحرى بكم أن تموتوا إذا تركتم الآخرين في شراك الموت والهلاك، تعودنا على الراحة والله عز وجل يقول: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ).

وإذا رفع الحكام أعلام الدفاع بالحكمة فالسلام سينتشر في فلسطين ويتذوق الفلسطينيون حلاوة النصر بدلا من الهزيمة، و ولكن اليوم نحن نرى حكام المسلمين في غفلة عظيمة، وفي صمت رهيب

* طالب في جامعة دار الهدى الإسلامية، بنغال الغربية

وخوف وعجز وبخل إلى أقصى المدى حتى إنّ دولة صغيرة إسرائيل تهجم وتخرب كلّ زاوية فلسطين وناحيتها بهمجية ووحشية.

أيها الحكام! ألا تعلممون أن فلسطين معراج محمدي؟ القرآن يبين: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ۚ إنه هو السميع البصير).

لماذا لا تعدلون أيها الحكام؟ ألا تعلمون أن فلسطين أرض الأنبياء والرسل، فانظروا إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط ولوط وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام كلهم عاشوا في هذه الأرض المقدسة حتى النبي جعل معراجه من هذه الأرض المقدسة.

وما هذا إلا قليل، أن الأعور الدجال لا يدخلها لأن الحديث يبين " وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس". وقال سبحانه وتعالى أيضا :وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ. ذكر أن طور سيناء من أرض الشام، وقيل هو جبل فلسطين، وقيل إنه بين مصر وإيليا، ومنه نادى موسى عليه السلام، وقيل إنه جبل بيت المقدس. قال أبو ذر رضي اللَّه عنه وهو يروي حديثا: سَأَلْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عن أوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأرْضِ؟ قالَ: المَسْجِدُ الحَرَامُ قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: المَسْجِدُ الأقْصَى قُلتُ: كَمْ بيْنَهُمَا؟ قالَ: أرْبَعُونَ عَامًا، ثُمَّ الأرْضُ لكَ مَسْجِدٌ، فَحَيْثُما أدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ.

ختاما ندعو يا إلهنا انصر أهل غزة، وانصر من نصر هم واخذل من خذلهم.

.... ❖❖❖❖❖ ....

صدور كتاب "نحبّكِ يا نعيمة" لسناء الشّعلان عن "التّنّور" الثّقافيّ بمشاركة مئات العلماء والمبدعين والكتّاب

سناء الشّعلان *

❖ هديّةُ وفاءٍ من سناء الشّعلان ومركز *التّنّور* والمشاركين في الكتاب لذكرى الرّاحلة نعيمة المشايخ.



تامبرة/ فنلندا: في الذّكرى السّنويّة الثّالثة لرحيل الأديبة والأمّ الرؤوم نعيمة المشايخ التي توافق يوم 12/9/ 2021 أصدر "مركز التّنّور" الثّقافيّ الفنلنديّ العربيّ الذي يرأسه الأديب العراقيّ المهجريّ عباس داخل حسن كتاب (**نحبّك يا نعيمة: بأقلام مَنْ عاصروها وأحبّوها**) في طبعته الأولى التي جمعها ونقّحها وأعدّها ابنتها الأديبة شمس الأدب العربيّ أ. د. سناء الشّعلان (بنت

* أديبة من الأردن

نعيمة) تقديراً لذكرى والدتها الرّاحلة، في حين وصف النّاشر عبّاس داخل حسن هذا الإصدار بأنّه هديّة وفاءٍ من سناء الشّعلان ومركز التّنّور والمشاركين في الكتاب لذكرى الرّاحلة نعيمة المشايخ.

يُذكر أنّ الكتاب مُهدى إلى البرفيسور العلّامة الطّبيب جهاد العجلونيّ من الأردن، ويقع في (703) من القطع الكبير، وهو مشفوع بمئات الشّهادات الإنسانيّة والإبداعيّة من سائر أصقاع الدّنيا في حقّ نعيمة المشايخ، كما أنّ غلاف الكتاب هو لوحة بريشة الفنّان الأردنيّ التّشكيليّ عاصف نصري، وهي لوحة تحمل اسم (رفيقتي الأبديّة)، في حين شاركتْ الفنّانة التّشكيليّة الإيرانيّة حكيمة توكلي بالكتاب بأربع لوحات بعنوان: (الأمّ وابنتها)، و(الأمّ الطّاهرة)، و(الحبّ الخالد)، و(زهور الحبّ الأبديّ)، كذلك شاركت الفنّانة التّشكيليّة الإيرانيّة زهرا سياحيّ بلوحة بعنوان (أمّي).

جاءت المشاركات في الكتاب على شكل شهادات نثريّة وشعريّة وقصصيّة ودراسات نقديّة ولوحات تشكيليّة فنيّة وشذرات فنيّة ومقابلات إعلاميّة، واحتوى الكتاب من بدايته على كلمة للنّاشر عباس داخل حسن، وشهادة من الابنة د. سناء الشعلان (بنت نعيمة)، وشهادة إبداعيّة خاصّة من الرّاحلة نعيمة المشايخ في حقل الأمومة والإبداع، ومدخل إلى الكتاب بقلم أ. د. عبد الإله بنهدار، وكلمة عرفان، وشكر وتقدير وتعزية وتوضيح، وإهداء يتيم، وتقديم الكتاب بقلم عطوفة أ. د. نضال الأحمد العياصرة وأربعة أبواب عملاقة تنتظم الكتاب كلّه تحمل على التّوالي العناوين التّالية: الباب الأوّل: (شهادات إنسانيّة وإبداعيّة نثريّة)، والباب الثّاني: (شهادات إنسانيّة وإبداعيّة شعريّة)، والباب الثّالث: شهادات إنسانيّة وإبداعيّة (شذرات من الحبّ والوفاء)، والباب الرّابع: (لقاءات إعلاميّة مع سناء شعلان حول نعيمة المشايخ)، كذلك انتهى الكتاب بملحقين، الأوّل منهما بعنوان: (سيرة الرّاحلة نعيمة المشايخ)، والثّاني بعنوان: (وثائق وصور تخصّ منجز الرّاحلة نعيمة المشايخ).

شارك في الكتاب من سائر دول العالم- المئات من الأكاديميين والعلماء والباحثين والأدباء والكتّاب والشّعراء والفنّانين والتّربويين والنّقّاد والدّبلوماسيين والباحثين والإعلاميين ورجال الأعمال والنّاشطين في الحقول الثّقافيّة والإبداعيّة والتّربويّة والإنسانيّة ورؤساء الجامعات والمؤسسّات الإبداعيّة والمدنيّة والبحثيّة والتّربويّة والحقوقيين والوجهاء ورموز الثّقافة والإعلام الأردنيين والعرب والعالميين، فضلاً عن مشاركة أفراد الأسرة والأقارب والأهل والجيران والأنسباء ممّن

عاصروا الأديبة الرّاحلة نعيمة المشايخ، وربطتها بهم أواصر إنسانيّة قائمة على المحبّة والتّقدير والذّاكرة المشحونة بكلّ طيب وتقدير وولاء لها.

عن هذا الكتاب قال عطوفة أ. د. نضال الأحمد العياصرة المدير العامّ لدائرة المكتبة الوطنيّة الأردنيّة في معرض تقديمه للكتاب: "هذا الكتاب سِفْرٌ للحبّ بين الأمّ وابنتها وأبنائها وأفراد ومجتمعها وكلّ مَنْ عرفها، حتى أنّ مَنْ يفتح هذا السّفْر الكبير ليقرأ فيه يكاد يشمّ منه عبق عطر الحبّ والوفاء والإخلاص".

كما قال النّاشر عبّاس داخل حسن رئيس "مركز التّنّور" الثّقافيّ الفنلنديّ العربيّ عن الكتاب: "هذا الكتاب جاء بعد جهد موصول لمدّة ثلاثة أعوام لجمع مواده التي شارك فيها المئات من أصحاب الهمم العالية والأقلام المحبّة والقامات البارزة في شتّى التخصّصات على مستوى الأردن والوطن العربيّ والعالم بأسره، وتمّ جمع المادّة وتصنيفها وتبويبها وتنقيحها بجهود حثيثة من الابنة البارّة بأمّها د. سناء الشّعلان (بنت نعيمة)،... وقد جاء بمبادرة حميمة من (مركز التّنّور) الثّقافيّ تخليداً لذكرى الرّاحلة نعيمة المشايخ، وحفظاً لمسيرتها الأدبيّة والإنسانيّة...".

كما شكر عبّاس داخل حسن ود. سناء الشّعلان كلّ مَنْ شارك في هذا الكتاب التّوثيقيّ السّيريّ على شكل شهادات تمثّل فيما إخلاصهم ومحبّتهم وتقديرهم لنعيمة المشايخ، وشكرا كلّ مَنْ قدّم العون في سبيل أن يرى الكتاب النّور، ويخلّد ذكرى الرّاحلة، وذكرا أنّه سيكون هناك في القريب أكثر من حفلة إشهار للكتاب في الأردن وفي فنلندا وفي بلدان أخرى.

يُذكر أنّ المشاركين في هذا الكتاب هم: عطوفة أ. د. نضال الأحمد العياصرة، وأ. د. سناء الشّعلان، والعلّامة د. فاروق الباز، وعطوفة أ. د عبد الرّحيم الحنيطي، وعطوفة أ. د عبد الكريم القضاة، وأ. د عبد القادر الخالديّ، وعبد الله توفيق كنعان، وعباس داخل حسن، وأ. د رضوان عبد الله الوشاح، ود. عبد الإله بنهدار، ومحمد كامل أحمد شعلان، ود. جواد هادي عباس، ومحمد المشايخ، وهمسة العوضيّ، وأ. د نور الدّين صدّار، وآلاء حسن أبو طالب، وأ. د خميس الزّبيديّ، ورائدة محمد أبو شربيّ، وكاميليا عادل الحاج، وسحر محمد الرّنتاوي، وأ. مالك عبد الرّحمن سريويّ، ود. وفاء يوسف الخطيب، وم. علي بسّام مصالحة، ونزار حسين راشد، وحسين المومنيّ، ود. عبد العزيز اللّبديّ، وعنان محروس، وتهاني مصطفى الصّالح، وأسعد العزّونيّ، وأ. د فاضل عبود التّميميّ، وميس الطّراونة، ود. سيف الدّين الغمّاز، وإبراهيم أمين الكسوانيّ، وبسّام نجيب أبو زيدان، وجهاد قراعين، ود. لبنى فرح، وأ. حكيمة توكلي، ودلال دوخي علي، وجميلة الشّطرات،

وخالد شاهين، وصبحيّة عبد الرّحمن قنديل، وعلي خوالدة، وم. لبنى الحنينيّ، ود. أفنان النّجار، وسمعة أبو هزيم، وروزنا محمد أبو شربي، وشهيرة حسّان المشايخ، وأيمن دراوشة، ومنى عبد الهادي، وفؤاد الشّوملىّ، وشوقي العيسى، وفاطمة جلال الأصفر، وأ. د مصلح النّجار، وريّا الدبّاس، وعبد الكريم القواسميّ، وخلود زيتاويّ، ونضال البزم، وأحمد خيري، ومارغو أصلان، وأ. د. منى محيلان، وعبد الكريم العامريّ، وإيمان حجازي، وسهير نجّار، وحنان أبو علوان، وأ. عبد الفتاح وحيد عبد الفتاح محمد، وسمير الشّريف، ود. محمد زعيتريّ، وخالد إسماعيل غالب الغرايـﭫ، ود. ماجد الخواجا، وأ. د محمد رفيق حمدان، وسعدي عمّار، وم. غسّان أيوب، ورانيا إسماعيل، وعطا الله سرور، ود. ممدوح الأطرش، ود. عوّاد عبد القادر، وعبد الكريم العبيديّ، وروزنا الطّوال، وعبد الكريم خليل، وميسّر كريشان، وآمنة عبد الحميد، وعبد السّتّار العبيديّ، ود. أمل عطا الله المشايخ، ود. سعيد بن مخاشن، وأ. د. علي حسين جلود الزّيديّ، ود. خالد الدّاوود، وأ. عبد العزيز أجدي، وجهاد الحايـﭫ، وحنين رضا محمد الغنميين، وأ. د بسمة أحمد صدقي الدّجانيّ، ود. الغالي بنشهوم، وأ. صبرينة جعفر، وأ. د عاصم شحادة علي، ومجدولين أبو الرُّب، ومحمد المهديّ، وم. وسيم الآغا، ومنذر اللالا، وأ. م. د. سردار رشيد حمه صالح البينجويني، وأ. د إدريس عبد الله الكورديّ، وسهيل عبد الحكيم الوايـﭫ، ويوسف مريّان، ود. سناء جبّار العبوديّ، ود. زرناجي شهيرة، وحنان بيروتيّ، ومحمد طيب العليميّ، وأ. د سليمان العليمات، وسمير هادي سعود، وياسمين القضاة، وم. نمر خصيب، وأحمد خضر إبراهيم (أحمد البرو)، وعليّ سليم العايديّ، ود. محمد وهاب، ود. سامية عاهد حرب، ود. م. محمد راشد مشاقيّ، وأمل الحايـﭫ، وإرم زهراء رضويّ، ومحمود الدّاوود، وليليان لطيف، ود. عثمان مصطفى الجبر، وفريد أنور خرفان، ود. عبد الله الشّريف، وتيروز آميدي، ورتيلاء منصور محمد القرعان، وأ. د. عبد المجيد صغير علي (عبد المجيد. إي)، وأ. د. مخلص الرّحمن، وأ. محمد معراج عالم، و.أ د. حاتم عبد الهادي السّيّد، وعدنان قصير، ود. منى الدّويك، وجواد شبّوط، وأ. د. ظهير أحمد، ود. غسّان العليّ، وعمر محمود الشّلبيّ، وأبو مينا غبريال، وحنان الشّريدة، وماويّة حمدان، وأ. د. محمد مبشّر حسن، وعثمان عبد الله الهباهبة، وخالص مسوّر، وأ. عبيد الرّحمن البخاريّ، وأ. د. عبد الله مليطان، ونعمة عيّاد، ود. غيداء البلتاجيّ، وم. م أحمد طه حاجو، وأ. توصيف أحمد بت، ود. إيمان سالم الحويطات، وفاطمة الشّراونة، ورشا الخالديّ، وشادي النّجّار، وم. عبادة زياد الفرّاج، وميسّر عبد العزيز الشّعلان، ود. رياض ياسين، ونيكار الشّيخ محمد، ود. خالد سليكيّ، وأ. غلام غوث العليميّ، ود. علي هصيص، وسامية علي عبد الله الفكيّ، وإياد

ربابعة، ورانيا ربابعة، وحسين أبو سالم، ونبيهة حدّارة، وأحمد العسيريّ، ووفاء المشايخ، وجيهان المشايخ، وأ. د حمدي منصور، ود. سعيد شواهنة، ود. علي خالد حامد، وأ. د. سعد جرجيس سعيد، وطلال السكّر، ود. نادر قاسم، ود. محمد حسون نهاي، وأحمد عبد الكريم العمريّ، وأ. د. زين العابدين الشّيخ، ويحيى يخلف، والشّيخ محمد عوّاد النّعيمات، ومصطفى كامل الكاظميّ، وإيناس المشايخ، وموفّق مولى، وحسين زامل، ود. وفاء شهوان، والشّيخ سالم عطوان المعايطة، وأيمن أبو مطاوع، ود. يوسف ياسين الشّاعر، وأ. عبيدة محمد شتيّات، وسائد الرّضاونة المصاروة، وحسّان المجاليّ، وشادي العلاّويّ، ود. باهرة الشّيخليّ، ومحمد حسين الجعارات، ود. ربحي حلّوم، ومحمد فتح الباب عليّ، ود. سامر عقل، وماموستا وحيد، ورامز رمضان النّويصريّ، وعثمان أبا الخيل، وأ. سعيد علي محمد أبو مصطفى، وعمران الأطرش، ود. صباح محسن كاظم، ومحمد عصفور، ود. زياد أبو لبن، وأ. د. ميمونة عونيّ سليم، ود. قاسم عمر الزّعبيّ، ود. هالة بيدس، وأ. د. زياد إرميليّ، وأ. د. جمال أبو زيتون، وحاتم علي، ود. فوزي الخطبا، وفرج مجاهد، وعبد الله عريضة، ود. عطيّة الشّيميّ، د. وأشرف الرّزيقيّ، وأ. عمر المحبوب، ومروان شيخيّ، وأ. منير العتيبيّ، وأ. نعيم أختر، ود. أحمد عيد الرّواضية، وأحمد موسى العمران، ومحمد عاطف خمايسة، ومحمد موسى السّيّد أحمد، ووسيم نصّار، ونذير العواملة، ود. فرج غازي أبو سيف، وحسين أحمد إبراهيم ياسين، وكريم الصّائغ الشّمّريّ، وأ. جهاد مساعدة، ود. أنور الشّعر، ومنى بدويّ، وأ. د هند أبو الشّعر، ومثقال حمد، وأ. سليمان جبريل، وأ. د. أحمد محمد الميدانيّ، وعلي علي علي عوض، ود. حاجّ بلعيد سفيان صدّار، ودلشاد مراد، وأ. د. مجيب الرّحمن، ويحيى يوسف النّدويّ، ود. أحمد مرعي، ومنال محمد محمد، وزهرة يوسف جرّار، وأ. هديّة مونس، ود. محمد أشرف علي، وأ. آية العطّار، وأ. د سعديّة حسين البرغثيّ، وجميلة صبحي المعانيّ، وفايزة الشّعلان، ورائد العمريّ، وإبراهيم اليوسف، وفتحيّة موسى السّيّد أحمد، ونعيم عبد الفتاح إبراهيم المشايخ، ود. فؤاد علجيّ، وسناء رمضان، وعبد الواحد محمد، وناصر عوّاد كليب الفوّاز، ود. شير علي خان، وأ. د. محمد ثناء الله النّدويّ، ومنال الحلبيّ، ود. نجم الدّين، ومحمد حسن أبو حمزة، وأ. كريمة خلوف، ونبيل بن دحو، ورضا عبد الله النّجّار، ونيفين الوقاديّ، وأسعد جمال النّدويّ، ود. محمد ريحان النّدويّ، ود. معاذ الزّعبيّ، وكريم الصّائغ الشّمّريّ، ونور الدّين بوزاهر، وأ. د. أحمد الهادي رشراش، ود. مراد البيّاريّ، ودرّة عازق، ود. سيد حشمت أبو فرغل السّمهوديّ، وعبد الغني محمود عبد الهادي، ود. عدليّ حسين، أ. د. زينب الشّاذليّ، ود. حسين عوفي البابليّ، ود. وفاء عبد الرّزّاق، وأ. د. عبد الله محمد السّلميّ، ود.

عبد الإله بنهدار، ونجاة عنانيّ، وأ. د. حسنين غازي لطيف، ود. عبد الفتّاح أبو سرور، وفائزة سعيد، ود. لطيف القصّاب، ود. علي الرّبّاويّ، وعبد الحقّ بن رحمون، وطارق حمد محسن، وأ. الشّيخ عماد الدّين، ومحمد ناصر العبيدان، ود. وفاء قطيشات، وأ. أمان الرّحاحلة، ود. غادة إسماعيل حمد، ود. عبد المنعم همت، وفيّاض نمر، وأحمد سالم الوريكات، واعتدال العسّاف، ورويدا غرايبة، وأمل محمد عايش، وإيثار الخلايلة، وإيمان صبري، وبرزان نيو، وحسن النّعيميّ، وحليمة الدّرهليّ، وحمه سعيد الجاف، وحنّون مجيد، وخالد خشرم، وسوزان حدوش، وعبد الله الحروب، وعبد الله تقي الدّين القاسميّ، وفاطمة حسن شحروريّ، ومجذوب عيدروس، ود. محمود حيدريّ، ود. ميسون حنا، ونضال دندن الشّواكيك، ومحمود عزّام، وهديل بسّام زكارنة، وجدان البخيت، ويحيى إبراهيم الزّقيليّ، وحسن محمد رمضان، والطّفلة نجوان عبد الله حسن محمد رمضان، ود. غنّام محمد خضر، ورشا كامل أحمد شعلان، و(نورا) ختام أبو ديّة، ود. محمد ثابت البلداويّ، ومحمود أبو عوّاد، وأسمى جرادات، وطارق المادح، ورجاء زيتون، وأ. فيلاجي منصور القرعان، وأ. د. إرشاد أحمد مير، وعبد الكريم العبيديّ، وأ. د. سمير محمد أيوب، وأحمد البرو، وسريعة سليم حديد، وريم المغيّر، وعزيّة محمد سريوة، وإبراهيم العدس، وسهيلة سريوة، وأحمد إبراهيم العدس، وتقوى إبراهيم العدس، وسجى إبراهيم العدس، ومحمد إبراهيم العدس، وجود إبراهيم العدس.

توزّعت مشاركات الكتّاب حسب بلد الإقامة على الشّكل التّالي: الأردن (184)، والعراق (21)، وليبيا (4)، وتونس (2)، والمغرب (7)، والجزائر (10)، ومصر (14)، وفلسطين (6)، وسوريا (5)، وقطر (4)، واليمن (3)، والكويت (1)، والسودان (3)، والسعودية (4)، وإيران (6)، وإيطاليا (2)، وكندا (2)، وألمانيا (2)، وبنغلاديش (2)، ونيبال (1)، وأمريكا (5)، واستراليا (7)، وباكستان (3)، وفنلندا 3، والهند 18، وهولندا (2)، والدنمارك (2).

<u>روابط الكترونيّة لتنزيل الكتاب بشكل الكترونيّ:</u>

https://www.4shared.com/web/preview/pdf/CYdoN0ySjq

.... ❖❖❖❖❖ ....

Hilal Alhind

(An Online Bi-Annual Peer-reviewed International Journal)

Vol. No.4, Issue No. 2

July- December, 2024



Editor-in-chief: Prof. Mujeebur Rahman

Published by

Dr. Mukhlesur Rahman

Rampurhat, Birbhum

W. Bengal, India